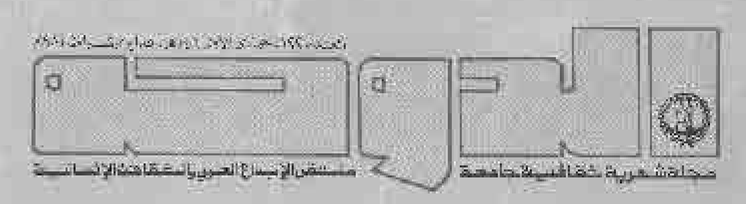


د. أحمد هيكل وزير الثقافة في مصر:

المثقفون يتهمون والوزير يدافع ويرد

الحساسية المغربية والثقافة المشرقية!

د. محمد جابر الأنصاري

تقدم ولا تتردد فقلبك اليوم متقد

د. عبد المحسن صالح

الدوحة في بيت السياب

حسن توفيق

مسرحية غنائية كاسحة في لندن

ألفريد فرج

[illegible]

د. عبد السلام العجيلي

أسبوع سينمائي في الجزائر

رؤوف توفيق

نحو تفاعل ثقافي أكثر عافية بين المغرب والمشرق

الحساسية المغربية والثقافة المشرقية

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

عندما يتأمل المرء ، الخلي البال ، في حدة مشاعر الاخوة من مثقفي المغرب العربي تجاه مايعتبرونه تجاهلاً مشرقيا ، أو عقدة تفوق (مركب علو كما يقولون هناك) ، من اخوانهم المثقفين المشارقة .. يصاب بالاستغراب ، وأكاد أقول الذهول ، من شدة هذه الظاهرة الشعورية لدى المغاربة ، واستشرائها في كثير من الأدبيات والتعليقات المتداولة لديهم بهذا الشأن .. مما يجعل مسألة دراسة هذه الظاهرة بشكل موضوعي أمراً لابد منه في مجال قضية الثقافة العربية المعاصرة ، والوحدة الثقافية والفكرية العربية ، وصولاً الى تصحيح شكل العلاقة المعنوية الأساسية بين جناحي الوطن الكبير من مغرب ومشرق فى حقل التفاعل الثقافى والفكرى والأدبي ، الذى نريده ــ كمؤمنين بوحدة العرب جميعاً من محيطهم الى خليجهم ــ تفاعلاً صحياً وموحداً ومثمراً ، باذن الله ، كما كان أيام ازدهار الحضارة العربية الاسلامية الواحدة ، عندما رد ــ مثلاً ــ ابن رشد المغربي في « تهافت التهافت » على الغزالي المشرقي في « تهافت الفلاسفة » ، في تفاعل فلسفي وديني من أرفع طراز ، دون أن يتداخل في أمر هذا التفاعل ميل مشرقى أو هوى مغربي ، أو مركب نقص أو تعالٍ من هنا وهناك ؛ بل كانت المسألة مسألة بحث عن الحقيقة في أطار الايمان العربي الاسلامي الواحد .. وماأكثر ماتحمس مشارقة لابن رشد المغربي ؛ وتحمس مغاربة للغزالي المشرقى .. دون أن يعيروا مسألة الجهات ــ شرقاً أو غرباً ــ أدنى اهتمام ، بل كان ديدنهم ذلك المعنى البعيد الذي ألمح إليه العارف بالله محي الدين بن عربي (الأندلسي المغربي موقعاً وجذوراً .. المشرقي الدمشقي المكي هوى وحنيناً) عندما قال :

رأى البرق شرقياً فحَنَّ الى الشرق ... ولولاح غربياً ، لحَنَّ الى الغرب
فان غرامي بالبريق ولمحه ... وليس غرامي بالأماكن والترب !

أجل .. ليكن غرامنا ــ من مشارقة ومغاربة معاً بالبريق ولمحه .. بريق الحقيقة ولمح الاسلام والعروبة ، قبل أن يكون غراما بالأمكنة والأتربة .. كما علمنا فيلسوف الإشراق المغربي ابن عربي .

* * *

ولكن لابد قبل كل شيء من مقاربة الظاهرة في أعراضها ، لتشخيصها والنظر في تحليلها وتفكيكها ان أمكن ، أو البحث عن علاج لها ان تعذر التفكيك والرد الى العناصر الأولية ..

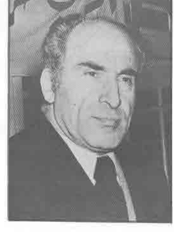
يقول الأستاذ محمد مزالي في كتابه « في دروب الفكر » ــ وهو من حصيلة رحلتي المغربية الأخيرة ــ تحت عنوان (وظلم ذوي القربي ..) الذى ينضح بالتألم من عبارته في حد ذاتها ، وهي شطر بيت طرفة بن العبد القائل :

وظلم ذوي القــــربـــي أشـــد مضاضة
على النفس مــن وقــع الحســام المهنـد !

فما هو هذا الظلم القادح ياترى ؟

يوضح محمد مزالى ــ وهو من نعرف فكراً وعروبة وموقفاً وقيادة ومكانة ــ فيقول ان بلدان المغرب العربى الكبير قد : « ظلت في الماضي مهضومة الجانب بسبب عقدة التفوق لدى الكثير من الكتاب والدارسين في المشرق . ويأبى عدد من الاخوان المعاصرين إلا الاصرار على هذا الموقف السلبي الذي مهد إليه نفر من السلف .. ثم عمقه الاستعمار عندما شيد سوراً فصل به بين بلاد المغرب وبين المشرق العربى مدة تجاوزت القرن ، دون أن يهتدوا الى أن الأمانة العلمية والمصلحة الوطنية العلياوأدنى معاني الاخوة والتضامن تقتضي كلها تصفية الأجواء والتقارب والتعارف الحقيقي باستئصال كل أنواع المركبات (العقد) (١) » .

ويلمح الأستاذ مزالى الى الخلفية التاريخية لذلك في إشارة هامشية في الصفحة ذاتها حيث يقول : « يكفي كشاهد على ذلك ، التذكير بنظرة بعض الجغرافيين العرب الى المغرب العربى : فهذا الاصطخري يعتبره على الخريطة « كم



محمد مزالي



أحمد شوقي

الثوب » . وهذا ابن الفقيه يضعه بمثابة « ذيل الطائر » . بينما يقول ابن حوقل والمقدسي والمسعودي عن مصر إنها « أحد جناحي العالم » وعن القاهرة أنها قبة الاسلام » (٢) .

ومن الجزائر يأتينا صوت الدكتور عبد الملك مرتاض الأستاذ بجامعة وهران في كتابه الممتع « الجدل الثقافى بين المغرب والمشرق » ــ وهو كتاب عثرت عليه في مكتبة بالرباط ، وان يكن مطبوعاً عام ١٩٨٢ في بيروت .. بيروت البطلة الصامدة رد الله عافيتها ، فقد كانت جسر التواصل الرحب بين مشرق ومغرب ، وبين تراث ومعاصرة ! ــ حيث يقول بلهجة مشابهة ــ من حيث عتبها وتألمها للهجة الأستاذ مزالى :

« هذا ، ولقد طال عتاب المغاربة للمشارقة دون أن يجدي عتابهم هذا فتيلا : فيلفت المشارقة إليهم لفتة حادة ، ويجعلهم يعنون بهم وبآثارهم على نحو ما هم أهل له .. فبقدر ما كان المغاربة ينحون باللوائم على المشارقة ، ويضجون من مواقفهم منهم ، بمر الشكوى ، كان المشارقة لا يزدادون إلا عزوفاً عنهم ، وتجاهلاً لهم ، وزهدا في كتاباتهم ، ورغبة عما يجرى بين ظهرانيهم ، فكانت كتاباتهم حين يكتبون (أى المشارقة) وما أقل ذلك ، مقتضبة ، خجولة ، تتسم بالأخطاء التاريخية والجغرافية ، في الوقت الذي كان المغاربة يعرفون فيه عن المشرق العربى كل شئ : رجاله ، وتاريخه ، وأدبه وفنونه » (٣) .

ويتنبه المتابع لهذه الظاهرة الشعورية لدى الأشقاء المغاربة الى أنهم قد احتفظوا في ذاكرتهم الثقافية التاريخية ــ في القديم والحديث ــ بملاحظات جزئية وتفصيلية قد تبدو هامشية للمراقب أو الراصد غير المغربي ، لكنها فيما يبدو كان لها أعمق التأثير في تعميق الاحساس بهذه الظاهرة ، وتضخيم الحساسية تجاهها لدى الأشقاء هناك .

فهل يعلم المثقفون المشارقة ، على سبيل المثال ، ان الشاعر الكبير أحمد شوقي زار مدينة : الجزائر في أوائل هذا القرن ، عندما كانت تحت سطوة الاستعمار الفرنسي في عنفوانه ، وأنه مكث فيها أربعين يوماً للاستشفاء ، وأنه كتب عنها بعد ذلك يقول : « ... ولا عيب فيها سوى أنها قد مسخت مسخاً ، فقد عهدت مساح الأحذية فيها يستنكف النطق بالعربية ، وإذا خاطبته بها لا يجيبك إلا بالفرنسوية » (٤) .

الحساسية المغربية والثقافة المشرقية

وأن ابن باديس ، في ليلة الاحتفال بذكرى عام ١٣٥١ للهجرة ، قد أشار الى عبارته هذه بقوله : « فاعجبوا للاستدلال على حالة أمة بمساح الأحذية فيها .. إلا أن فقيدنا العزيز لو رأى من عالم الغيب حفلنا هذا ، لكان له في الجزائر رأي آخر .. ولعلم أن الأمة التي .. أنجبتها العرب .. لا تستطيع ، ولن تستطيع أن تمسخها الأيام ، ونوائب الأيام » (٥).

وهل أهتم المثقفون المشارقة بالرد على سلامة موسى عندما كتب عن الجزائر عام ١٩٣٠ بقوله : « إننا لا نجد في الجزائر أية حركة وطنية ، بينما نجد في الهند حركة وطنية هي غاية في القوة ، وذلك لأن الفرنسيين قتلوا الروح الوطنية في الجزائر بمقاومة اللغة » (٦)..

حيث يرى د . عبد الملك مرتاض أن ذلك حكم سطحي مبتسر يجهل صاحبه تنامي نهضة اللغة العربية بالجزائر ، عندئذ ، ويتجاهل تاريخ مقاومتها المستمرة للمستعمر منذ القرن التاسع عشر .

وبالإضافة الى ذلك : يتألم الأخوة المغاربة لتجاهل نتاجهم الثقافي عندما يصل الى بلاد المشرق .. فعلى سبيل المثال أرسلت جمعية العلماء بالجزائر سجلها العلمي الذي طبع عام ١٩٣٥ ميلادية الى مجلات مشرقية عديدة ، كي « يطلع أصحابها على صورة من النهضة القومية والأدبية في الجزائر ، ولكن هذه الصحف لم تلتفت الى السجل ، ولم تتفضل عليه بكلمة ، اللهم إلا كلمة هزيلة جادت بها مجلة السياسة الأسبوعية » (٧) .

ويلاحظ بهذا الصدد أن مجلة « الرسالة » للزيات ــ رغم اهتماماتها العربية الواسعة ــ لم تشر بشيء الى السجل المذكور ، رغم أن صاحبها ــ كما يقول فرحات الدراجي في مقالة له بعنوان : كلمة عتاب الى اخواننا الشرقيين » ــ يفتح صدر رسالته الى الكتابة عن كلب العقاد ، وسنور المازني .. مع أن المقدمة التحليلية التي وضعها الأستاذ الابراهيمي لهذا السجل ، وحلل فيها عناصر نهضة الجزائر الفتية تحليلاً دقيقاً لا تقل في بلاغتها ودقتها عما ينشر في مجلة الرسالة » (٨) .

وعندما يكتب الباحثون المشارقة عن الشئون المغربية يجدهم أشقاؤهم في المغرب واقعين في أفحش الأخطاء واكثرها سطحية . ففي الموسوعة العربية الميسرة الصادرة بالقاهرة عام ١٩٦٥ ، أي بعد استقلال الجزائر بثلاثة أعوام . لا تنال الصحافة العربية بالجزائر ذات التاريخ الطويل في مقاومة الفرنسية ، سوى ستة أسطر بحجم العمود الصحفي يجهل كاتبها « في الحقيقة كل شيء عن هذه الصحافة » (٩) . حسبما يعتقده د . مرتاض .

ومثل هذا الاغفال والخطأ تكرر عن الموضوع ذاته في (معجم المعارف) للويس معلوف وأصحابه . وعندما كتب أحمد أمين كتابه الشهير « زعماء الاصلاح في العصر الحديث » لم يذكر من الجزائر أحداً .. « مع أن الاصلاح الديني المرتبط باصلاح المجتمع تفكيراً واعتقاداً وسلوكاً .. ما بلغ إلا في الجزائر ذروته » (١٠) حسب تعبير الباحث الجزائري .

وحتى ندرك عمق حساسية الأشقاء في المغرب العربي تجاه هذا الإغفال ، علينا أن نتأمل ملياً في الملاحظة التالية للدكتور عبد الملك مرتاض على ما تحمله من ملحظ قد يبدو لنا هامشياً من ناحية ، ومضخماً من ناحية أخرى ، يقول : « وحتى لا يقع خرق لهذه القاعدة (قاعدة اغفال المشارقة للمغرب) فقد كان عهدنا بكتاب كلمات الأغاني أن يهملوا ذكر الجزائر إذا أوردوا أسماء بلدان عربية أخرى ! » (١١) .

وذهب الأمر ببعض أدباء المغرب الى طرح هذه المشكلة بالقول : « اشتغالنا بالشرق أنسانا أنفسنا .. لقد أسرفنا أخيراً في الاقبال على كل ما يرد علينا من طريق الشرق اسرافاً أفقدنا الثقة بأنفسنا .. (١٢) ــ وهكذا تصل هذه الإشكالية في الوعي المغربي الى درجة لوم النفس واتهامها بالتقصير واستكثار اهتمامها بالمشرق وكأنه جزء غريب وخارجي عنها ، الأمر الذي يوضح لنا الأبعاد الخطيرة لهذه الاشكالية المشرقية في الوعي المغربي ، بشكل أكبر مما نتصوره نحن في المشرق عندما تصادفنا الاشكالية لأول وهلة . ولابد لي أن أعترف أن هذه الابعاد تمثل نوعاً من المفاجأة لي شخصيا ، رغم اشتغالي بتاريخ المغرب الثقافي عندما كتبت أطروحتي للماجستير عن ابن سعيد المغربي الذي يعتبر من رموز التفاعل الثقافي بين المشرق والمغرب في القرن السابع للهجرة ، وذلك باشراف أستاذنا الكبير الدكتور إحسان عباس . حيث لاحظت نوعاً من التجاذب اللافت في المشاعر المغربية المشرقية المتبادلة ، غير أني لم أتصور أنها مازالت قائمة من ناحية المغرب بهذه الصورة المعقدة والمتضخمة حتى أيامنا هذه . وحتى من يقرأ كتاب الدكتور صلاح الدين المنجد (المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين) ، لن يتيسر له أن يرى أبعاد المشكلة الراهنة ، حيث الجذور التاريخية للظاهرة لا تبدو بمثل الحدة التي تبدو عليها من هذا العرض الذي أوجزناه لها في الحاضر ، بالاعتماد على كتابين مغربيين لا أكثر ، وهما كتاب الأستاذ محمد مزالي من تونس ، وكتاب د . عبد الملك مرتاض من الجزائر ، ولو وسعنا دائرة البحث لأدهشنا الكثير غير المتوقع ..

* * *

هذه هي الإشكالية كما تطرح ذاتها . وعلينا الاعتراف بوجودها في الوعي ، سواء كانت أسبابها موضوعية فعلية ، أو شعورية ذاتية ، أو مزيجاً من النوعين وبعد ذلك يحتاج الأمر الى تدارس مشترك بين الأشقاء المغاربة والمشارقة في لقاءات وندوات ومؤتمرات تتجاوز الاجتهاد الفردى والجهد الشخصى ، لأن المسألة مسألة ثقافية عربية شاملة تحتاج الى مقاربة ومعالجة من عدة جوانب وزوايا لتفكيك مفاصلها وتعقداتها .

من جانبي ، ومن موقعي كمهتم بالثقافة في منطقة الجزيرة العربية والخليج ، سأكتفي ، بداية بطرح التساؤلات التالية من باب التمهيد لمعالجات أوفى لها :

أولا : هل المسألة مسألة مشرق تجاه



أبو القاسم الشابي



أحمد حسن الزيات

المغرب . ومسألة تجاهل مشرقي للشأن المغربي بهذا التقسيم العام الكاسح ؟ نسأل ذلك لأننا هنا في الجزيرة العربية والخليج عانينا من عزلة ثقافية ومن اغفال وشيء من اللامبالاة في عواصم المشرق الثقافية الكبرى كبيروت والقاهرة . تجاه أدبنا وأدبائنا في الماضي . وحتى وقت قريب . ومع ذلك فنحن مشرق وهم مشرق ! .. اذا كان المغربي يتصور أن اغفاله في صحافة بيروت أو القاهرة أو دمشق أو بغداد مسألة مشرقية مغربية .. فماذا يقول اليمني الذي ما يزال بعيدا عن اهتمام اخوانه في المشرق وفي المغرب أيضاً . على حد سواء ؟! إذن فالمسألة ليست مسألة تقسيم جغرافي بين مشرق ومغرب . لابد من التأمل فيها من زوايا أخرى . خاصة فى ضوء ما تعانيه ثقافة الجزيرة ، واليمن ، وعمان ، والخليج من اغفال مشابه مشرقي .. ومغربي !

ثانيا : الملاحظ أنه عندما تطرح هذه الاشكالية في الأدبيات المغربية ، فإن الشواهد السلبية هي التي تتوالى وتتواتر ، أما الجوانب الايجابية في التفاعل بين المشرق والمغرب فلا تنال إلا حيزاً أقل بكثير من نقيضتها ومن دورها المشهود في التاريخ العربى المشترك .. فماذا عن رجال الثقافة العرب الذين ذهبوا لبلاد المغرب وأحسنوا الاطلاع والحكم والمشاهدة ، وقاموا بالتفاعل المنشود ؟ وماذا عن الدعم الذي قدمته مصر وسوريا والعراق والسعودية وبلاد الخليج لقضايا النضال والتعريب في مختلف مراحل النهضة الحديثة ضد الفرنسية والتغريب في بلاد المغرب العربى .. وحتى الآن ؟ وهي بلاشك قد قامت بواجبها في سبيل عروبتها بالمغرب ، ولكن لماذا يتم اغفال ذلك فى اطار الصورة العامة للعلاقة المشتركة ؟

ثالثا : إذا كان قد تم اغفال وتجاهل عدد غير قليل من الأدباء والمفكرين المغاربة في المشرق لهذه الاشكالية المفترضة في الوعي المغربى . فكيف نفسر ذلك الاستقبال الذي ناله فى المشرق أمثال أبى القاسم الشابي ومالك بن نبي ، والذى يناله عبدالكريم غلاب ومحمد مزالى والمسعدي وعبدالله العروي ومحمد عابد الجابرى ؟ لماذا اهتم المشرق بهذه الشخصيات المغربية التى لا شبهة فى أصالتها المغربية ، ويقال انه أهمل أو أغفل غيرها ؟ ألا يبدو هنا أيضا أن التعميم بشأن المغرب . كما هو بشأن المشرق ، تعميم غير دقيق وقد يكون غير سليم ؟

رابعا : كما دخل كبار مفكرى الاسلام المغاربة في صميم التراث المشرقي بلا أية حواجز اقليمية ، من ابن رشد الى ابن طفيل الى ابن حزم الى ابن خلدون . فإن دراسة هؤلاء من قبل كبار المثقفين المشارقة المحدثين من ساطع الحصري وطه حسين الى أيامنا هذه ، هل يبدو للأشقاء المغاربة أنها دراسة مشوبة بأى استصغار مشرقي لتلك العبقريات المغربية التى تعتبرها عربية اسلامية قبل كل شيء ؟؟

هذه بعض الأسئلة التى أراها أساسية لتفكيك الاشكالية . وربما كان مفيداً أن تسمع وجهة نظر مغربية بشأنها . وأعتقد مخلصاً أن الاشكالية لا تخلو من مبالغة .. والحديث موصول بين مشرق ومغرب بإذن الله .

محمد جابر الأنصاري

هوامش ومراجع

١ ـ محمد مزالى ، فى دروب الفكر ، الدار العربية للكتاب ، ص ١٥٦ .
٢ ـ المصدر ذاته ، هامش رقم (١) ، ص ١٥٦ .
٣ ـ د . عبد الملك مرتاض ، الجدل الثقافى بين المغرب والمشرق ، دار الحداثة ، بيروت ، ص ١١ ـ ١٢ .
٤ ـ المصدر ذاته ص ١٢
٥ ـ المصدر ذاته ص ١٢
٦ ـ المصدر ذاته ص ١٤
٧ ـ المصدر ذاته ص ١٧
٨ ـ المصدر ذاته ص ١٨
٩ ـ المصدر ذاته ص ١٩
١٠ ـ المصدر ذاته ص ٢١
١١ ـ المصدر ذاته ص ٢١
١٢ ـ المصدر ذاته ص ١٨
كما ويراجع كتاب د . صلاح الدين المنجد ، المشرق فى نظر المغاربة والاندلسيين ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، للاطلاع على الخلفية التاريخية للموضوع .



بقلم: الدكتور سيار الجميل

ما هذا الذى نسمعه ونقرأه اليوم في لغتنا العربية ؟

ما هذا الغثاء الذى يستخدمه أبناء اليوم في عربيتهم ؟ وإلى أين يمضى الجيل الجديد بتكوينه اللغوى ، وسلوكه الثقافى ؟ وماذا سيحل بهذه اللغة العريقة في قابل ؟

أيها السادة : لغتكم العربية ـ اليوم ـ باختصار شديد هي في خطر شديد . فمن ذا الذى ينقذها من أتون هذا الحاضر الممزق : فكريا وسياسيا وحضاريا ؟. من يخلص عالمنا اللغوى العريق . من هذه الحرب الخفية التى يتعرض لها .. وعلى أيدى أبنائها ؟ إنها مأساة مروعة .. لا يتحسسها إلا من كان له نصيب علمي وأدبي من الأصالة والثقافة فيها وفي تاريخها .

هل يعلم أبناء لغة الضاد . أن لغتهم هي أعرق لغة في الوجود ؟ ومن دون تهويل .. فهي تحمل صفات القداسة والتجلة والسمو الانساني .. هل يدرون كيف انتشلها رجال الأمس القريب من الظلمات التي خيمت عليها ؟ رحم الله أولئك الرجال العرب الذين خدموا لغتهم ، وتراثها العظيم .. وما كسبوا في حياتهم الا شظفا ومصاعب شتى ، وقد تناساهم أبناء الحاضر ! إنها حلقة واسعة الأبعاد تزداد شرخا وخرقا ، وهي تفصل حاضر ثقافتنا عن ذلك الأمس القريب . ولا يجد المتأمل فيها إلا الألم لما حاق بالحاضر .. ولما سيؤول إليه الحال في قابل : تكوص وبعثرة وغرابة لم يألفها العرب في لغتهم من قبل على امتداد عمرهم الطويل .

الأمس القريب وعمالقته : عظماء وزعماء وخطباء وأدباء وكتبة وعلماء وفقهاء لغة . مؤرخون ومفكرون ونقاد وسدنة تراث عظيم .

وحاضر يمثله : صحفيون مهاجرون ، وموظفون ببغاويون . وأكاديميون جامدون ، وكتاب هائمون ، وشعراء متمزقون .. وعقلاء ضائعون في خضم هذا الركام الغريب ، وقد غدوا مادة دسمة للاستلاب !

حماة العربية

تعيش اللغة العربية في يومنا هذا في حالة لم تألفها من قبل أبدا . ولا يخال المرء أنها حالة تطور وتسام ، بل هي حالة من التفكك والانحدار .. خلقها شباب اليوم الذى تدفق في عالمه العربى بثقافاته الجديدة . فدخلت (اللغة) كأحد العناصر الأساسية في كيان العرب دوامة هذا العصر الممزق . والخوف من ضياعها في متاهات هذه الدوامة الغريبة !

تعد اللغة العربية من أقوى عناصر بناء الأمة . وقد حفظت وحدتها في جمعها لأبناء الضاد على امتداد تاريخى طويل جدا ، قلما حظيت بذلك الأمم الأخرى . وتميزت العربية بالرصانة والمتانة والأحادية والقداسة والعمر الطويل على يد الاسلام .. كما واتصفت بالتجلة والسمو والخلود من خلال القرآن العظيم . وحملت اللغة العربية على كاهلها ، تراث الاسلام الزاخر .. إذ خدمها وكتب فيها الآلاف المؤلفة من الرجال في مئات السنين . فأغنوها بمختلف البدائل والمرادفات والاشتقاقات الحية . اضافة الى ما كتب فيها من علوم وأفكار وآداب وفنون وفلسفة ومنطق .. كما وكان لها تأثيرها البالغ على لغات شتى في العالم .

أفاق العرب في العصر الحديث ، ليكونوا حماة لها ، يدافعون عنها ، ويدفعون بها الى مراحل جديدة من التطور . وما كانوا بمنقطعين عن الجذور : يدرسونها ويحققون فيها ، ويخلصونها مما علق بها . ولم يزل البعض من الرجال حتى يومنا هذا ، ينافحون عنها ، ويدفعون بالغوائل التي تحيق بها ، ويحضرني منهم : الشيخ ابراهيم اليازجي ، وحافظ ابراهيم ، وجرجي زيدان ، وانستاس مارى

الكرملي ، ومحمد كرد علي ، وفارس الخوري ، وعلي الجميل ، والدكتور حنا خياط ، وعبد العزيز الثعالبي ، وعبد الرحمن الشهبندر ، والدكتور طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، والدكتور مصطفى جواد ، وجبران خليل جبران ، وساطع الحصرى ، ومارون عبود ، ومصطفى صادق الرافعي ، وعبد القادر المغربي ، وفؤاد افرام البستاني ، وأحمد حسن الزيات ، وعبد الحميد بن باديس ، ورثيف خوري ، وأحمد رضا ، وأحمد عبد الغفور عطار ، ويوسف السودا ، والدكتور عبد العزيز الاهواني ، وطه الراوى ، وعبد الرزاق محي الدين ، والدكتور عبد الرحمن البزاز ، والدكتور محمد حسين ، ومحمد خليفة التونسي ، والدكتور ابراهيم السامرائي ، وعبد العزيز بن عبد الله ، وزكريا سعيد ، والدكتور احمد مطلوب ، وفاروق شوشه .. وغيرهم من الرجال .

الاشكالية والخصـــوم

ان أكبر المشاكل التي تعرضت لها لغتنا العربية في تاريخنا الحديث هي : مشكلة العامية والفصحى ، والتبشير باحلال الأولى محل الثانية .. ثم المناداة باستعمال الحروف اللاتينية كبديل عن الحروف الأبجدية ــ العربية . ولعل أبرز الأسباب التي دفعت أصحاب تلك الدعوة في حربهم على الفصحى ــ حسب زعمهم ــ : أن العامية ذات طواعية ومرونة في الفهم ، والتعبير الكتابي الأمثل عما يريده الناطق بها (كذا) . وان استخدام الحروف اللاتينية يتفق مع متطلبات العصر الحديث ، لأن الحروف العربية في نظرهم ، عاجزة عن مسايرة هذا العصر (كذا) .

ان صراع العامية مع الفصحى في لغتنا العربية ، ليس وليد حاضرنا اليوم ، بل إنه يمتد طويلا في حلقة ثقافتنا العربية الحديثة . وقد أعلنت العديد من الحملات والأدعاءات دون فهم علمي متكامل ، ووعي ناضج بالأصول والجذور .. وعلاقة ذلك بالنتائج التي كانوا يودون الوصول إليها . فمثلا ، لم يميزوا بين مصطلح (العامية) ومصطلح (اللهجة) ومصطلح (الهجين) ! كما وإنهم انساقوا وراء الآراء التي طرحها بعض المستشرقين في اللغة العربية .. دون رصد مسبق لطبيعة اللغة العربية ، ووزنها النوعي ، وثقلها الحضارى والانساني .. كما وانساق البعض الآخر وراء التجربة الفاشلة التي كان طبقها الزعيم التركي مصطفى كمال أتاتورك في تركيا الحديثة ، في عبثه باللغة التركية ، وتقنينه للحروف اللاتينية بدل الأبجدية ــ العربية .

كان أشهر أولئك الدعاة العرب الذين حملوا على لغتهم وفصحاهم دون تعقل وتأمل وتبصر هم : الاسقف ميشال الفغالى ، والدكتور جبور عبد النور ، والخورى مارون غصن ، والدكتور انيس فريحة ، والشاعر سعيد عقل (وجميعهم من لبنان) ، وهناك سلامة موسى ولويس عوض (من مصر) ، ومؤخرا الجنيدى خليفة (من الجزائر) .. وغيرهم .

لو عدنا الى جذور المشكلة ، فإننا نجد أنها قد طرحت لأول مرة أثناء انعقاد مؤتمر اللغويين في لايدن بهولندا عام ١٨٨٣ م . وكان المستشرق الاسوجي كارلو لندبرك ، هو أول من قال بذلك ، ثم ناصره العديد من المستشرقين الانكليز والافرنسيين والألمان . في حين عرف الاستشراق رجالات منه ، ساهموا في اغناء اللغة العربية ، وغرموا فيها ، وتعبوا من أجلها ، وعشقوها عشقا جما . أمثال : نيكلسون ، ونللينو ، وبلاشير ، وبراون ، واربرى ، ورايت .. وغيرهم .

اليازجي واللغة العربية

يعتبر الشيخ ابراهيم اليازجي من أقدم الرجال المدافعين عن اللغة العربية ضد خصومها . ونفهم من كتابات الرجل ، أنه تمتع بحس لغوى متوقد في نظرته الزمنية تجاه مايريده أولئك الخصوم من الأجيال العربية الجديدة . كتب اليازجي العديد من المقالات ، ونشرها تباعا في مجلته (الضياء) التي كان أصدرها في القاهرة ، تحت عنوان (اللغة العامية واللغة الفصحى) . ومما جاء فيها :

« ان البعض ينشر من سنوات رسائل متتابعة يدعون فيها علماء العربية وكتابها الى استبدال اللغة العامية بالفصحى واعتمادها في الكتب والجرائد وغيرها ورسم لها حروفا جديدة تكتب بها هي الحروف اللاتينية ، وقد وضع لبعضها علامات خاصة للدلالة على المقاطع التى لا صور لها في اللغات الفرنجية . وقد انتهى الينا ما تنشره عن تلك الرسائل وفيه امثلة عن حكايات غيرها باللغة العامية المصرية كتبها بالحروف المذكورة فكانت نوعا من الكرشوني (أى العربية بالحروف السريانية) ، الا انه متفرنج كأكثر أهل الشرق في هذه الأيام ، وإذا قرئت جاء لفظها أشبه بلفظ رجل افرنجي يتعلم العربية .. وزعم أن تعلم هذه الحروف أسهل تناولا على الأمي من أبناء مصر ، وأنها أفضل ذريعة لتعميم القراءة في القطر ، وكأنه توهم ابن مصر رجلا من أبناء أمته قد تعلم القراءة بحروف لغته ، فكان تعلم قراءة العربية بحرف يعرفه أسهل عليه وأقل كلفة من أن يتعلمها بحرف جديد .. والا فإن لم يكن بد لمتعلم القراءة من أن يتعلم أشكال ثمانية وعشرين حرفا ، فما الفرق بين أن يتعلمها بهذه الصورة أو تلك . وإن قيل ان صورة الحرف الواحد تختلف أحيانا بحسب موقعه في الكلمة ، قلنا وهذا أيضا لا تخلو منه الحروف اللاتينية بل قد تكون صورة الحرف الواحد فيها أبعد مماثلة » .



ابراهيم اليازجي
أكبر المدافعين عن العربية ضد خصومها



جورجي زيدان
العربية كائن حي

ووضع المستر ولمور ، المندوب الانجليزى الذى كان يشغل منصب أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية في عهد الاحتلال البريطاني لمصر .. وضع كتابا جمع فيه ما تسنى له من قواعد اللغة العامية المصرية على وجه يقرب من الأجنبي تناولها والتكلم بها ، وذهب المؤلف وآخرون الى ضرورة نسخ اللغة الفصحى من البلاد ، واحلال اللغة العامية مكانها مع كتابتها بالحروف اللاتينية . ويذكر اليازجي ، أن الجرائد الانجليزية وولمور دعوا الى لزوم ادخال الطريقة في المدارس الحكومية مع جعل التعليم اجباريا ، حتى تكون الضربة قاضية على الفصحى وأسفارها . ويستطرد اليازجي قائلا : « .. ترى بعض كتابنا ممن قل رأس مالهم من اللغة ــ العربية ــ يرمونها بالقصور ، ويميلون الى استبدال العامي من الفصيح » . ويرى بأن اللغة العربية واقعة على مفصل طريقين لا محيد لها عن سلوك واحد منهما ، فإما أن تحيا وتستعيد ماضي شبابها حتى تكون كإحدى لغات أهل العصر ، وأما أن يسجل عليها بموت لا حياة بعده ولا مبعث منه . وكلا الأمرين منوط بالأمة معقود بهممها وسخائها .. فإن وجد في خاصتها وعلمائها وفي حكومتها من ينتدب لسد هذا الرمق والا فليؤبنها ذووها.. » . وهكذا ، وفي مصر



أيضا : وصف جورجي زيدان (العربية) بالكائن الحي .. ووصفها حافظ ابراهيم بالبحر المحشو بالأصداف والدرر.

في العراق وبلاد الشام

هناك أسماء لبعض العلماء والأدباء المشهورين من الذين حملوا مشعل تجديد اللغة العربية في كل من العراق وسوريا . فكان أول من نادى بأصالة اللغة العربية وتجديد تراثها الخالد في العراق هم : الأديب علي الجميل والدكتور حنا خياط والدكتور داود الجبلي (من الموصل) ، واللغوى الأب انستاس ماري الكرملي (من بغداد) . فقد عالج الأستاذ علي الجميل والدكتور خياط في محاضراتهما التي ألقياها في النادي العلمي بالموصل سنة ١٩١٩ ، تاريخ اللغة العربية ، وأمجادها العريقة .. والأخطار التي تواجهها . وكيف حافظت على فصحاها الخالدة في قرونها المتوالية . في حين كان اللغوى الشهير انستاس ماري الكرملي يحرر مجلته الرصينة (لغة العرب) في بغداد . وقد عدت بحق ، من أولى المجلات العلمية العربية التي أسدت للفصحى خدمات جلى .. وتربى عليها جيل عربي كبير . وساهم في تحرير الأعداد الأخيرة منها العديد من الكتاب العرب ، وكان أبرزهم : الشاعر جميل صدقي الزهاوي ، والأديب الصحفي روفائيل بطي ، والدكتور مصطفى جواد .

أما في سوريا ، فكان هناك العديد من الرجال الذين توفر لهم المجال الواسع الذى كرسوه في دعوتهم الى (التعريب) . فقد ظهر العلامة عبد القادر المغربي ١٨٦٧ ــ ١٩٥٦ . في حين كان أترابه وزملاؤه سنة ١٩٠٦ ، ينادون بتنقية اللغة العربية من المفردات الدخيلة ، وقصر الاشتقاق على ما سار عليه القدماء ، كان المغربي يخالفهم جميعا ، في تأكيده : أن اللغة العربية تتطور مع الزمن تطورا سليما صحيحا تأخذ به من اللغات الحية ما تزيد به مفرداتها زيادة تجارى بها سير العلم ، وركب الحضارة . ولكن ليس على حساب شخصيتها وفصحاها . وقد جرت مساجلات في هذا الشأن بينه وبين حفني ناصف ، وعبد العزيز جاويش والخضرى والاسكندرى ، وأحمد زكي ، وحسين والي . ولكن المغربي عاد من مصر الى سوريا ليدعو بدعوته فيها . وقد تحققت دعوته ١٩١٩ ، حين اشترك فارس الخورى وعبد الرحمن الشهبندر ، ومحمد كرد علي في استبدال المصطلحات التركية بالمصطلحات العربية ، أى وضع الكلمات العربية محل التركية (فالياء في العربية تدخل على المتروك) ووضع مع زملائه عددا كبيرا من المفردات المعربة .

تساؤلات

ان الخطر الذى يتهدد لغتنا العربية هذه الأيام ، هو أكبر بكثير من أن تعالجه مقالات الشيخ اليازجي ، أو آراء انستاس الكرملي ، أو ملاحظات الحصرى ، أو نقدات مارون عبود ، أو أدبيات أحمد حسن الزيات .. ففي زحمة ما يتهدد العربية من حرب علنية ، وأخطار خفية ، وسموم هابة من دواخل حصونها .. وعلى أيدى أصحابها من أبنائها المعاصرين ، نتساءل قائلين ومستفهمين عن الدور المسؤول الذى يجب أن تضطلع به المجامع العلمية العربية الشهيرة في اللغة العربية : مجمع الخالدين بمصر ، والمجمع العلمي العراقي ببغداد ، ومجمع اللغة العربية بدمشق ، ومجمع اللغة العربية الأردني ؟ ثم ما هو دور أقسام اللغة العربية وآدابها في الجامعات العربية ومراكز البحوث اللغوية ؟ وما هو دور المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (مكتب تنسيق التعريب) التابعة لجامعة الدول العربية ، والتي تصدر مجلتها الرصينة (اللسان العربي) وأين هو دور الأساتذة المتخصصين في اللغة العربية كعلماء لهم مسؤولياتهم في العمل تجاه الأخطار المحدقة بلغتنا العربية في عالمنا المعاصر من أقصاه الى أقصاه ؟ وهل تنفع مقالة نقدية صارخة كالتي أكتبها في أتون الأزمة ؟ فما هي الا ورقة تواجه إعصارا هائلا ، يزداد قوة ونقمة واكتساحا يوما بعد آخر ؟ وهل من متسائل عن هذا الغثاء الذى نسمعه ونقرأه كل يوم عبر وسائل الاعلام الرسمية ، وبين طيات المجلات الأسبوعية ، والجرائد اليومية .. وعند المثقفين والأدباء المحدثين ؟؟

مسارب الأخطار

١ ــ المؤسسات الاعلامية : لقد فشلت الحرب العلنية التي كان أشعلها خصوم اللغة العربية على فصحاها ، باعتبار أن الأخيرة لا تفي ومتطلبات العصر الحديث . أما المحاولات التي زاوجتها في إحلال الحروف اللاتينية بدل الحروف الأبجدية العربية في الكتابة ، فقد قبرت هي الأخرى دون رجعة ! ولكن المرء الذى يتمتع بقدر واف من الثقافة اللغوية ، والأصالة العربية .. يقف مندهشا أمام الحرب الخفية التي يمارسها البعض من أبناء اليوم ضد لغتهم وفصحاها . وتعتبر الصحافة ، وأجهزة الاعلام ، والمؤسسات الرسمية ، وبعض دور النشر الأهلية ... الخ هي الأرضية الجامعة المشتركة والصالحة لمثل هذه الحرب الآثيمة التي نبتت فيها . وعندما نعلم أن الاعلام والصحافة هما ميدانان أساسيان يلعبان اليوم دورا هاما وخطيرا في التكوين الثقافي واللغوى للجيل المعاصر .. أدركنا عمق المأساة !

٢ ــ الثقافة اللغوية : كان جيل الأمس القريب يقرأ في شبابه كثيرا من أجل أن يبني نفسه . كان شغوفا في قراءاته المتنوعة ، ويجد فيما يقرأه متعة وثقافة وتعلما : كتبا وروايات وأدبا ودواوين شعر .. وقصصا عالمية . تاريخا وفلسفة ، ونقدا أدبيا .. وصفحات من التراث .. الخ . فلو قورن جيل الأمس بجيل اليوم ، لوقفنا على فجوة واسعة تفصل بين اهتمامات كل من الاثنين ، وثقافتهما ومعلوماتهما ، اضافة الى أسلوبهما في التفكير . لقد انغمر جيل اليوم في قضايا هي أبعد ما تكون عن تكوينه الثقافي واللغوى . فقد تكون تلك القضايا : معيشية يومية ، أو اهتمامات رياضية ، أو هموم سياسية ! ان جيل اليوم لا يقرأ كثيرا ، بل يتصفح قليلا !! وهو مشغول البال ، ضعيف الحال ، مشتت الأفكار .. لا يدرى من الثقافة الا مصطلحاتها ، وكلمات يزوقها . لا يتمتع بجرأة علمية ، أو شجاعة أدبية ، أو موهبة لغوية ... ولا يستطيع التخلص من عاميته المسيطرة عليه سيطرة عمياء . وعلى هذا الأساس ، فإننا نلحظ أن هناك آلاف المثقفين يعجزون عجزا كبيرا في ثقافتهم اللغوية . ومنهم ــ على سبيل المثال ــ الأساتذة وأعضاء الهيئات التدريسية والتعليمية ، لا يستطيعون أن يجيدوا عملهم من خلال إلقاء دروسهم ومحاضراتهم شفهيا بلغة عربية مبسطة خالية من التعقيدات أو الأخطاء أو العاميات . أما رجل الاعلام والصحافة ، فحدث ولا حرج لما يقع فيه من أخطاء لا تغتفر فيما يكتبه ، وهزال في نوعية ما يكتبه !! أو تطغى العامية ــ عند البعض ــ على الفصحى .. وهناك السيل الجارف من الكلمات والمصطلحات الأجنبية .

٣ ــ رجال السياسة والتكوين اللغوى : لقد تعاظم خطر استعمال العامية كبديل للفصحى منذ بداية عقد الستينات ، ولم يزل يتفاقم في خطره المروع حتى يومنا هذا وتتجسم ظواهره ليس عند بعض الأفراد فحسب ، وإنما في العديد من الأجهزة الاعلامية ، والهيئات الصحافية ورجال السياسة ، ومنذ الستينات .. عندما جنحوا في مذكراتهم وخطبهم وتصريحاتهم الى استخدام العامية وقد أدى هذا الوضع الى نتائج خطيرة على مستويات عديدة ، خصوصا عند أبناء الجيل الجديد . لقد دخلت الى العربية العديد من

■ ماذا فعلت المجامع اللغوية فى مواجهة الحرب الخفية على اللغة العربية ؟

■ التدهور اللغوى يزداد كل يوم بين الأجيال العربية الجديدة



حافظ ابراهيم
العربية بحر محشو بالأصداف والدرر



سعيد عقل
حمل على الفصحى دون تعقل

كمال أتاتورك
اللاتينية بدلا من العربية



بـــراون
مستشرق عشق العربية

الكلمات والتعابير الناشزة والغريبة على اللغة .. وغدت كمسلمات لغوية عند الجيل الجديد .

٤ ــ مناهج التدريس : لقد وجدت الأجيال العربية الحديثة صعوبات شتى في استيعاب قواعد اللغة العربية ونحوها وصرفها وبيانها .. في المدارس الرسمية والأهلية التي تربوا فيها ، وذلك بسبب ضعف المناهج التدريبية في مواد اللغة العربية .. ونتيجة لذلك كله ، فقد غدا المثقف العربي الجديد ، عدوا لدودا لنحو لغته وصرفها وبيانها .. ودفعه ذلك للايغال في استخدامه كل ما هو غريب وهجين وعامي فيها . ان أحد الأسباب الأساسية في حدوث هذا النكوص المخيف ، هو عقم المناهج لتدريس اللغة العربية في معظم المدارس العربية . وهكذا قاد ضعف المناهج الى ضعف في التكوين اللغوى والثقافة العربية .. ونجد اليوم بعد مراحل من تسيير تلك المناهج ، هوة واسعة بين اللغة العربية وبين أصحابها من الدارسين العرب ، سواء في سنواتهم الأولى أم في سنواتهم المتقدمة . وكانت هذه الهوة هى علة ومعلول فى آن واحد . وقد أدت الى انفصام وابتعاد الجيل الجديد عن استخدامه للفصحى بأسمى صورها ، وأجلى مظاهرها .. ومن ثم نجدهم ، يدخلون كمثقفين ومهنيين وصحفيين ومدرسين وأكاديميين ... فى مؤسسات تربوية وإعلامية وسياسية وثقافية ودبلوماسية وعلمية وفكرية .. لكى يتمرسوا في حرب خفية ضد لغتهم ، سواء كانوا يعلمون بذلك أم لم يكونوا يعلمون !

٥ ــ الفنون الأدبية : لم يقتصر الأمر على الصحافة ، وأجهزة الاعلام الرسمية والمؤسسات السياسية ، وأروقة الجامعات والمعاهد .. في استخدامها للخلط الغريب من العامي واللهجة والهجين ، كبدائل لمرادفات ومسميات في اللغة العربية ، وخصوصا الرواية والمسرحية والقصة والشعر الحديث . وقد اقتنع البعض لهذا الجنوح بحجة أنه دليل بارز لتمثيل الواقع أصدق تمثيل ، وشاهد فعلي على الانفتاح الحضارى !! فى حين يراه المثقف العربى الأصيل من الأدلة البارزة على ضعف اللغة العربية ، وتهشيم قوائمها من خلال ذلك الخلط المضاد لعملية تطور اللغة ورفعتها . ويرى الخصوم في آراء هذا المثقف أنه رجل متزمت ، أو مفكر تقليدى .. ويعتبر مثل هذا الاتهام بحد ذاته ، جنوحا عن الحقيقة ، وحربا على اللغة . وكدليل بارز على عظم التبعية للأجنبي ، وحقيقة جلية فى تأثير الغزو الثقافي ــ الأوربى على أحادية لغتنا العربية ، ودعائمها القومية والتاريخية .. وخصوصا عن طريق الفنون الأدبية المشاعة . ومن العجيب أن يسكت أو يرضى بعض رجالات اللغة . والمختصين فيها على ما فرضته هذه التبعات على مستويات الفنون الأدبية في ثقافتنا المعاصرة !

هذه هي المسارب الخمسة الخطيرة التى يجب أن تلتفت إليها الأنظار ، للحد من ايغالاتها المضادة تجاه اللغة العربية ، والعمل على رفع مستواها بما يخدم واقع ثقافتنا العربية المعاصرة . وفى هذا المجال ، يجب على الباحث والناقد واللغوى والمفكر والأديب .. أن لا يتيه بما يسمى اليوم بقضية (التراث والمعاصرة) . فمسألة اللغة هي قضية حيوية جامعة للبقايا والجذور . ويستوجب على من يتدارسها أن لا يعلق نفسه في برج عاجي ، لينظر فيها ، ثم يوزع الحلول !! بل ان ينزل الى أرض الواقع ، ويعالج جوانبها بحذر ومهل ودراية ونظرة واسعة .. ليرى كم تغص المؤسسات الاعلامية ، ودور النشر الاهلية ، ووزارات الثقافة والاعلام ، واروقة الجامعات والمعاهد والمدارس ، وهيئات الصحافة الرسمية وشبه الرسمية ، والاذاعات ومحطات التليفزيون ... الخ كم تغص بالآلاف من الكوادر المسؤولة عن أهم وأخطر الوسائل التعليمية والتثقيفية والدعائية .. وتكون (اللغة) أعظم وسيلة في الاتصال والافهام والتربية والعلوم والآداب والفنون : إنه جيل اليوم : طاقات عظمي لو كان لها الحظ الأوفر من الثقافة اللغوية الأمينة والرصينة والمتينة .. لأثمرت بشكل خلاق ، وخلقت ــ من بعدها ــ جيلا له سلامته اللغوية ، وثقافته الممتازة .. ولساهمت بأعظم قدر في تطور هذه الأمة .

وهناك ظاهرة أخرى واضحة جلية للعيان ، ولكن قل من يبصرها .. وهي تزداد رسوخا وتبعية وتأقلما .. الا وهي (الأساليب الاقليمية) ! إذ يظهر أن كل بلد عربي ، أو دولة عربية .. تستخدم بعض الألفاظ والأدبيات السياسية التي تكرسها في جرائدها ومجلاتها المحلية . فأصبح أبناء بعض البلاد العربية يعيشون في قوقعة لغوية ولفظية نتيجة لانغلاقهم الثقافي وحصارهم في اليوميات التي يقرأونها ويسمعونها من خلال الصحافة وأجهزة الاعلام . وهذه هي مأساة أخرى ، ستكون لها عواقب وخيمة على أجيال المستقبل لهذه الأمة التي عرفت بوحدة أساليبها وطابعها اللغوى المميز منذ أحقاب طويلة في التاريخ .

ســيار الجميل
وهـــران ــ الجزائر

يشتد الحديث ويحتدم ، ويتحول إلى جدال عنيف قد يفضي إلى القطيعة وما يشبهها ، يشتد الحديث بين فريقين من مفكري الأمة العربية ، حول ما يسمى (بالتناقض أو الصراع بين الأصالة والمعاصرة) ثم حول معالجة آثار المشكلة الناجمة عن هذا التناقض أو الصراع . والذي يسمع هذا القول ، يتصور وربما يعتقد أن المجتمع العربي ، قد انقسم إلى معسكرين أحدهما يتشبث بالأصالة ، باعتبارها الوضع الطبيعي في أمة العرب ، وأن كل ما يخرج عن هذا الوضع ، يفتح ثغرات في بناء هذه الأمة ، أو الأسوار التي بناها الأجداد من العلماء والمفكرين ومفسري القرآن ، وجامعي الحديث ، وتنقيته من المنكر والضعيف والموضوع .



بقلم : فتحي رضوان

ولذلك يجب دعوة أهل الرأي ليضعوا أنفسهم . بحيث يصدون هجمات خصوم العرب ، الذين يودون أن ينقضوا نظرية الأصالة أو عقيدتها . ويتركوا العرب . في عراء حضاري وعقيدي ، وبهذا يخضعون لمن يريد أن يمسخ وجودهم . وينزعهم من أصولهم ، فيستحيلون إلى أقوام ذوي طابع جديد ، وهوية منتحلة ، فتذوي عناصر قوتهم ، وتزول دواعي منعتهم .

أما المعسكر الثاني ، فلا يعتبر الأصالة درعاً يقي من عوادي الضعف وامحاء الشخصية ، ولا هي زاد من العلم وفهم الكون ، ولا مجموعة من قواعد وأصول ، أقامت في الماضي مجتمعاً قوياً منتجاً ، ومستنيراً ، ومبدعاً في كل ضرب : في مجال العلوم ، والفنون ، والآداب ، والصناعات ، وأصول الحكم ، ومناهج البحث ، بل هي طرائق ومناهج لحياة فقدت دوافع مجاراة العصر ، والتطور مع الزمن ، ومواجهة مشكلات هذه الأيام .

ومن ثم فالتشبث بالأصالة ، والاكتفاء بها ، جمود يؤدي إلى التحجر وتخلف نهايته الاستسلام للضعف .

والحق إذا نظرت طويلاً فيما يجري في حياة العرب اليوم ، وما يصدر عن مفكريهم وكبار كتابهم ، ثم حدث فنظرت إلى حياة العرب وهم يضطربون في مجال المعايش وتحصيل الأرزاق ، وتحسين أحوال العامة في بيوتهم ، ومع أولادهم وزوجاتهم ، فلن تجد لا عند الصفوة ، ولا عند العامة ، من الأعراض التي تبيح لنا أن نتصور أن حياتنا في جملتها تعاني مشكلة عسيرة الحل ، تعترض سبيل تقدمنا بما يدعو إلى التسرع في تفسير الانقاذ والخلاص ، لنخرج من خطر يتهددنا وبلاء يتعقبنا . والواقع أن الذي أربك خصوم التحديث أو المعاصرة ، من عامة شعوبنا ، أن التحديث اقترن في الأذهان بمعان راحت تتصاعد حتى وصلت إلى مراتب ودرجات لا يقبلها أي شعب ، مهما كان نصيبه من العلم أو الجهل .

فالمعاصرة ، بدت في أول درجاتها دعوة اصطناع أساليب لم يألفها الآباء والأجداد ، الذين كانوا أقوياء وأغنياء وأتقياء وعلماء . فهل نفقد هذه الصفات الرائعة جميعاً ، حينما نتنكب طريقهم ، وننأى عن أساليبهم ، إما لغضب الله علينا ، وإما لأننا نحينا ما وجدنا عليه آباءنا ولم نهتد إلى خير منه .

واعتبر فريق آخر من أهلينا ، أن المعاصرة هي التغريب ، والتغريب هو الاقتداء بأهل الغرب . والاقتداء بأهل

الغرب مرفوض ومنكور لواحد من ثلاثة أسباب : إما لأن الغرب لا ينوي لنا الخير . فاذا أسلمنا أنفسنا لمذاهبه ومعتقداته ، انزلقنا في مهاوٍ لا نعرف لها نهاية ولا منها مخرجا ، وإما لأن الغرب ، كأفراد على الأقل ، ايمانه برسالات السماء قد اهتز . فالتغريب هو دعوة للكفر أو للتهيؤ له ، وإما لأن الغرب حضارته مادية بحتة ، خالية من المضمون الروحي ، والتطلع الى القيم الباقية ، ونحن نبهر بالنجاح المادي لهذه الحضارة ، ونقلل مما صاحبها من تشوه الجرائم ، وانتشار المعاصي . ولكن الحقيقة التي لا يسوغ لنا أن ننكرها ، أن شعوبنا نحن أبناء العالم الثالث ــ من أقصى الشرق في اليابان الى أقصى الغرب في مراكش أو في الصحراء ، أو سهوب آسيا الوسطى ، لم يرفضوا أن يتناولوا أدوات الغرب ، باعتبارها رجسا من عمل الشيطان . فأفلام الحرب أو أدوات التصوير ، أو أقراص الفونوغراف ، قبل ظهور الكاسيت (والترانزستور) أو ركوب السيارة أو الطيارة ، أو مطالعة الكتاب المطبوع بآلات الطباعة الجديدة ، لم يرفضه ذوونا مهما كان نصيبهم من الأمية ، وقلة الرزق ، فهم لم يترددوا أن يستعملوا كل هذه الأدوات ، ويقدموها على أدواتهم القديمة ، فاذا لم يقدموا على استعمالها فترة ، فمرد ذلك إما الى خلو أيديهم من المال الذي يشترون به هذه الأجهزة الأغلى ثمناً من أدواتنا القديمة ، وإما لعدم الاحاطة بطريقة إدارتها ، وصيانتها ، بل ان الفلاح المصري ، لم يقل عزوفه عن معالجة زوجته وابنته عند الطبيب الرجل ، بل اعتاد أن يصحبهما الى عيادته ، ويلتمس عنده الشفاء ، ويدفع كل ما يملك من أجل عملية جراحية مقرونة بالخطر . وكان علماؤنا أكثر الناس ترددا على هذه العيادات ، وتناول ما تصف من علاج أو دواء .

وما دمنا قد وصلنا الى علمائنا ، فلابد أن نقرر هنا أن شيوخ الأزهر في مصر الواحد إثر الثاني ، أرسلوا أولادهم جميعا الى المدارس المدنية غير الدينية ، بل ان الكثير من أبناء هؤلاء العلماء قد طلبوا العلم في أوربا وأمريكا ، بل ان الكثير منهم ، تزوجوا بأجنبيات اختلطن بأبناء الأسرة التي كانت أزهرية في السابق . وحتى الجماعات الاسلامية التي حاربت الاستعمار ، وحرصت على التزام خصائص الحياة العربية لم يترددوا في شراء الأسلحة الأوربية والغربية والتدريب على استعمالها ، وأحسنوا الانتفاع بها في معاركهم ، وفي مقدمة هؤلاء الأمير عبدالقادر الجزائري في حربه سبعة عشر عاما ضد الفرنسيين من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٧ ، والأمير محمد بن عبدالكريم في ريف مراكش سنة ١٩٢٦ وما بعدها ، والسنوسية في صحراء ليبيا ثم عمر المختار أخيراً . وفي مصر قام طلاب مدرسة دار العلوم يتمرد في العقد الثاني من قرننا الحالي ، حينما حاولت إحدى الوزارات الزامهم بعدم ارتداء الزي العربي الذي عرفوا به عهوداً .

وعن حركة التحديث ، أو التنوير ، أو التغريب يحدثنا الأستاذ (ياسومازا اتورودة) وهو استاذ في جامعة هاواي ، عن حركة التحديث التي بدأت في اليابان بعد فتح أبوابها للعالم الخارجي سنة ١٨٥٣ ، بعد أن سدت هذه الأبواب في وجه هذا العالم في ثلاثينات القرن السابع عشر . وحينما بدأ اليابانيون يعودون الى العالم ، أخذوا منه كل شيء مادي ونفعي وعملي ، مع الاحتفاظ بكل شيء روحي وباطني ، وهو ما عبر عنه امبراطورهم حاجي سنة ١٨٦٨ . ويرى الاستاذ (ياسومازا) أن التحديث ليس فقط نقلاً عن الخارج أو محاكاة للغير ، ولا سيما إذا كان هذا الغير ، من الغرب ، بل إنه التطوير الداخلي ، لوسائل ، وأساليب وطرائق تفكير الشعب الموروثة بعقل التطور الداخلي المستقل ، المعتمد على موارد الشعب الروحية والنظر فيها ، واستنباط وسائل وطرائق منبعثة منها ، ومتفرعة عليها ، تجعل الحياة أكثر رفاهية ، والصعوبات العملية أقل تحجرا ، وقد قرر الأستاذ ياسومازا حقيقة هائلة ترينا أن التحديث ليس نقلاً ومحاكاة ، وليس تطوراً وافداً عن الآخرين ، بل يمكن أن يكون تطوراً من الداخل ، ويقول الأستاذ عندما بدأت سياسة الباب المفتوح في اليابان في عهد الامبراطور حاجي سنة ١٨٦٨ ، كان نصف السكان من الذكور يعرفون القراءة عند انتهاء عصر (طوكيوجاوا) .



والغريب أنه في هذا العهد نفسه ، أي في سنة ١٨٦٨ ، كان الخديوى اسماعيل ، قد أخذ يروج شعار أن مصر قطعة من أوربا ، ومع ذلك كان أكثر زعماء التطوير ، والتنوير ، والتحديث ، من علماء الأزهر وفي مقدمتهم حسن العطار ، رفاعة الطهطاوي ، أو علماء بدأوا حياتهم الفكرية في الأزهر مثل على مبارك ، وعبدالله فكري ، ثم اصطنعوا الحياة الغربية ، ولاشك أننا نقر بفضل رفاعة الطهطاوي ، فيما فعله بكتابيه العظيمين (تلخيص باريز) و (مباهج الألباب) ، في تبسيط قواعد الحياة الأوربية الفكرية والسياسية والاجتماعية ، ولكني أؤكد أن الحياة المصرية كانت تتطور باصطناع أساليب التحديث ، دون أن يكون ذلك مفضياً الى ضياع الشخصية العربية ، أو الذوبان في الشخصية الغربية . فان كل الذين مهدوا للحياة الحديثة قبل رفاعة الطهطاوي أو معه أو بعده ، حرصوا على أن يكونوا مصريين عربا أقحاحا ، دون أن يسعوا على المنهج الذي اتبعه اليابانيون ابتداء من سنة ١٨٦٨ حينما قالوا بالأساليب الحديثة مع الروح اليابانية .

جملة القول إن الأمة العربية لا تعاني انفصاما أو انقساماً روحياً بسبب مشكلة ما يسمى بالمعاصرة والأصالة :

أولا ــ لأن مقاومة الجديد ، هي ظاهرة انسانية وطبيعية ، وقد قوبلت كل دعوة للتطور بالرفض والتشكيك . ثانيا ــ ان الخوف من الجديد ، ومن التطور لا يؤدي دائما الى الحيلولة دون التطور .

ومن ثم ، فإن المشكلة ــ مشكلة الأصالة والتحديث ــ ليست في الحجم الذي نتخيله ، ولا على الصورة التي نتصورها فهي ظاهرة طبيعية ولعلها صحية ، والشعب العربي ، وقف منها موقفا معقولاً بعيداً عن التحجر والجمود .

عمر المختار



رفاعة الطهطاوى



عرب النقب المنسيّون في مواجهة الدّوريات الخضراء

الصهاينة يصادرون أراضيهم ومواشيهم ويجمعونهم في معازل عنصرية

بقلم : عصام شريح

عرب النقب .. أولئك المنسيون في زحام المعارك السياسية .. والخلافات العربية .. تطحنهم رحى الصهيونية يومياً .. وتلقي بهم خارج أراضيهم وديارهم وقراهم .. الى معازل عنصرية أقامتها لهم في أطراف الصحراء.

هؤلاء العرب .. بعض قومنا .. ألا يستحقون من بقية العرب ، دفاعاً ودعماً لقضيتهم ؟! ألا يستحقون أن يصرف الاعلام العربي حيزاً للتعريف بهم وبالحيف الذي يحيق بهم ؟!

هنا .. محاولة في هذا الاطار .. لتعرف أجيالنا ماجرى ومايجري لعرب النقب تحت نير الاحتلال الصهيوني .

النقب

النقب إقليم يقع جنوب فلسطين ، ويشغل مساحة تقل قليلاً عن نصف مساحتها ، أي أن مساحة النقب تبلغ اثني عشر ألف كيلومتر مربع ، امتداداً من مدينة بئر السبع في الشمال الى أم رشرش وخليج العقبة في الجنوب . ولهذه المنطقة شكل مثلث كبير قاعدته في الشمال ، ورأسه في الجنوب ، وضلعه الغربية حدود فلسطين مع مصر (سيناء) ، وضلعه الشرقية حدود فلسطين مع الاردن على طول وادي عربه .

والنَّقَبُ والنُّقْبُ هو الطريق ، وقيل الطريق الضيق في الجبل ، والمنقبة هي الطريق بين الدارين ، وتدل هذه التسمية على أهمية موقع النقب من الناحية الجغرافية ، وعلى أنه ممر تعبره الطرق الى البلدان المحيطة به . وتوضح نظرة الى خريطة المنطقة ، انطباق التسمية على الدور الجغرافي لموقع النقب ، فهو يتصل من جهة الجنوب بسيناء وشمال شرق أفريقيا (وادي النيل ودلتاه) ، وبشمال شبه جزيرة العرب براً أو عن طريق خليج العقبة ومياه البحر الأحمر بحراً ، وأما في الشمال ، فيتصل النقب بأرض فلسطين الأم ، ومنها الى بلاد الشام . والنقب بوابة بلاد الشام الجنوبية الغربية لأية حركة أو هجرة أو تجارة أو غزو .. والنقب هضبة كبرى مكونة من هضاب أصغر ، تعلوها في بعض المناطق ، كتل جبلية بارزة فوق مستويات الهضاب شبه المنبسطة ، والمناخ فيه مناخ صحراوي أو شبه صحراوي ، أمطاره قليلة ، وهي تنخفض من الشمال الى الجنوب ، حيث يتقلص عدد الأيام المطيرة من ٢٥ يوما الى أقل من ١٠ أيام في السنة ، لذا فان الأوضاع المائية في النقب سيئة ، لاتسمح بقيام نشاط اقتصادي وبشري ، يتجاوز حدود الرعي وزراعة الواحات التي تعتمد في استمرارها على المياه الجوفية أحيانا ، أو على المياه المجرورة من شمال فلسطين عبر الأنابيب أو الأقنية ، لذلك فان العمران في النقب ضعيف على الغالب ، وأهم التجمعات السكانية فيه تنحصر في الشمال وأجزاء من الوسط ، وهي تقوم على شكل مدن صغيرة وقرى وخرب أهمها مدينة بئر السبع وبلدة العوجا ، ومن الخرب : زويريتا وأرديحه وأم رجوم وأم رشرش ، لكن النقب كان ومايزال مرتعاً لعدد من القبائل العربية ، أهمها قبائل « الأحيوات » أو « اللحيوات » ، والسعيديين ، والعزازمه ، والتياهه ، والصبيحين والظلام ، ومن العشائر المعروفة طرابين الصانع والعطاونه وأبو ربيع .. الخ .. وفي النقب ثروات باطنية كالفوسفات والنحاس وبعض الأحجار الكريمة .

مزارعون لا بدو

وعرب النقب كانوا في جلهم مزارعين على الدوام ، وقلة منهم ماتزال تجوب الصحراء بحثاً عن الكلأ والماء لرعاية مواشيها ، بل ان النقب تحول الى مناطق تعرف بأسماء العشائر العربية التي تقطنها ، ويقول رئيس عشيرة طرابين الصانع ، ان العشائر لم تعد تذكر الأيام التي تحولت فيها الى الزراعة ، فقد كان ذلك منذ أمد بعيد ، وهنالك مصادر من عهد المماليك تتحدث عن العشائر التي كانت تزرع هذه المنطقة أو تلك من النقب ، لكن الصهاينة ، هم وحدهم الذين يصرون على تسمية عرب النقب ، بالبدو ، وبخاصة

خمسة ملايين يهودي لإسكانهم في النقب، بعد شق قناة من شمال فلسطين الى جنوبها لجر مياه الأردن والليطاني الى النقب، من أجل تحويل أراضيه الى مناطق زراعية، ويضيف بن غوريون أنه لو تسنى اسكان خمسة ملايين يهودي في النقب، فان «اسرائيل» ستصبح في منأى عن خطر الاجتياح العربي تحت جميع الظروف والأحوال. وكان بن غوريون يستشهد بتقرير «سمبسون» البريطاني عن النقب، والذي قال فيه «إنه لو تيسرت مياه الري في منطقة بئر السبع، لكان فيها مورد لا ينضب معينه من الأراضي الصالحة للزراعة».

لذلك، عمدت حكومات العدو المتعاقبة على إيلاء أهمية بالغة لتهويد منطقة النقب والقضاء على الوجود العربي فيها بجميع الأساليب وشتى الوسائل، وكان أول عمل قامت به في هذا السبيل، تحويل مياه نهر جريشه من منطقة يافا الى النقب، ثم حفر قناة لنقل جزء من مياه بحيرة طبريا ونهر الأردن في شمال شرق فلسطين الى تلك المنطقة، ثم قامت ببناء المفاعل الذري الثاني في مستوطنة «ديمونا» بشمال صحراء النقب في عام ١٩٥٨، وهو بحسب تقديرات الخبراء، قادر على انتاج ٨٧٦٠ غراما من مادة البلوتونيوم الضرورية لصنع قنابل ذرية.



وجهاء من عرب النقب

اوساطهم الرسمية، وذلك ضمن مخططهم التهويدي، الذي يرمي الى تصوير عرب النقب بالقبائل الرحل غير المستوطنة، والفاقدة بالتالي لأي رباط بالأرض أو ملكية شرعية لها، لأن البدو جماعة تبحث عن الماء والكلأ، وليس لها موطن معين. ويستغل الصهاينة أحيانا التباين القائم بين المزارعين العاديين في بقية الأراضي الفلسطينية والمزارعين من عرب النقب، حيث يعتمد هؤلاء الأخيرون على تربية المواشي، وبخاصة الجمال والماعز، بشكل أكبر من اعتماد القرويين العاديين عليها. وذلك عائد الى طبيعة الأرض في النقب التي لا تسمح بالزراعة على نطاق واسع. فعشيرة «طرابين الصانع» مثلاً، كانت لها قرية في منطقة «الحبيبات» جنوب المستوطنة الصهيونية المسماة اليوم «أوفكيم». وفي عام ١٩٥١، قامت سلطات الاحتلال بتهجيرهم من مواطنهم تلك، الى جنوب منطقة تعرف باسم «السغيب» بحجة اعتزام الجيش الاسرائيلي القيام بمناورات عسكرية في منطقة «الحبيبات»، لكن أبناء العشيرة العربية، تعرضوا مرة أخرى للتهجير الى منطقة تحاذي وادي الخليل، حيث خصصوا لهم ٣٠٠ دونم من الأرض. أما أراضي الحبيبات فقد ضمت الى المستوطنات الصهيونية في المنطقة. ومع ذلك فان عشيرة طرابين الصانع، تمارس الزراعة في موقعها الجديد، حيث تزرع القمح والشعير والكرمة والبطيخ.

ألون .. والنقب

كان إيغال ألون، وهو نائب رئيس وزراء ووزير خارجية سابق (متوفى)، قائداً للجبهة الجنوبية في عام ١٩٤٨. وقد ذكر في كتابه «بناء جيش اسرائيل»، أن اليهود استوطنوا بأعداد قليلة منطقة شمال النقب قبل عام ١٩٤٨ - أي قبل قيام الكيان الصهيوني، بيد أن الاحصاءات تشير بوضوح الى أن الصهاينة لم يكونوا يملكون من أراضي النقب في ذلك الوقت أكثر من نصف بالمئة. لكن دافيدبن غوريون، أول رئيس للحكومة في الكيان الصهيوني، ركز في كتاباته على أهمية النقب، واستوطن هو نفسه في احدى المستوطنات في هذه المنطقة «سدية بوكر» وكان يقول ان خطته للمستقبل هي استجلاب

الدوريات الخضراء !!

في تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٧٦، اتخذت حكومة العدو قراراً بتشكيل مجموعات مسلحة، مهمتها الاشراف على ماوصفته «بأراضي الدولة». وقد جاء تشكيل هذه الدوريات، التي يطلق عليها عرب النقب اسم «الدوريات السوداء»، في أعقاب نشر التقرير الذي أعده إيغال ألون، وجاء فيه أن عرب منطقتي «الجليل» و «النقب»، يستولون على «أراضي الدولة»، ويقطنون فيها بصورة غير قانونية. وحذر ألون في تقريره، مما أسماه «بالتوسع العربي في منطقتي الجليل والنقب»، وقال: «إن من شأن هذا التوسع، أن يشكل غالبية عربية، ويعيد الوضع مرة أخرى، الى ماكان عليه قبل قيام اسرائيل!!» وطالب ألون باتخاذ «اجراءات حاسمة وفورية لوقف هذا التوسع، وطرد المواطنين العرب، الذين احتلوا أراضي الدولة، وأقاموا فوقها المباني والدارات الفخمة!!».

وقد أثار تقرير ألون هذا ضجة في حينه في الكيان الصهيوني، دفعت وزير الزراعة

عرب النقب المنسيّون
في مواجهة الدوريات الخضراء

آنذاك أهارون روزين ، الى تشكيل لجنة خاصة برئاسة مئير زوريع ، مدير دائرة أراضي الدولة ، ، لدراسة الوضع في منطقتي الجليل والنقب . وبعد انتهاء اللجنة من مهمتها رفعت توصية للحكومة . تقضي بتشكيل ما أسمته ، بوحدة الرقابة على الأراضي المفتوحة ، . أي الأراضي غير المستغلة من قبل اليهود ، وقد ناقشت الحكومة هذه التوصية ، وكان إيغال ألون ويسرائيل غلبلي من أشد المتحمسين للفكرة ، وطالبا بتنفيذها على الفور ، واقترح اريئيل فيما بعد تسميتها ، بالدوريات الخضراء ، ، وهكذا كان .. وعندما أصبح شارون وزير الزراعة في عام ١٩٧٧ في حكومة الليكود الأولى ، احتضن ، الدوريات الخضراء ، ومنحها صلاحيات مطلقة .. هنا بدأت مسرحية خبيثة للتغطية على الجرائم التي ترتكبها الدوريات الخضراء ، ولامتصاص أي امتعاض أو اعتراض في الداخل والخارج . وكالعادة فقد برز من يدافع عن الدوريات الخضراء وممارساتها الوحشية ، كما برز من يعترض على هذه الممارسات ، ويعرب عن الأسف للأعمال غير القانونية التى ترتكب من قبل هذه الدوريات .

ألون غلبلي

ألون غلبلي هو قائد الدوريات الخضراء ، وهو يبلغ من العمر حاليا ٤٦ عاما ، وهو من أنصار حزب ، هتحيا ، اليميني المتطرف ، وحركة ، غوش ايمونيم ، المعروفة بدعوتها الى طرد العرب من أراضيهم ، غلبلي هذا يشبه مواطني النقب العرب ، بأعضاء العالم السفلي ، العصابات ، في تل أبيب . ويقول ان عرب النقب ــ يسميهم بالبدو ــ عبارة عن ضيوف جدد على هذه المنطقة ، لأنه عندما كان يمر بنفسه في النقب في مطلع الخمسينيات ، كان من الصعب عليه أن يعثر على أكثر من ثلاثة أشخاص من ، البدو ، ، أما ، البدو ، الحاليون ، فقد جاؤوا الى ، اسرائيل ، في عام ١٩٦٢ فقط ، وذلك بموجب قانون جمع شمل العائلات ، بشرط أن يعيشوا طبقا للقوانين المرعية في ، اسرائيل ، ، وقد جمعوا في ، وادي شخيب ، في النقب ، ويجب أن يبقوا في هذا الوادي ! ، .

ويضيف ألون : إنه ، ليس للبدوأية حقوق في النقب ، لأن اليهود وصلوا الى هذه المنطقة قبلهم ــ على حد زعمه ــ لذلك فلن أترك عربيا واحداً في صحراء النقب ، ولسوف أعمل على ترحيلهم جميعا من هنا . ، .

ويمضي ألون في مزاعمه التي نشرتها صحيفة ، هعولام هزيه ، ، التي يرأس تحريرها ، أوري أفنيري ، . في شباط (فبراير) من عام ١٩٨٢ ، فيقول : ، إن كل منطقة تتحرر من ، الاستيطان العربي !! ، ، أكون فخوراً بها ، ذلك لأنها أصبحت ، نظيفة من العرب ، ــ أي منطقة يهودية مطهرة .. وعندما أمر اليوم بالمناطق التي أخليت العرب منها ، فإنني أشعر بالارتياح والسعادة ، ذلك لأنني حررت أراض جديدة ، أصبح بوسع اليهود استخدامها لجميع الأغراض .. وأنا عندما أنتهي من مهمتي هذه في النقب ، سأتجه شمالاً الى منطقة الجليل ، حيث سأعمل على تهويد الجليل وترحيل سبعمئة ألف عربي منه ، وذلك سوف يعني الشيء الكثير لاسرائيل ، .

أما ابراهام يغي ، الذي يوصف بأنه الناطق الرسمي باسم الدوريات الخضراء ، فيقول : ، إننا نعمل بموجب القانون ، ولا يستطيع أحد أن يشك في ذلك ، وإذا كانت هناك مخالفات يرتكبها أعضاء الدوريات الخضراء ، فذلك لأن هؤلاء العرب لا يفهمون سوى لغة القوة والعنف .. ثم منذ متى كان الاسرائيليون يحتجون على معاناة العرب في فلسطين .. إننا نفعل كل مانراه مناسبا ، ولصالح إسرائيل والاسرائيليين ، ولا حق للعرب في هذه الأراضي أو هذه المنطقة (النقب) لأنها جزء لا يتجزأ من ، اسرائيل ، .. ثم لماذا لا تكون ملايين الدونمات هذه ملكا لليهود .. إن الوزير أريئيل شارون اتصل بالدوريات الخضراء مرات عديدة ، أعرب لنا فيها عن ارتياحه التام لجميع الأعمال التي نقوم بها .. فهل كان شارون على خطأ مثلاً ؟!

ويصف أحد أعضاء الدوريات الخضراء ، العمل الذي يقوم به ، فيقول ، بنغي أدار ، المفتش في الدوريات : ، إنني أعمل في منطقة النقب منذ سنوات ، وأي قطيع من الماشية العائدة للعرب ، أجده داخل ، أراضي الدولة ، . أعمد الى مصادرته على الفور ، ونقله الى مدينة بئر السبع ، حيث يباع هناك فوراً في سوق الكرنتينا ، ولست ملزما بتحذير المواطنين العرب من مغبة إدخال قطعان ماشيتهم الى ، أراضي الدولة ، ، وعلى أية حال فإن أفضل تحذير لهم ، هو مصادرة قطعانهم وبيعها في السوق ، وليذهبوا ويشتكوا لمن شاؤوا ، فلن يستمع أحد لشكاواهم !! ، .

شموئيل توليدانو

وللتخفيف من ردود الفعل بين العرب أو على صعيد الرأي العام العالمي ، إزاء هذه التصريحات ، أوعزت حكومة العدو الى المستشار السابق لرئيس الحكومة الاسرائيلية للشؤون العربية ، شموئيل توليدانو ، الى ، تمثيل ، دور المحامي الذي يدافع عن عرب النقب ، ويستنكر ممارسات ، الدوريات الخضراء ، ، يقول ، توليدانو ، : ، إن شكاوى مؤلمة كانت تصلني يوميا من عرب النقب ، يروون لي فيها حكايات عن اعتداءات إجرامية بشعة ، يقوم بها رجال الدوريات الخضراء ضدهم ، ولقد أرسلوا لي صوراً وأشرطة تسجيل ، تثبت دون أي مجال للشك ، أن ماكان يقوم به رجال الجستابو في عهد النازية الألمانية ، يقوم به اليوم رجال الدوريات الخضراء في اسرائيل ، . ويضيف توليدانو أنه ماكان باستطاعته ، قراءة تلك الشكاوى المؤثرة والمحزنة للغاية . فقد كان رجال الدوريات الخضراء ، يعتدون على النساء الحوامل ، وعلى الأطفال والرجال المسنين ، وكثيرون من هؤلاء ماتوا متأثرين بالجروح التي أصيبوا بها من جراء اعتداءات رجال الدوريات الخضراء عليهم .. وكانت هناك شكاوى عن عمليات سطو مسلحة على منازل وخيام عرب النقب ، سرق خلالها رجال الدوريات الخضراء مصاغ بعض النسوة . كما استولوا على قطعان ماشية ، وعلى قطع أثرية قديمة .. وكل ماكان يصل الى أيديهم كانوا يصادرونه .. سرقوا قطعانا كاملة من المواشي وباعوها في أسواق بئر السبع بربع سعرها الحقيقي ، واعتدوا بالضرب على العرب بشكل شبه يومي ، لدرجة أن رجال الدوريات الخضراء ، كانوا يجلدون هؤلاء المواطنين العرب بالسياط اللاسعة ، ولا أعتقد بأن هناك مواطنا عربيا واحداً في النقب ، ذكراً كان أم أنثى ، مسناً كان أو يافعاً ، قد سلم من عمليات الجلد والضرب هذه . ،

ويعرب توليدانو عن ، تأثره ، لهذه الانتهاكات لحقوق الانسان ، لكنه يتنصّل كالعادة من المسؤولية عنها ، ويقول إنه كان يرفعها لرئيس الحكومة اسحق رابين أو لنائبه إيغال ألون آنذاك ، فكانا يعربان عن غضبهما ، ويضيف توليدانو : ، كنت أقول لرابين وألون ، انني لا أحب هؤلاء العرب ، وانني أكرههم ، ولكن هناك قانون ، ولا يعقل أن يحدث كل هذا دون أن تلجأ الحكومة الى



ما زالت اسرائيل تواصل سياسة قضم الأرض وتفريغها من السكان الأصليين ، وتجميعهم في معازل صهيونية .. هي عبارة عن بيوت من الصفيح فقط !

إجراء لوقف هذه الجرائم ، وهذه المجازر التي يذهب ضحية لها أطفال ونساء حوامل !! »

نماذج من الممارسات

تقدم صحيفة « معولام هزيه » نماذج مؤلمة من ممارسات الدوريات الخضراء ضد عرب النقب ، ومن النماذج أن رجال الدوريات هؤلاء ، أقدموا على قتل فتاتين عربيتين ، وسرقوا كيلوجراماً من الذهب « حلي » ، وقاموا باختطاف أحد الصبيان .

ويروي المواطن العربي « فارس صروح » وهو من مواطني مدينة بئر السبع ، ويبلغ من العمر خمسة وستين عاما ، أنه تعرض مع مجموعة من زملائه الرعاة لضرب مبرح على أيدي رجال الدورية الخضراء ، حتى فقد وعيه ، وبعد أن عاد إليه رشده ، لم يجد قطيع الماشية ، ويقول فارس صروح « اني بعدما تعرضت للضرب والاهانة وسرقة ماشيتي ، أستدعيت الى مركز الشرطة الاسرائيلية بالمدينة (بئر السبع) للتحقيق معي ، وكأنني أنا المجرم ، وهناك أجبروني على التوقيع على ورقة لا أعرف مضمون ماكان مدوناً عليها ، لأنني لا أعرف القراءة والكتابة ، وبعد ذلك اكتشفت أنني وقعت على عقد ببيع ماشيتي دون أن أدري بذلك ... » ويضيف : « لقد فكرت بعد ذلك في الأمر ملياً لاسترجاع ماشيتي ، لكنني أدركت أنني لو توجهت الى القضاء بالشكوى ، فانني لن أنجح مطلقاً في مسعاي ، لأنني واثق من أن « القانون الاسرائيلي » لن « ينصفني » بل سيحولني الى مجرم ، ومن ثم فإنهم سيدفعونني بشتى السبل لمغادرة هذه المنطقة .. إلا أنني لن أغادرها ماحييت » .

ويروي المواطن العربي « نوري العقبي » ، وهو نجل الشيخ سليمان العقبي رئيس عشيرة العقبي ، أن مندوبا عن الحاكم العسكري الاسرائيلي زار والده في أواسط آب (اغسطس) من عام ١٩٥١ ، فأقام الشيخ سليمان العقبي مأدبة غداء فاخرة له ، وبعد الغداء أمر الضابط الاسرائيلي الشيخ سليمان بصفته شيخ العشيرة ورئيسها ، أن يمثل في اليوم التالي في مركز الحكم العسكري في كيبوتس شوفال ، وبدون أي اعتراض أو سؤال ، اعتلى الشيخ العربي صهوة حصانه الأبيض ، وذهب الى المكان في الموعد المحدد ، وهناك طلب منه الحاكم العسكري الصهيوني ، أن يبلغ أفراد عشيرة العقبي ، بأن عليهم الرحيل من المنطقة ، والانتقال الى منطقة أخرى ، وعندما سأل الشيخ سليمان عن السبب ، أجابه الضابط الاسرائيلي : لاتسأل ، وإنما يتوجب عليك أن تنفذ أوامرنا ، لأننا بحاجة الى أرضكم لاجراء تدريبات ومناورات للجيش الاسرائيلي عليها ، ويضيف نوري العقبي ، أن الحاكم العسكري الاسرائيلي حول حياة والده طيلة أربعة أشهر الى جهنم ، حيث كان يستدعي للمثول في كيبوتس شوفال كل صباح ، وبعد الظهر في مركز الحكم العسكري بمدينة بئر السبع ، وبالاضافة الى ذلك ، فقد كانت سيارة محملة بجنود الجيش أو الشرطة ، تصل مع اشراقة شمس كل يوم الى مضارب العشيرة ، لكي تثير الرعب في قلوب المواطنين العرب ، حيث كان الجنود الاسرائيليون يطلقون نيران أسلحتهم الرشاشة على الحيوانات والمواشي والكلاب وأحيانا في الهواء ، لترويع العشيرة ، الأمر الذي لم تجد العشيرة أمامه بداً من النزوح الى مكان في الصحراء حددته السلطات الاسرائيلية . ولعل مما يزيد في آلام أبناء عشيرة العقبي ، أن سلطات الحكم العسكري سلمت الشيخ سليمان في تلك الفترة وثيقة حددت فيها الأراضي التي ستحصل عليها العشيرة عندما تعود الى منازلها بعد ستة أشهر فقط . لكن .. وبعد مرور ٣٥ عاما ، فإن الأشهر الستة هذه لم تنته بعد !!

عصابة الدوريات السوداء

وفي الواقع فإن الدوريات الخضراء ، ليست أكثر من عصابة صهيونية ترتدي الطابع الرسمي ، وهي جزء لايتجزأ من الجيش الاسرائيلي . فلا يعقل أن يكون الخمسمئة جندي العاملين في نطاقها ، مجرد متطوعين محليين ، خاصة وأن هؤلاء هم من أنصار العصابات المتطرفة مثل حزب هتحيا وحركة غوش ايمونيم وحركة كاخ وحزب الليكود ، وجميع هؤلاء يتحدثون العربية ، وقد أقامت لهم الحكومة الاسرائيلية مدارس خاصة لهذه الغاية .

فالهدف من وراء تشكيل الدوريات الخضراء ـ بل السوداء ـ واضح تماما ، ألا وهو تهجير عرب النقب بشتى السبل والأساليب القمعية ، وفي مقدمتها الوسيلة الاقتصادية التي تحرمهم من وسيلة عيشهم الأساسية ، أي مصادرة الأرض ، لمنعهم من الزراعة ، ثم مصادرة قطعان المواشي لحرمانهم من أود العيش فمن أصل مئتي ألف رأس من الماعز في عام ١٩٧٧ ، لم يتبق لعرب النقب اليوم أكثر من سبعة آلاف رأس من الماعز . ومن الطرائف التي تروى في هذا المجال ، أن المواطن العربي صاحب القطيع المصادر ، ملزم بدفع نفقات نقل المواشي حيث يتوجب عليه دفع عشرين ألف شيكل (بحسب سعر الشيكل في عام ١٩٨٢) لنقل مواشيه المصادرة الى سوق بئر السبع لبيعها هناك ، وإذا شاء استعادتها ، فعليه أن يشتريها مرة أخرى في السوق .

إذن .. هي سياسة التهجير .. أو سياسة قضم الأرض وتفريغها من السكان الأصليين ، وتجميع العرب في مناطق محددة ، تماما كما هو الحال بالنسبة للأفارقة في جنوب افريقيا العنصرية ـ أي في معازل صهيونية عنصرية .. فماذا يفعل عرب النقب في وجه كل هذا الويل النازل بهم ؟! .. ومن يخرج قضيتهم من الظلمة الى النور ؟!!

عصام شريح



حوار مع عاشق الزنوج

- العالم يضم ٣٠٠ مليون من الزنوج
- حقيقة حركة الإحياء الزنجي

أجرى الحوار: د . مصطفى كامل عبد الستار

إلتقيت به وكان أمامه مجموعة كبيرة من الكتب والمقالات والدوريات والمجلات الفرنسية والانجليزية والعربية وعدد كبير من الأسطوانات لأغان باللهجات الأفريقية . وكان منهمكا في ترجمة بعضها والاطلاع على البعض الآخر، وعلى موسيقى الجاز التى يعشقها والتى يعتقد ـ ويحاول أن يقنعنى أنها موسيقى أفريقية الأصل مائة في المائة ـ وجدت عنده كثيرا من المعلومات الطبية العجيبة والفريدة ليس عن الزنوج فحسب ولكن عن كثير من أجناس الأرض ، فهو يعرف من قراءاته وأسفاره كيف يموت الزنوج وبأى الأمراض يصابون . والمساهمات الرائعة للزنوج في مجال الطب في أمريكا وأوربا الغربية ، وتأثيرهم على الحياة فى الغرب ابتداء من قطعة الموسيقى وديوان الشعر والأغنية حتى عالم الأزياء.

ولقد حاولت أن أدخل أعماقه لأكتشف حبه للآداب والفنون الزنجية وما يطلق عليه اسم الحضارة الزنجية . إنه الكاتب والشاعر والمترجم الدبلوماسى محمد طنطاوى .

س : متى بدأت تتعرف على أهم ملامح الحركة الزنجية ؟

جـ : عندما التحقت بالسلك السياسى عام ١٩٦٤ التحقت بقسم الدول الأفريقية بإدارة الأبحاث والمعلومات . وقد كان ذلك بالنسبة لى نافذة أطل منها على افريقية الحديثة الاستقلال . فعرفت ما يدور على أرضها سياسيا واقتصاديا ، ثم سافرت عام ١٩٦٧ للعمل فى غرب أفريقيا ، وهناك اكتشفت أن ما قرأته عن افريقيا لا يقاس بما يكتسبه الانسان من المعايشة اليومية للاخوة الافارقة حيث بهرتنى الطبقة المثقفة هناك ، والذين حصل معظمهم على شهادات من فرنسا وانجلترا ، ومن هنا بدأ اهتمامى بالبحث عن جذور هذه الحضارة العريقة التى يطلق عليها الزنوج حضارة الزنجية وحضارة الأربعة مليون عام (الزنجية Negritude) .

س : كيف نشأت نظرية الزنجية وأين نشأت ومن الذي دعا اليها ومتى كان ذلك ؟

جـ : من المعروف أن معظم الدول الأفريقية كانت مستعمرات انجليزية أو فرنسية أو المانية أو برتغالية أو أسبانية فى بداية هذا القرن ، ولما قامت الحرب العالمية الأولى تراجعت ألمانيا والبرتغال عن معظم مستعمراتها واحتلتها انجلترا وفرنسا اللتان حاولتا نشر ثقافتيهما وفرض لغتيهما على هذه المستعمرات ، وفى فرنسا كان ثلاثة من الشبان السود يدرسون اللغة الفرنسية وآدابها كغيرهم من أبناء المستعمرات الفرنسية ، وكان من بينهم شاعر السنغال الكبير الرئيس ليوبولد سيدار سنجور ومعه الشاعر سيزار والمفكر الكبير داماس وكلهم من الزنوج ، وقد لفت نظرهم نبوغ كثير من الشبان السود فى دراستهم ومحاولة فرنسا استجلاب أعداد كبيرة منهم لتعليمهم وتدريبهم للاستفادة منهم فى كافة المجالات العلمية والعسكرية وغيرها .

وقد اتفق هؤلاء الثلاثة (سنجور ـ وسيزار وداماس) على أن يقودوا حركة البعث الزنجي Negro Renaissance وظهر فيما بعد فى الجانب الآخر من المحيط الأطلسى قائد آخر للحركة الزنجية فى أمريكا يدعى « آلان لوك » استعار هذه التسمية واتخذها شعاراً للحركة الزنجية فى العالم الجديد ، ومن هنا بدأ انبعاث حركة زنجية ذات مضمون أفريقى وثقافة أمريكية لاتينية ، وهكذا يتضح البعد الانتشارى للحركة الزنجية وروادها المخلصين وحرصهم على إعطاء نشاطهم طابعا يتسم بالشمولية والدولية وبعث الانسان الزنجى أينما كان .

س : هل ظهرت على أرض أفريقيا قمم فكرية فى مجال الابداع الأدبى والعلمى مثلما ظهر فى فرنسا وانجلترا ؟

جـ : أولا من ناحية انجلترا فإن الحركة الزنجية لم تستطع أن تجد أرضا مناسبة لكى تنمو فيها فى لندن كما حدث فى باريس ؛ فقد كان الحى اللاتينى فى باريس معروفا بأنه يجمع قادة الفكر والثقافة ورواد الأدب والفن في فرنسا مما شجع على نمو هذه النظرية وظهور روادها مثل سنجور وسيزار وغيرهما من مثقفى جزر البحر الكاريبى . كما ظهرت فى

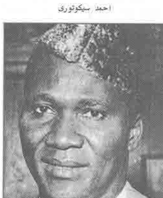
● لمـــاذا يموت أكثر الزنـوج بالأمراض الصدريـــة؟

● ثـلـث المباريات الأمريكيـة يكسـبها الزنـــــوج



محمد طنطاوي

الخمسين عاما الأخيرة عدة أعمال فكرية وأدبية وشعرية وصلت إلى مستوى العالمية . وظهر شعراء كبار في كل من السنغال ونيجيريا والكنغو ومالاجاش حتى أن الشاعر السنغالي سنجور عندما بدأت ابداعاته الشعرية في الظهور ترك عمله كمدرس وعاد الى باريس لدراسة العلوم الانسانية والآداب حتى عين ممثلا عن السنغال في الجمعية الوطنية الفرنسية ثم عين فيما بعد عضوا في الأكاديمية الفرنسية التي تضم كبار رجال العلم والفكر والثقافة والأدب في فرنسا . وكان أول زنجي يشغل هذا المنصب في تاريخ فرنسا . كما ظهر في الخمسينات قادة أفارقة آخرون في الدول الأفريقية الناطقة بالانجليزية مثل جومو



احمد سيكوتوري

كينياتا في كينيا ونكروما في غانا ثم هوفيه بوانيه في ساحل العاج وموديبو كيتا في مالي وسيكوتوري في غينيا وهم جميعا من كبار المثقفين في بلادهم قبل أن يكونوا قادة سياسيين .

س : ما أهم المعلومات الطبية التي ترتبط بحياة الزنوج داخل أفريقيا وخارجها ؟

جـ : يصل عدد الزنوج في العالم الآن إلى أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة ينتشرون في جميع القارات الخمس . وقد لاحظ الباحثون أن عددا كبيرا من هؤلاء الزنوج يموتون بالأمراض الصدرية ، ولكن رد عليهم فريق آخر من الباحثين بأن الموت بهذه الطريقة لا يرجع لكونهم زنوجا ولكن لأن معظمهم يعيشون في أمريكا وأفريقيا داخل أكواخ وأماكن رطبة أو تحت الأرض كما أنهم لا يستطيعون بسبب انخفاض مستوى معيشتهم تناول الغذاء الصحي . فمثلا معظم اليهود يموتون بأمراض القلب بسبب الحياة المغلقة التي كان يحياها اليهود في الجيتو المغلق . كما أن اليهود كانوا يعملون دائما في مهنة التجارة مما يضعهم تحت ضغط المكسب والخسارة وهكذا .

وللزنوج ابداعات هائلة في مجال الرياضة فقد حصل الأبطال الزنوج على أكثر من ثلث البطولات الأمريكية في معظم الدورات الأوليمبية فضلا عن بطولاتهم المعروفة في



ليوبولد سنجور

مجال الملاكمة واستئثارهم بأوزان معينة . كما يوجد أطباء زنوج يعملون بأقسام الجراحات الخطيرة في أكبر المستشفيات الأمريكية ومنهم طبيب توجولي معروف يعمل نائبا لرئيس جراحة القلب في هيوستن وغيرهم كثيرون . وأود أن أشير هنا إلى ضخامة الاستثمارات الأمريكية في العقول حيث تقوم الولايات المتحدة مع غيرها من الدول الأوروبية بما يمكن أن نسميه « سرقة العقول » من دول العالم الثالث . وهو ما يمثل خطرا كبيرا على العالم النامي إذ يؤخر عملية التنمية فيه بينما يزداد الأغنياء في الغرب ثراء وتقدما .

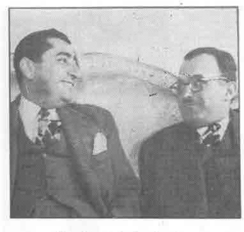
فقد بلغ الأمر خلال النصف الأول من السبعينات ، في أمريكا على سبيل المثال ، أن الأطباء والجراحين القادمين من الدول النامية كانوا يمثلون ٥٠ ٪ والمهندسين ٢٦ ٪ من مجمل القوة البشرية المضافة إلى الرصيد القومي الأمريكي ، كما تشير التقديرات إلى أن دولا ثلاث من دول الشمال هي الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبريطانيا تستأثر بنسبة كبيرة تصل إلى ٧٥ ٪ من جملة التدفق في العقول المهاجرة من العالم النامي . ويبلغ حجم هذا الاستثمار (الوفر في نفقات التعليم والتدريب) بالنسبة لهذه الدول الثلاث ٣،٥ مليار دولار سنويا .

وقد فقدت مصر أكثر من ٣٥٠ ألف مواطن ، الغالبية منهم حاصلون على الماجستير والدكتوراه ، وقد استقر معظمهم في الدول المتقدمة . وكان لأمريكا نصيب الأسد . يأتي بعدها بريطانيا واستراليا .

وأود أن أشير في النهاية إلى المطربين الزنوج والموسيقيين الكبار منهم ابتداء من أرمسترونج وملوك الجاز حتى مايكل جاكسون حديثا مما لا يتسع المجال لحصره .

وإذا كان الحديث قد جرنا إلى آفاق لم تكن محسوبة في حياة الزنوج ونظرية الزنجية ، فإن الحضارة الزنجية التي تمتد إلى أربعة ملايين من السنين على حد قول الرئيس السنغالي السابق سنجور تحتاج إلى اهتمام الباحثين لكشف خبايا هذه الحضارة والتعرف على ابداعات الزنوج في مجالات الطب والعلوم والرياضة والشعر والرواية والفن لنكتشف أهم ملامح عطائهم الانساني قديما وحديثا .

بـــدوي الجبـل .. وإخاء أربعين ســـنة



الشاعر الكبير بدوي الجبل مع كاتب المقال

يواصل عميد الأدب العربى القومى الكاتب الكبير أكرم زعيتر في هذا الفصل الجديد مذكراته وذكرياته الرائعة مع الشاعر العربي الراحل بدوي الجبل في قصائده وتجاربه النضالية المختلفة



في موكب الأحباب

بقلم: أكرم زعيتر

وقضى السيد سمير الرفاعي ، رئيس الوزارة الأردنية السابق خريف سنة ١٩٦٥ ، وأقيم له حفل تأبيني فى أربعينه بعمان ودعى « البدوى » الى رثائه ، فلبى الدعوة ، وقد طاع له النثر حين تأبى الشعر ، على أنه رثى جيلاً كاملاً ، وجعل عنوانه « دنيا القبور » أو « الكنوز الغالية » . وبعد أن وصف سميراً بكونه صارماً حازماً ، لا يهادن في رأيه ولا يصانع في عقيدته ، وهو جرىء إذا صمم تقحم ، وهو الى صرامته عامر القلب بالحب والحنان والحزن ــ وحيث يكون الحزن يكون الحنان ــ فلا بدع إذا بدهته المنية عن طريق قلبه ، قال : « ومرد كل ذى خطر في الحكم والسياسة والزعامة الى التاريخ ، لا الى أحقاد الحاقدين ولا الى هوى المحبين ... والزمن طويل متأن في حساب رجل الدولة وقصير مسرع في حساب الجماهير . والصبر مزية رجل الدولة ، واللجاجة طبيعة الجماهير .. » ثم يقول : « ان العقل ليجور على القلب حتى يضنيه ، حتى يمزقه ، وحتى يرزح القلب أخيراً ــ هذا الناعم الريان المدلل ــ تحت طغيان العقل وتحت طغيان الأحزان ، ولو شئت لقلت تحت ظلم الجماهير » .. وعلى هذا المنوال يسترسل حتى يهتف : « يا لكنوزنا الغالية ، كيف نودعها الثرى كنزاً بعد كنز ، وكيف نسلم تألقها الى ظلمة قاسية في حفرة صغيرة ! يا لكنوزنا الغالية كيف أصبحت قبوراً ، وكانت زينة دنيا وحلية تاريخ وغالية فتح وأغرودة بطولة واستشهاد » . ثم يتذكر ويذكر إخوانه الراحلين : « كنوز في بغداد عطّرت الثرى ، وحن اليها الضحى ، وكنوز في حلب وفي الشام وفي لبنان وفي اللاذقية وفي عمان .. كنوز اسمها القبور نقشنا على بعضها الأسماء ونعم بزيارة الأبناء وحرم بعضها الآخر حتى الاسم وحتى الاشارة ، فواحر قلباه على المصارع المهجورة في رمال الصحراء لا يعرفها انيس ليسكب دمعة ، ولا قريب ليدلل وحشة ؛ الضائعة ولكن يدل عليها عطر النبوة ! وواحر قلباه لرفات لا قبر له ، ولأشلاء مبعثرة تنزل على ضيافة الصحراء . والصحراء كريم معسر ، تعتذر عن الجدب ، فتعلل بالنسمة الأرجة الساجية ، وتعتذر عن السقيا فتعلل بالسراب . وارحمتاه للمصارع الموحشة ، لا ترف عليها الرياحين ، ولكن كواكب السماء تتزين وتتبرج وتسأل من كرم الله أن يشرفها ، فيسمو النور حتى يصبح عطرا ، وتسمو النجوم حتى تصبح رياحين على تلك المصارع :

تلك المصارع رد الموتُ نجدتها
عني فكاد الأديم السمح يعتذر
أصبحتُ بعدهم حيران منفرداً
والريح عاصفة والليل معتكر
أحنو على كل قبر من قبورهم
أبكيه حتى بكى من لوعتي الحجر

وتتمثل نفسية البدوي ويتجلى شموخه بقوله : « لو طوى الردى من أحببناهم كوكباً بعد كوكب ، وفسح لنا في الأجل لنعاني غربة قاسية على أتراحنا وجراحنا ، وقفنا على غروب الشباب وزحمة الخطوب ونزا الجراح زهوالعبقرية وخيلاؤها وعنفوانها . والعبقرى إذا لم يكفر بعبقريته ولم يكفر بنعمة الله عليه يرى نفسه نداً لكل عظيم ، حتى ولو انبسطت راية هذا العظيم على نصف الدنيا » .

« ويسرف في لومنا قوم ، وفي وسع شبابي وشباب إخواني وحده أن يعتب ويلوم ، فقد أنضينا رواحله حرماناً وغربةً وظلمة سجون ، ونحن لا نمن على وطننا بما أسلفنا ، ولا على من أحببناهم ووفينا لهم ، ولكننا ــ وهذا شأننا ــ لا نقبل أن يمنّ علينا إنسان فى الدنيا مهما بلغ فى جاهه وسلطانه . المنة علينا للوطن وحده ، ولإخواننا الذين سبقونا إلى سدرة المنتهى في جنة الله .. » ويسترسل على هذه الوتيرة جياش العاطفة : « ولو شئنا أن نمن على الناس ــ حتى على بعض الكبار منهم ــ لكان ذلك من حقنا . ولكنه الحياء ، ولكنه الاباء ، ولكنها مروءاتنا ، وهي مروءات ليست كغيرها مجهدة ولا مكدودة ، يطرح أصحابها عن أكتافهم أعباء المجد ، عبئاً بعد آخر ليتخففوا منها في طريقهم إلى العدم » .

وبعد أن يجعل دنيا القبور دنياه حتى ليستطيع أن يتعرف فيها على شبابه ، وعلى أيامه ولياليه ، بل على أصائله وأسحاره وعشياته ، وعدد أسماء أصحابه الراحلين ، في سورية وشواطىء لبنان ، وفي الأرض الخضيبة بالدماء ، الخضيبة بالاستشهاد ، وعلى شطآن دجلة والفرات ومتاهات الصحراء وفي قريته الوادعة الغافية بين البحر والجبل « أعيش مع أبى وأمي وابنتي وإخوتي ، أعيش مع كل هذه الطيوف الحبيبة وأصحابها في القبور كما كنت أعيش معهم ، وهم يغدون ويروحون من جهاد إلى سجن ، ومن غربة إلى حرمان ومن



صورة عائلية بمناسبة بلوغ حفيده « محمد » السنة الأولى من عمره . ويرى « عدنان » الثاني من الشمال .



بدوي الجبل : كان دائما جياش العاطفة عندما يتحدث عن الأصدقاء الذين فقدهم

صحة إلى ضنىً ، ومن قسوة الزمان إلى قسوة الخصم حيناً ، وإلى قسوة الولي أحياناً ــ وهذه أدهى وأوجع ــ إنني أعيش مع الأسارير الحبيبة تطالعني مع كل إشراقة شمس ، ومع كل اغفاءة ليل ، وفي السمر وفي الصمت ، ففى قلبي عالم واحد ، ولكنني لا أعلم هل هو عالم الموت أم عالم الحياة ، إنهم هنا في قلبي ، وهذا العطر في أغاريدي عطرهم ، إنهم هنا في خيالي ، وهذا السحر في بياني سحرهم ، إنهم هنا في شمائلي ، وهذا الكبر على الدنيا كبرهم ، اننا نتشاكى ونتناجى ، لم تحل المنية بيني وبينهم ، إنهم عند ربهم وعند قلبي ، إن موكب أحبابى الموتى لينمو في قلبي يوماً بعد يوم بمن ينضم إليه من لدات الشباب ولدات الجهاد ، وسيظل هذا الموكب ينمو في قلبي وتتسع له حناياه وزواياه مدلهة حزينة حنَّانة حتى يضمني الموت إلى أحضانه الرحيمة فنستأنف لقاءنا ووفاءنا في قلب حنون آخر » .

مصرع نابغة الصحافة

وعاد الشاعر إلى دمشق بعد أن طوّف في الآفاق وقد بَرّح به الشوق وأضناه الحنين ، على أنه ما لبث حتى فجع بمصرع أحب أصدقائه إليه وأثرهم لديه ، نابغة الصحافة كامل مروة .

وهرعتُ من عمان إلى بيروت لأشيع صديقى الراحل ، وافتقدت « بدوى الجبل » بين المشيعين ، فقيل لى انه لا يقوى على السير في جنازة « كامل » وأنه ابرق من دمشق يقول : « قلبي الممزق المسحوق يلجأ بجراحه واشلائه وحرقته إلى كنف الله ورحمته ولطفه » وأقبل رسول من دمشق يقول : « ان بدوي الجبل غريق همومه ودموعه » وحمل الرسول مرثاة .. كتبها البدوي بدموعه :

« لا دموعي طوع يدي ولا بياني : خطبك يا ابا جميل (كامل) رجّ نفسي ثم حولها أشلاء ثم أشاع فيها الموت .. ثم غمرها بالفناء .. وهأناذا بعدك منية تبكي منية ، بل خلود يرثى خلوداً ، ومن رأى قبلنا منايا تبكي منايا وخلوداً ينوح على خلود .. » « كان قلبي كعهدك به يا أبا جميل خميلة من خمائل الله فيها صبابات السماء وأشواق النجوم ، في كل زاوية من قلبي روضة تبدع الربيع وأفياء تنبت الحُب . هنا وردة زاهية ، وهنا نرجسة حانية وألف دله وألف نعيم ، وألف طيب وألف شميم . وأنغام فردوس وأحلام ملائكة ، ونبعة من النور تتموج هنا وهناك على وشي خيال وزخرفة جمال . ثم أقبل القدر ، وانيا حيناً ، مسرعاً حيناً فأتلف الورد ، قانيةً بعد قانية ، وأذبل الأقحوانات حالية بعد حالية ، وعصف بالحب والنعيم ، وبالطيب والشميم . ثم عصف بنبعة النور فحولها شفاهاً ظماء ، وبأغاريد الفردوس فحولها رثاء ! وتعرت خميلة قلبى من نورها ونوارها . »

وواصل نجواه في بيان عبقري واعتذر عن حرمانه زيارة قبره : « ما جزعت حين حرمني لبنان من زيارة قبرك . فقبرك في سريرتي ،

في موكب الأحباب

وسريرتي ملكي لا ملك لبنان . وسأسكب عليه من عطري ما لا تحلم به عطور لبنان . هنا في سريرتي قبرك . أحنو عليه بكل حبي وحنيني وبكل أشواق روحي ، وأسكب عليه ألف دمعة فتنبت ألف اقحوانة ، وفي ظل كل أقحوانة كوكب من السماء ، وحورية من حوريات الجنة . ثم أجمع قوارير الدموع من زوجك وبنيك ، ومن إخوانك ومحبيك ، وبعضها سافر وبعضها حيي خفي ، فأهرقها في قلبي ، فيعود الأيك في جوانحي مخضلاً كما كان ، ملتفاً متموجاً ، ولكن قارورة من هذه الدموع ينسكب نصفها على قبرك في قلبي ويسمو نصفها الآخر إلى السماء .. تلك هي دموع أمك .. وليس بين دموع الأمهات الثاكلات وبين الله حجاب » وختم مرثيته : « لقد كنت تترنح لشعري وتسكر لبياني ولقد كنت أرجو أن أكون مرثياً منك لا أن أكون راثياً ، ومبكياً منك لا باكياً ، وأنا الآن لا استطيع أن أرثيك شاعراً ولا كاتباً .. فهذا ليس شعراً وليس بياناً إنها عبرات ثاكل ملتاع ، منسحق القلب ، ولكن كما ينسحق العنبر ، تعبُّد شاعر ، وتأمّل صوفي ، وايمان مفجوع وصلاة حزين » .

وقد أطلعني صديقي المفضال المرحوم الأستاذ ظافر القاسمي على رسالة من بدوي .. تلقاها وهو في السعودية وفيها يقول : « مصرع كامل أذهلني وضعضعني ، أتلفت يميناً ويساراً لمن يلتاع معي ، الحزانى عليه من اخواننا عديدون ، ولكنه حزن فيه من المروءة ومن التقدير أضعاف أضعاف ما فيه من الحرقة واللوعة : وأنا اريد من يحترق قلبه مع قلبي الحزين لا الحزن المحنط المهذب ، تقطعت صلتي بلبنان . إن في نفسي من القنوط ما يجعلني ــ حلفة بالله غير متأول ولا حانث ولا متزيّد ، أتمنى الموت على أن يكون سكتة قلبية رحيمة لا تطيل أوجاعي ولا آلام أسرتي .... » .

ثكل الأمومة

ويبدو أن عتاباً خفياً ظل يهاتف البدوي : « أين الشعر في رثاء حبيبك ؟ » وفي الذكرى الثالثة لوفاة كامل .. فوجئت وأنا في بيروت برسول يحمل إليّ قصيدة بخط البدوي نيفت على تسعين بيتا جعل عنوانها « ثكل الأمومة » رتلتها مرات ثم دفعتها إلى جريدة « الحياة » فنشرتها في صدرها .

واني أختار من ابياتها ما يصح أن تكون في السائرات ، وفيها :

دعوت خدنيَّ من دمع ومن جلَدِ
فأسعف الدمع لكن خانني الجلَدُ
أرد رشق الظُبى عن مهجتي بيد
وتمسح الدمع من نزف الجراح يدُ
والعبقري غريب في مواطنه
يدور حيث يدور الحقد والحسدُ
ورب شاك فساد العصر يظلمه
لم يفسد العصر ، لكن أهله فسدوا
يا مبدع السحر الا أنه كَلِمٌ
وساقيَ الرأي الا انه شَهَدُ
يا مانح النور من تاهت دروبهم
ومانح الحُب والغفران من حقدوا

وأما ثكل الأمومة ، وهو عنوان القصيدة ففيه يقول :

ثكل الأمومة عند الله حُرمته كحرمة الحق لا سِترٌ ولا بُعُدُ



كامل مروة

ثكل الأمومة عند الله فاتحةٌ من الكتاب وإيمان ومعتقد
ثكل الأمومة حف الأنبياء به يهدهدون من الآلام واحتشدوا
يدعو فتنفتح أبواب السماء له ويمسحُ الدمعتين الواحدُ الأحدُ

وقد ترجح الدمع في مقلتي وأنا أتلو ما في القصيدة عن ولده عدنان وكان قد توفي وهو في رونق صباه بحادث سيارة فجلّت لوعةُ البدوي عليه عن رثائه ، وها هو ذا يتذكره ويخاطب كاملاً :

أبا جميل ـ وقربى بيننا اتصلت
الى الجنان فدانٍ وهو مبتعد
عدنان ، عندك في النعمى ولي كبد
عليه بالجمر والأحزان يتقد
أحبابنا في جنان الله قد نعموا
لقد شقينا بهم لكنهم سعدوا
هشّوا الى ابن أخيهم وهو بينهُمُ
بحالياتِ صباهُ كوكبٌ يقِدُ
حمّلتُ عدنان أطياب الحنين فهل
أدى أمانة ما أشكو وما أجِدُ
لم أرثه وهو روحي فارقت جسدى
وكيف يبكي ويرثي روحه الجسَدُ

ويوم نشرها هتف بي الصديق السفير الوزير الأديب الأستاذ جوزيف أبو خاطر يقول : اعجبتني القصيدة ولكن شاعرنا قد استعار بيتاً من قصيدة شوقي في رثائه عبد الخالق ثروة باشا وهو :

أبا عزيزٍ سلامُ الله لا رُسُلٌ إليك تحمل تسليمي ولا بُرُدُ

والبدوى يقول :

أبا جميل سلام الله لا كتُبٌ إليك تحمل أشواقي ولا بُرُدُ

● محاولة آثمة لاغتيال الشاعر بعد هزيمة ١٩٦٧ .. بسبب قصيدته عن النكسة

● السنوات الأخيرة للشاعر كانت مليئة بالأحزان لفَقْدِ ابنه عدنان وفَقْدِ أصدقائه في كل مكان



سمير الرفاعي



الحاج أمين الحسيني



بدوي الجبل في ندوة اتحاد المجامع العربية بدمشق بين رئيس الاتحاد الدكتور ابراهيم مدكور وأمينه العام المساعد الدكتور عدنان الخطيب

ورجعت الى ديوان شوقي وقرأت قصيدته في رثاء عبد الخالق ثروة وهي في ستين بيتاً .. والقصيدتان من وزن واحد وقافية واحدة ولا تشابه الا في هذين البيتين . وفي آخرين : فشوقي يقول :

نشأت في جبهة الدنيا وفي فمها
يدور حيث تدور المجد والحسد

والبدوي يقول :

والعبقري غريب في مواطنه
يدور حيث يدور الحقد والحسد

ولما علم البدوي بالملحوظة أبدى دهشته لهذا التوافق وتساءل : أيكون الأمر محض توارد خواطر؟ وأكد أنه لم يخطر على باله بيت شوقي وهو ينظم القصيدة ، وقرر أن يتدارك الأمر، قلت : لعله اللاوعي !

من وحي الهزيمة

ووقعت الكارثة القومية الكبرى في حزيران « يونيو » ١٩٦٧ وأرمضت شاعرنا واستفزته فنظم قصيدة في مئة وسبعين بيتاً كان عنوانها « من وحي الهزيمة » طبعت مستقلة طبعات متعددة ، وعلى نفقة متبرعين لم يستشيروا البدوي في نشرها . وتناقلها الرواة وتناشدها المحزونون . وهذه القصيدة أو الديوان أثارت نقمة البعض فكان الاعتداء عليه . يوم هوى شرير على رأس البدوي بطعن دراك أفقده وعيه ونقل محطماً الى مكان خفي ، وباءت بالاخفاق جهود موصولة للعثور عليه ، ولكن إنذاراً صارماً وجهه وزير الدفاع السوري يومئذ ، اللواء حافظ أسد للآثمين باعادته فوراً أدى الى طرحه خفية في احد المستشفيات ، وبذلت جهود لانقاذه حتى أفاق من غيبوبته ، وتماثل وئيداً وئيداً من علته ، فدفعت كما قلتُ عن تاريخ العربية معرة اغتيال شاعرها ، على أن مدبر الاغتيال مالبث حتى انتحر مما يذكرني بآخر بيت من قصيدته :

لم أهادن ظلماً وتدري الليالي   في غد أينا المدحور

وإني مقتبسٌ من هذه القصيدة ما هو لسان حال اللاجئ المشرد :

أنا حزنٌ شخصٌ يروح ويغدو   ومسائي مع الأسى والبكور
أنا حزن يمر في كل باب   سائل مثقل الخطى منهور
طردتني الأكواخ ــ والبؤس قربي ــ   وتعالت على شقائي القصور
يحتويني الهجير حيناً ولا يرحمُ   أسمال فقري الزمهرير
وعلى الجوع والضنى والرزايا   في دروبي أسير ثم أسير
نقلتني الصحراء حيناً .. وحيناً   نقلتني الى الشعوب البحور
حاملاً محنتي أجرر أقدامي   ويومي سمح الغمام مطير
حاملاً محنتي أوزعها في كل   دنيا وشرها مستطير
محنتي الغيث إن أرادوا وإلاّ   فهدير البركان والتدمير
حاملاً محنة الخيام فتزورُّ   وجوهٌ عني وتُغلق دور
الخيام الممزقات : وأمٌّ   في الزوايا وكسرة وحصير
وفتاة أذلها العُرْيُ والجوع   ويلهو بالرمل طفل صغير
كلما أنَّ في الخيام شريد   خجل القصرُ والفراش الوثير

وأما هيئة الأمم فهي :

هيئة للشعوب تمعن في الذنب   ولا توبةٌ ولا تكفيرٌ
شارك القوم كلهم في أذانا   ومن القوم غُيَّبٌ وحضورٌ
من قوانينها المدارة للظلم   ومنها التغريب والتهجير
ويقام الدستور أضحوكة الساخر   منا ويُوأد الدستور
كل علم يغزو النجوم ويغزو   بالمنايا الشعوب علمٌ حقير
والحضارات بعضهن بشيرٌ   يتهادى وبعضهن نذير
نعميات الشعوب شتى ، فنعمى   حمدت ربها ونعمى كفورٌ

وهذا الصهيوني الغازي :

لن يعيش الغازي وفي الأنفس   الحقد عليه ، وفي النفوس السعير
يحرق المدن ، والعذارى سبايا   وصغير لذبحه وكبير
دينه الحرق والابادة والحقد   وشتم الأعراض والتشهير
صورته التوراة بالفتك والتدمير   حتى ليفزع التصوير
من طباع الحروب كرٌّ وفرٌّ   والمُجلّي هو الشجاع الصبور
ليس يُبنى على الفجاءات فتحٌ   علمي في غد هو المنشور
تنتخي للوغى سيوف مَعَدٍّ   ويقوم الموتى وتمشي القبور
عربيٌّ فلا حمايَ مباحٌ   عند حقدي ـ ولا دمي مهدور

ويصف نفسه في نهاية القصيدة :

مسلم كلما سجدت لربي   فاح من سجدتي الهدى والعبير
ومع الشيب والكهولة قلبي   ـ كعهود الصبى ـ برئٌ غرير
لي حريتي وايماني السمح   فحلمي هان وجفني قرير
لم أهادن ظلماً وتدري الليالي   في غد أينا المقهور

وضاقت الدنيا في وجه الشاعر المريض المحطم وتقطعت الأسباب . فكتب لي ــ وأنا في عمان رسالة أراني الآن أتردد كثيراً في نشرها : لا لما أسبغ عليّ فيها من ثناء ، ولكن لما يستروح فيها من شبه رجاء ! ثم

في موكب الأحباب

اقرر نشرها لأن فيها ما ينم على معرفة الشاعر الكبير قدر نفسه ويقينه انه خالد بخلود شعره :

أخي الأعز الأغلى

والله ماتمثلت بيتي الشاعر العربي القديم :

ولي صاحبٌ كالسيف أبيض مصلتاً   وهيهات منه كل ابيض مصلت
رأى حاجتي من حيث يخفى مكانها   فكانت قذى عينيه حتى تجلّت

إلا ذكرتك ، وعنيتك بين كل من أعرفهم . يؤيد ذلك طريف مجدك وتليده ، وقديم سؤددك وجديده . ويزكي ذلك متين ود وصادق وعد . والأريحية فيك طبع لا تطبُّع . والفضل منك صنع لا تصنع . وعبئي الصغير لا يزيد الأعباء الكثيرة ثقلاً . بل يهديها جمالاً ونبلا .

وبعد فالمحنة قاسية ، والتعجيل في تفريجها كرم على كرم . وأنت مهوى رجاء اذا تحقق شكرتك ، واذا لم يتحقق عذرتك . والكرام عند الشدائد اخوان ، فكيف اذا كانوا اخواناً في الأصل .

كتابي هذا اليك هو اليوم عندك وديعة وقنية ، وهو لمجدك في الغد البعيد زينة وحلية . واعذرني إذا جاء أخرس البيان ، فقد كتبته وأنا في سرير المرض ، والعيون أرقة ، والخواطر قلقة ، وسقمٌ وهمومٌ ، وتفكيرٌ ووجومٌ ، والثقة بالله والايمان به هو كل ما نملك إزاء الغاشية ، وبعد كل ظلمة فجر ، وامام كل عسر يسر .. واخاك اخاك ..

ولم اطلع على هذه الرسالة احدا سوى كبير ضمد الكلم عاداً البدوي هو المتفضل على كل حال . ولست أنسى قوله في رسالة أخرى ، لقد كانت ذكرى اكرم ترافقني وانا بين الموت والحياة . اسأل الله ان يمهد لنا لقاءً نسترد فيه سعادة قلب وهناءة وجدان » .

عوني عبد الهادي

وقضى سنة ١٩٧٠ صديقي وصديق البدوي الوطني العربي الكبير والمجاهد الاستقلالي الشهير الاستاذ عوني عبد الهادي . فاتفق رأي اخوانه على تأبينه ، والحفاوة بذكراه في اربعينه . ودعوت البدوي الى رثائه . وفي اليوم الموعود تلقيت منه برقية تغني عن خطاب هذا نصها :

« في ذكرى المغفور له عوني عبد الهادي ستكون الجنة ونعيمها ، والسماء ونجومها ، ومواكب الشهداء ، وعطر الفداء ، وتاريخ منضر ، وجهاد منور وذكريات جليلة وامجاد اصيلة . وفي ذكراه عُرُسٌ عند سدرة المنتهى ، ومأتم في الدنيا . ولاخوانه الذين سبقوه الى رضوان الله عند هلّته عليهم ألفُ لبانة ، ونَفْحُ أقحوانة لأقحوانة . حرمتي المرض الحضور والكتابة . انت يا ابا سري تعبّر عن عاطفة إخوانك بصادق إيمانك ووسيم احزانك وسحر بيانك فقل باسمنا ما يصلح للذكرى رضي الله عن صاحب الذكرى » .

وكان الاستاذ عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) شاعر الحفلة فتلا ملحمته في ستين بيتاً وقد ختمها هاتفاً بعوني :

يـا أبـا مـازن : على الدّرب والعهـد   حفاظاً حتى يُلَمَّ الشتاتْ
يتحدّى شراعُنا الريح حتى   ترتمي فوق أرضنا المرساة
وتغني للعائدين فلسطين   وتشدو السفوح والهضبات

ويبدو ان ابا سلمى اخبر البدوي أن برقيته لم تذهب بعتبي عليه فبادر الى الابراق اليَّ بالبرقية التالي :

أنا البريء ولكن حرمة وهوىً   اقر بالذنب كي ترضى واعتذرُ

إخوان البدوى

وكنت مقيماً في بيروت سفيرا للأردن فرئيساً للمركز الثقافي الاسلامي فيها وكان البدوي مقيماً في دمشق زاهداً في زيارة بيروت لاعتبارات نفسانية ، مما يحملني على اعتمار دمشق لأراه ولنتباثث بعض ما يهجس في قلبينا من امور . وكانت لقاءات دمشق تتيح لي الاجتماع بصفوة من اخوانه الذين كانوا يؤنسون وحشته ، ويبددون بمودتهم ووفائهم كربته ، اذكر منهم : الدكتور عدنان الخطيب وابا سلمى وسهيل فارس الخوري ، وفي معرض الثناء على وفاء الدكتور عدنان الخطيب ، علمت أنه كان وعقيلته في زيارة اكرم الخلق عليه الصلاة والسلام ، وقد رأت رؤيا فيها بشارة بغلام ، ولم يكن ذلك في الحسبان ، ولما رزق ولداً ارتجل البدوي قصيدة يقول فيها :

لقد زرت ياعدنان قبر محمد   وحولك من اصحابه الشمس والبدر
ومن روضة قدسية نبوية   أطلّ عليك الحسنُ والنور والعطر
وفي الكعبة الزهراء افق مُنَوَّرٌ   تُسَبِّحُ للخلاق أنجمه الزهر
هواتف بعد الله باسم نبيِّه   فاسماؤها عقد واحرفها دُرٌّ
وبورك بالايمان لولاه ما انطوى   ظلام ولا غالى بزينته فجر
أعوذ به من عنجهية كافر   وشر الصفات العنجهية والكفر
وهونتُ من عسر الزمان ولم يضع   حيائي لا عسر الزمان ولا اليسر
وقبلك أصفاني أبوك وداده   فصحبتُه نعمي ونائله غَمْرُ
تهنَّأ بدل الطفل ما شئت إنه   هو السحر ، بل أغلى وأحلى ، هو الشعر

الشهيد وائل زعيتر

واغتال الصهيونيون ابن شقيقي وائل عادل زعيتر ممثل منظمة التحرير في روما . واقبل الصحب يعزونني ، وابرق الى البدوي ببرقية تعزية ، مجد فيها الشهيد وتخيل أباه عادلاً يستقبل في الفردوس ولده الشهيد ، ويؤسفني الا تكون البرقية الرائعة قريبة المتناول الآن وقد ابرقت إليه اقول : « تعزيتك طاقة ريحان على ضريح الشهيد . حسبي وقد لعج الحزن فؤادي واضلعتني الهموم الدعاء أن يطيل لنا الرؤوف الرحيم بقاءك وأن يحفظك لامامة الشعر الأصيل ولجمال الاخاء الحنون النبيل ولأخيك الذاكر الشاكر اكرم زعيتر » .

أمين الحسيني

وفي الرابع من تموز سنة ١٩٧٤ توفي في بيروت الزعيم الفلسطيني الكبير رئيس مجلسها الاسلامي الأعلى وهيئتها العليا سماحة الحاج امين الحسيني وجرى له تشييع عظيم ، وبينا كنا نتبادل التعازي به في دار الافتاء اللبنانية حمل الى ساعي البرقيات برقية من بدوي الجبل تلوتها في المأتم وهذا نصها :

« التعزية بالزعيم العظيم المجاهد الخالد محمد امين الحسيني تعزية لجده محمد رسول الله والخلفاء الراشدين وللتاريخ العربي الاسلامي الأصيل . ولكل عظيم في هذا التاريخ وانني كتلميذ من عشرات الملايين من تلاميذه أنحني على قبره فابلله بدموعي وتبلله الملائكة والشهداء والصديقون وتتزين الجنة للعظيم القادم ولقائه وتحنو أفياء سدرة المنتهى على أفيائه .

انت يا اخي اكرم صديقه ورفيق جهاده وأمجاده . فاحمل تعزيتي الحزينة الملتاعة الى أهله وذويه وكل مؤمن مكافح مجاهد في الدنيا العربية الاسلامية من اهله وذويه . الكسر الذي أصابني يحرمني شرف توديعه وتشييعه فنب عن اخيك بهذا الواجب المقدس .

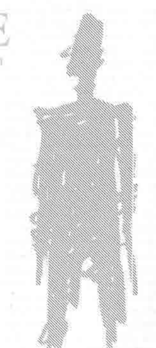
اللاذقية « بدوي الجبل »

أكرم زعيتر

المارد الأفريقي

مهداة إلى الشعب الافريقي البطل

شعر: محمد التهامي



ماردُ الأدغالِ ألقى قُمْقُمَهْ ... افْتَحوا البابَ وإلاَّ حَطَّمَهْ

لا تظنُّوا الأمنَ في جدرانكم ... إنْ تَصدّى لِجدارٍ هَدَّمَهْ

لا تُطيلوا القولَ في تضليلكمْ ... لَمْ تعُدْ أرضي بلاداً مُظْلِمَهْ

لَمْ تعُدْ دارَ الأساطيرِ التي ... صُغْتُموها والأحاجي المُبْهَمَهْ

لَمْ تعُدْ فيها ظِلالٌ تَخْتَفي ... في حناياها الأيادي المُجْرِمَهْ

حَقُّنا والله قد حَلَّهُ ... في حِمانا وعليكم حَرَّمَهْ

هَمْسَةُ الحقِّ لدى إفريقيا ... قد تعالتْ ثمَّ صارت هَمْهَمَهْ

ثُمَّ غطَّتْ كُلَّ صوتٍ حولَها ... حِينَ ضَجَّتْ واسْتَحالَتْ دَمْدَمَهْ

وانْبَرى العِمْلاقُ مِنْ أعماقِها ... يَملأُ الإنذارُ للدُّنيا فَمَهْ

لَمْ تعُدْ إفريقيا الدارَ التي ... يَبْتغي الأفّاقُ فيها مَغْنَمَهْ

ماتَ الاستعمارُ في أنحائِها ... وأقاموا في حِماها مَأْتَمَهْ

والذي نَلْقاهُ مِنْ ضَجّاتِهِ ... تِلْكَ رَقْصاتُ الذَّبيحِ المُؤْلِمَهْ

والصِّراعُ المرُّ مِنْ غِيلانِهِ ... صَحْوَةُ الموتِ الذي لَنْ يَرْحَمَهْ

حَرْبُنا نَدْري قُصارى أمْرِها ... وقُصارى أمْرِها أنْ نَهْزِمَهْ

جَوُّنا يلقي شواظاً فوقَهُ ... وثَرانا ظامِئٌ يبغي دَمَهْ

والجبالُ الشُّمُّ في أوطانِنا ... تَسْتَحِثُّ الصَّخْرَ حتّى يَرْجُمَهْ

والرَّوابي إنْ جرى فيها دمٌ ... مِنْ دِمانا أوْشَكَتْ أنْ تَلْثِمَهْ

أوْ دَفَنّا في حِماها بَطَلاً ... إنَّنا فيها غَرَسْنا جُمْجُمَهْ

تُنْبِتُ الآلافَ مِنْ أمْثالِهِ ... والثَّرى في أرضِنا ما أكْرَمَهْ

نَحْنُ أهْلُ الدارِ والأمرِ الذي ... نحْنُ أوْلى وَحْدَنا أنْ نَحْسِمَهْ

نَحْنُ أهْلُ الحقِّ في إفريقيا ... لَمْ تعُدْ إفريقيا بَعْدُ أَمَهْ

إنَّها الحُرَّةُ مَنْ لَمْ يَرْضَها ... فعلَيْنا وَحْدَنا أنْ نُرْغِمَهْ

قِصَّةُ الماضي(١) وما أعْجَبَها ... سِرُّها قد فاتَنا أنْ نَفْهَمَهْ

حِينَ قِيلَ : الذئبُ يرعى حَمَلاً ... يا لَذِئْبٍ زُهْدُهُ قد كَمَّمَهْ ! !

فانْخَدَعْنا وتَرَكْنا أمْرَنا ... واسألوا العالَمَ عمَّا قَدَّمَهْ

سَلَّحَ العاصينَ في أوكارِهِمْ ... واجْتَبى العِصْيانَ حتّى نَظَّمَهْ

ورأى الخُلْفَ قليلاً بينَهُمْ ... فاحْتَفى بالخُلْفِ حتّى جَسَّمَهْ

ورأى الظُّلْمَ ضئيلاً قاصِراً ... فاعْتَنى بالظُّلْمِ حتّى عَمَّمَهْ

عادَ الاستعمارُ في أوطانِهِمْ ... مُسْتَعيناً بالذي قد حَرَّمَهْ

* * *

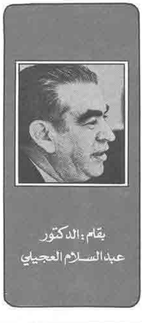
أيُّها الطّاغونَ رُدُّوا نابَكُمْ ... جُرْحُكُمْ فينا عَرَفْنا بَلْسَمَهْ

إنَّنا نَحْمي حِمانا وَحْدَنا ... وَحْدَةً نَسْعى صُفُوفاً مُحْكَمَهْ

هامش :

(١) استعان الكونغو بالأمم المتحدة في الستينات للانقاذ فكرست التقسيم ومكنت للاستعمار.





ماقولك ياصاحبي في كتاب اقتنيته أنا منذ عشرة أعوام ، في عام ١٩٧٥ ، متلهفا على اقتنائه ، حريصا على تلاوة محتواه باهتمام وروية ، ومع ذلك فإن قراءته استغرقت مني عشرة أعوام كاملة ، فلم أطبق الغلاف على صفحته الأخيرة إلا منذ فترة وجيزة ، في مطلع الشهر العاشر من السنة الفائتة ، سنة ١٩٨٥ ؟

قد تظن الكتاب الذى أعنيه كتابا ضخما ، أو سفرا يتألف من عدد كبير من المجلدات . أو تحسبه مخطوطا احتجت في قراءته الى تدقيق وتحقيق حتى أخذت تلاوته مني هذا الزمن الطويل . ليس الواقع كما تظن أو تحسب . إنه ، أعني هذا الكتاب ، يقع في مجلد واحد . صحيح أن صفحاته من القطع الكبير وأن حروفها أميل الى الدقة ، إلا أن عدد تلك الصفحات لايتجاوز الثلاثمائة إلا بقليل . فليست ضخامة الكتاب هي التي أخرتني عن اتمام قراءته . ولا لغته التي هي الفرنسية مترجمة عن الانكليزية ، ولاحتى ثقل الأسلوب في الترجمة ، وإنما هو سبب آخر ستعرفه مما أبينه لك بعد قليل .

يحسن بي أن أخبرك في البدء بأني لم أشتر هذا الكتاب من مكتبة في بلد من بلداننا العربية . فما من كتبي عربي يفكر في أن يستجلب هذا الكتاب أو يعرضه للبيع . جئت به من أوروبا في أحد أسفارى إليها ، وحرصت في عودتي منها على أن لاتقع عليه نظرة جمركي عربي أو رجل أمن على الحدود . مجرد قراءة اسم مؤلفه المكتوب بأحرف بيضاء كبيرة على غلافه الأزرق سيسيء الظن بحامل هذا الكتاب ، وربما عرضه الى أن يتلقى درسا في السلوك القويم والاحساس السليم من ممثل السلطة البسيط الرتبة على الحدود حين يصادر الكتاب ويرفع به تقريرا الى رؤسائه الأعلين .

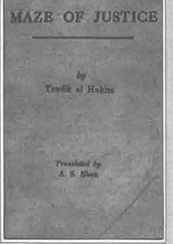
أنت تتساءل الآن عن كتابي هذا وعن مؤلفه . لا ... لايذهبن بك الظن الى ممنوعات الكتب من طراز معين . الكتاب الذى أعنيه مجرد مؤلف في ماتستطيع أن تسميه التاريخ السياسي . عنوانه كلمة واحدة : « بلادى » . أما كاتبه الذى قلت لك إن قراءة اسمه تسيء الظن بالحريص على اقتناء مؤلفاته فهو أبا إيبان . نعم أبا إيبان ، وزير خارجية اسرائيل لفترة طويلة وسفيرها في واشنطن قبل ذلك ، وممثلها في هيئة الأمم المتحدة في أشد فترات الصراع السياسي والعسكرى بين العرب والصهيونية .

لابد لي من القول إن كتاب « بلادى » ، البغيض كما وصفته في رأس هذا الكلام . ليس أول ماأقرأه من مؤلفات أبا إيبان . فقبله قرأت له كتابا سابقا لهذا ، باللغة الفرنسية المترجمة عن الانكليزية كذلك . وعنوانه « شعبي » . وأنا أستبعد أن تكون واحدة من مؤسساتنا الفكرية المهتمة بالقضية الفلسطينية قد ترجمت هذا الكتاب أو ذاك الى العربية ، بغية أن يعرف العربي عقلية عدوه من خلال فكر مساهم كبير في نكبة العرب الكبرى في هذا القرن . ويحسن بنا أن نعلم أن أبا إيبان نفسه لم يتخلف في يوم ما عن التعمق في معرفة العرب الذين أعد نفسه لاستلاب أرضهم ، وذلك بتعلم لغتهم ودراسة نتاجهم الأدبي والفكري . فالمعروف أن واحدا من أوائل مؤلفاته كتاب عنوانه « الحركة الأدبية العصرية في مصر » ، وأن من بين تلك المؤلفات ترجمته لرواية توفيق الحكيم « يوميات نائب في الأرياف » من العربية الى الانجليزية .

وأنت ياصاحبي تتساءل الآن بلاشك ، بعد أن عرفت عنوان الكتاب واسم مؤلفه ، عما جعلني أنفق في قراءته عشر سنوات كاملة ، مع تصريحي لك بأني كنت متلهفا على اقتنائه حريصا على قراءته باهتمام وروية . الصحيح أني لم أكن أتابع باستمرار قراءة ماسجله أبا إيبان في مؤلفه هذا . على الرغم من حرصي الذى ذكرته . لم أكن قادرا على تلك المتابعة . ذلك أني في تلاوة ماتحمله صفحات الكتاب كنت مثل من يلوك الحنظل في فمه ويدير به لسانه . صفحات محشوة بالوقائع التي لامجال لانكارها ، وبالأكاذيب المموهة بالحقائق وبالحقائق المبطنة بالأكاذيب . وكل هذه وهاتيك وتلك ، في ضوء ماتعيشه أمة العرب في هذه الأيام ، وضوء ماعاشته منذ نشوء محنة فلسطين ، أمور جارحة أو أنها تذر الملح على الجروح الحية . ما ان أقرأ منها صحيفتين أو ثلاثا حتى أجدني فقدت الاحتمال فالقيت الكتاب من يدى ، مؤجلا قراءته الى فرصة أخرى أو الى يوم آخر .

نعم إن الكتاب مليء بالوقائع وبالأكاذيب المموهة ، وفيه مع ذلك من الحقائق ما لايستطيع المرء تجاهله على الرغم من مرارتها وعلى رغم ادراكنا ماتبطنه من افتراء ودس . نحن نعرف الوقائع التي يرويها أبا إيبان . نعرفها جملة أحيانا وأحيانا تفصيلا ، إلا أن إيراده لها في كتابه بلهجة التقرير والوثوق والاستعلاء يحيلها حرابا في صدورنا وأشواكا واخزة في أعيننا . حين يقول مثلا : إن عدد اليهود في فلسطين في آخر القرن الفائت كان خمسة وعشرين ألفا بين أربعمائة وخمسين ألف عربي ، يردنا هذا القول الى واقع عدد





قام أبا إيبان ، وزير خارجية إسرائيل السابق والذى يجيد العربية إجادة تامة ، بترجمة كتاب « يوميات نائب فى الأرياف » لتوفيق الحكيم الى الانجليزية ، فى الأربعينات . وفى الصورة الغلاف الخارجي والصفحة الأولى لهذه الطبعة الانجليزية



أبا إيبان

اليهود في أرضنا المحتلة اليوم ، وهي الأرض التي يجعلها أبا إيبان في عنوان كتابه بلاده ، فلا نملك غير أن نطلق من أعماقنا حسرة تحرق أنفاسنا . ومثل ذلك نفعل حين نقرأ في إحدى صفحات الكتاب نص ماهو منقوش على أحد أقواس الملعب الروماني في القدس من أن القيصر تيتوس فيسبازيان قد استعبد العرق اليهودى وهدم أوريشيليم على رؤوس أهلها . ثم نقرأ تعليق أبا إيبان على هذا النص قائلا إن انتصار جيوش روما ذاك حدث في عام ٧٠ للميلاد ، وان تسعة عشر قرنا قد فصلت بين زوال اسرائيل وبعثها من جديد . بعثها ؟ نحن نعرف أنه ليس بعثا ، وإنما هو استلاب أرض من شعبها وتزييف دولة جديدة باسم مجتمع مضى على امحائه من عالم الوجود تسعة عشر قرنا . ومع ذلك فان هذا الاستلاب واقع مرئي لأعيننا ، نعجز منذ ما يقارب أربعين عاما عن تغييره أو عن اضعافه ...

وعن الأكاذيب التي يوردها أبا إيبان ، ملبسا إياها ثوب الصدق الذى لايرقى اليه شك ، لن أقول شيئا . لعل معرفتنا بأنها أكاذيب ملفقة كانت جديرة بأن تجعلنا لا ننزعج منها لولا أنه يطلقها من موقف القوة التي زوده بها ضعف العرب في تفرقهم وتخاذلهم . فتبدو كأنها حقائق لمن ليس له قرب من الأحداث .

تبقى الحقائق التي تضمنها كتاب أبا إيبان وقلت إن الانسان لايستطيع تجاهلها على الرغم من مرارتها وعلى الرغم من الباطل الذى بنيت عليه . من المؤلم أن أكثر هذه الحقائق لايستطيع الواحد منا ، في مختلف البلاد العربية ، روايتها في مقال مكتوب أو في حديث على جمهور ، حتى تلك التي مضى مايقرب من أربعين عاما على وقوعها . أما عن الحقائق الحديثة فان أبا إيبان نفسه يتحدث عن بلبلة المشاعر حول مايسوقه عنها ، متظاهرا بالموضوعية ولكن في استعلاء يملأ نفس القارئ العربي حنقا . لقد أصدر كتابه بعد عام واحد من حرب تشرين ــ أكتوبر ، وهو يقول عنها في آخر صفحات هذا الكتاب مايلي :

« ... سيجزم المختصون بالتاريخ العسكرى أن الحملة العربية ، بعد كسبها للحرب خلال بضعة أيام ، انتهت بالانسحاب والفشل ، بينما حولت اسرائيل وضعها الفاجع البدئي الى انتصار نهائي . ومع ذلك فان هذه الوقائع ، على صحتها من الناحية التكنيكية المجردة ، ليس لها علاقة بردود الفعل عند الجانبين المتحاربين . وها نحن بعد مضي أشهر عديدة على تلك الحرب نجد العرب لايذكرون غير انتصاراتهم الأولى ناسين فشلهم النهائي ، بينما تتصرف اسرائيل باتجاه معاكس : فالناس فيها يحسون بمرارة بالمخاطر التي كانوا عرضة لها ويرفضون بعناد التسليم بالانتصار الذى أعقب تلك المخاطر . وحتى هذه اللحظة لانزال نجد عربا يحتفلون بانكسارهم واسرائيليين يلبسون الحداد على انتصارهم ! »

هل تلومني إذن ياصديقي إذا وصفت لك كتاب أبا إيبان بأنه كتاب بغيض ؟ إنه بغيض بوقائعه التي يرويها ، وبأكاذيبه ، وبحقائقه . ولكن لم يكن لي بد من إتمام قراءة كتاب كنت أتحاشاه فترة بعد فترة ثم أضطر إلى العودة إليه . ووجدت في النهاية أن أضمن طريقة لاتمام قراءته هو أن أصطحبه حين أسافر في غير سيارتي ، وقلما يحدث لي ذلك ، فأعود إليه مقسورا حين لايكون تحت يدي ماأقطع به وقت السفر في المسافات الطويلة غيره . وهكذا قرأت الكتاب بكل الاهتمام ، وبكل المضض والأسى ، في عشر سنوات كاملة ...

لن أتركك ياصاحبي قبل أن أقول لك إن مؤلف أبا إيبان السابق ، الذى عنوانه « شعبي » ، والذى أخبرتك أني كنت قرأته قبل هذا ، كان كهذا كتابا بغيضا . لابغيضا فحسب ، بل إنه بما أثره بي في إحدى فقراته جعلني ألقيه من يدى وأهرع مسرعا الى حيث قئت مافي جوفي . صدقني أن هذا ماجرى لى بعد قراءة واحدة من فقرات أحد فصول ذلك الكتاب . لعلي أروى لك في مرة قادمة مقاطع من تلك التي آلمتني وبلغ بها اشمئزازي ، لامن أبا إيبان ذاته بل من بعض مراحل تصرفات أبناء أمتي العرب ، الى أن أصاب بالدوار والغثيان . الى مرة قادمة إذن ياصديقي العزيز إذا أردت مشاركتي في معرفة طرف من طرق تفكير العدو وأساليب تصرفه ، ومعرفة طرف من طرق مقابلتنا لذلك التفكير والتصرف ، ومعرفة ما جرته هذه وتلك علي وعليك من النقمة والتألم ، ومن الاشمئزاز حتى الغثيان .

الرقة ــ سورية

خواطر تسر الخاطر

بقلم: زكريا تامر

جنين بلغ من العمر تسعة أشهر ، وحان وقت خروجه من بطن أمه الى العالم كي يظفر باسم وحارة ومدينة ووطن أهل وأصدقاء ، ولكنه لم يصدر عنه مايتم عن عزمه على مغادرة بطن أمه الذى يقيم به . وبدا كمحتل لا يأبه لارادة الشعوب . فقالت له أمه متسائلة بغيظ وسخرية : « الى متى ستبقى فى بطني ؟ هل تنتظر حتى تصبح رجلا ذا شاربين ؟ ينبغي لك أن تشفق علي فقد صرت ثقيل الوزن الى حد أني بت لا أستطيع المشي » .

قال الجنين : « أنا لا أحب السير فى الظلام ، ولن أغادر بطنك إلا اذا عرفت أولا أي نوع من الحياة ينتظرني في العالم الذي سأصبح واحدا من أفراده » .

فكرت الأم قليلا ، ثم قالت لجنينها : « أتريد كذبا يخدعك ويسعدك أم تريد صدقا يقول لك الحقيقة ويشقيك ؟ » .

قال الجنين فورا : « أريد الصدق وحده ولاسيما أن الصدق ينجي والكذب يردي » .

قالت الأم : « اذن انصت لما سأقوله » .

قال الجنين : « قولي ماتشائين ، فكلي آذان صاغية » .

قالت الأم : « العالم الذي ستحيا فيه معتوه فظ قاس لايرحم ولا يشفق » .

قال الجنين : « ما من قوي إلا وفوقه من هو أقوى منه ، وما من قاتل نجا من قاتل آخر أهرق دمه » .

قالت الأم : « ستزرع الورد ، ولكنك لن تقطف سوى الشوك وحده » .

قال الجنين : « لن أزرع إلا الشوك كي أقطف الورد » .

قالت الأم : « من السهل أن تحزن ، ومن الصعب أن تفرح » .

قال الجنين : « لن أحزن ولن أفرح » .

قالت الأم : « ستحلم وتتمنى وتحب ، فلا تحصد إلا الخيبات وموت الأحلام والآمال » .

قال الجنين : « سأطعم قلبي لهررة جائعة أو أحوله الى صخر بارد » .

قالت الأم : « إن تكلمت ندمت ، وإن صمت ندمت » .

قال الجنين : « سأعرف متى أتكلم ومتى أصمت ، وسيندم غيرى » .

قالت الأم : « الشجرة ذات الثمار الطيبة محكوم عليها بالهلاك بسبب طيب ثمرها » .

قال الجنين : « لن أكون شجرة بل سأكون فأسا » .

قالت الأم : « الأنهار تظل عذبة الماء حتى تصب فى البحار المالحة ، والأنهار أقلية والبحار أغلبية » .

قال الجنين : « بحر كبير مالح خير من نهر صغير عذب المياه » .

فقالت الأم : « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » .

قال الجنين : « لا فائدة في العلم لا في الصغر ولا في الكبر » .

قالت الأم : « واجب العاقل إصلاح عيوب نفسه قبل انتقاد عيوب الآخرين » .

قال الجنين : « عيوبى محاسن يليق بها الثناء ، وفضائل الآخرين عيوب شائنة » .

قالت الأم : « قد تضطر في أحيان كثيرة الى أن تغضب ، والغضب من شيم الحمقى » .

قال الجنين : « أن أغضب ويقال علي أني أحمق أفضل من أن أصبح طعاما لكل الأفواه » .

قالت الأم : « من افتقر قلبه لم ينفعه غناه » .

قال الجنين : « هذا كلام لايؤبه له ، وأزدرى قائله الذي لابد من أنه كان فقيرا يوشك أن يموت جوعا ، ويده قصيرة وعينه بصيرة » .



قالت الأم : « ستلتقي أناسا يدفنون الحسنة ويظهرون السيئة » .
قال الجنين : « الكلب إذا أكل وشبع إشتد نباحه » .
قالت الأم : « وقد تفقد أصدقاءك صديقا بعد صديق . ولا غم يشابه غم فقد الأصدقاء » .
قال الجنين : « الأصدقاء هم أصدقاء في أيام الرخاء وأعداء في أيام البلاء » .
قالت الأم : « اللئام كثيرون . واللئيم كالحية لايوجد عندها إلا السم » .
قال الجنين : « لن أكون الطبيب الذى يشرب السم اتكالا على مالديه من أدوية » .
قالت الأم : « تنبه الى أن الغالب بالشر مغلوب » .
قال الجنين : « الماء مهما سخن يطفئ النار إذا صب عليها » .
قالت الأم : « لانفع في لؤلؤ لايخرج من بحره » .
قال الجنين : « من طمع الى امتلاك اللؤلؤ فليدفع الثمن للبحر » .
قالت الأم : « سعادة المرء أن يكون رزقه في بلده » .
قال الجنين : « سعادة المرء أن يكون رزقه من غير تعب » .
فصاحت الأم بنزق : « اذا كانت لك هذه الآراء فما مبرر بقائك في بطني ؟ » .
قال الجنين : « أنا أنتظر أن تطلقي أبي الفقير وتتزوجي من آخر ذي ثراء وجاه ونفوذ » .
فركضت الأم الى أقرب مستشفى مشمئزة مستغيثة .

الأديـب وكلماته

أحد الأدباء ، قال يوما لكلماته وهو يحس أنه شحاذ مبتدئ : « كوني مرحة ، فالهم والغم مسيطران ، والناس يحتاجون الى ضحكة أو ابتسامة » .
قالت الكلمات : « هل أكذب وأقول إن الليل نهار وإن المشانق شجيرات ورد ؟ » .
قال الأديب : « لا تقولي للأعور : أنت أعمى » .
قالت الكلمات : ماذا يحدث إذا ذهب رجل الى ناد ليلي وأخذ يقرأ الالياذة بصوت مرتفع ؟
قال الأديب : ستتعالى صيحات الرواد هازئة به .
قالت الكلمات : وماذا يحدث إذا ذهب الرجل الى المتحف البريطاني وحاول أن يسكر ؟
قال الأديب باستنكار : هناك وسائل متنوعة صارمة كفيلة بتوجيهه وإرشاده الى الطريق الصحيح .
قالت الكلمات : إذن .. إياك أن تقلد ذلك الرجل .
فامتنع الأديب عن الحكي مع كلماته ، وقرر أن الكتاب وحده خير جليس ، وتناول كتابا ، وفتحه ، فقرأ الجملة التالية : « إنك تُقتل إن يقتل أخوك » ، فرمى الكتاب الى الأرض بحركة حانقة ، وتطلع فيما حوله ، فاذا السفن تحترق والعدو أمامه والبحر من ورائه ولا مفر له .

الكاتب عربي واللص انجليزى

قالت مصادر الشرطة البريطانية إن لصوصا مجهولين اقتحموا بيتا تسكنه أسرة عربية ، وسرقوا مليون جنيه استرليني .
وأضافت المصادر نفسها قائلة إن اللصوص لم يتنبهوا الى أحجار كريمة كانت موجودة في البيت ذاته وتقدر قيمتها بخمسة ملايين جنيه .
عندما اطلعت على هذا النبأ ، حزنت حزنا شديدا . فأنا أقيم بلندن منذ أكثر من أربع سنوات . ولكني لم أحظ بزيارة أي لص . العائلة المسروقة عربية . وأنا أيضا عربي . فلماذا هذه المعاملة العنصرية المقيتة ؟
ولماذا هذا التمييز الطبقي البشع ؟
ولقد حاولت الخلاص من حزني مستخدما أساليب ووسائل متنوعة كثيرة .
إستمعت الى أغنيات عربية تزعم أنها فرحة مرحة ، فأصبحت مقتنعا أن لون العشب في الربيع أسود .
قرأت أشعارا يقال عليها إنها طليعية ، فأوشكت أن أقدم على الانتحار شنقا .
تابعت أخبار الوطن العربية اليومية ، فتمنيت لو كنت أرمنيا مولودا في آسيا ايام المجازر .
طالعت مجلات عربية الحروف ، فرغبت في البكاء كأن أمي ماتت من دون أن يتاح لي توديعها .
تذكرت أجمل أيام في حياتي ، فاذا هي رماد وسحاب بلا مطر وقوارب خدعها المستنقع زاعما أنه البحر .
ولما أخفقت محاولاتي هذه ، وبقي الحزن مقيما بقلبي يأبى الجلاء ، مقلدا اسرائيل ، لجأت الى الخيال ، وتخيلت لصا انكليزيا عريقا ذا تاريخ مجيد في مهنته يدخل بيتي في النهار لا في الليل .
وها هوذا اللص يباغت برؤيتي ، فيشهر في وجهي مسدسا شبيها بمدفع مضاد للطائرات ، فأقول له متسائلا بشجاعة وصوت مرتجف : « ماذا تريد ؟ » .
فيجيب بإيجاز بليغ يجهله الأدب العربي المعاصر : « أموالك » .
فأسارع الى افراغ جيوبي من كل ما فيها من نقود ، فاذا المبلغ المتجمع لايوافق متسول يحترم نفسه على أخذه ، فيغضب اللص ، ويقول لي : « أنت حتما اتعظت بتجارب غيرك ، وأودعت أموالك في المصارف » .
فأهز رأسي موافقا ، فيطالبني بسجل لأرصدتي في المصارف ، فأبادر الى تقديمه إليه مزهوا ، ولكنه ما إن يطلع عليه حتى يرميه نحوي باحتقار قائلا : « أسلقه واشرب ماءه » .
فأعاهده على العمل بنصيحته ، فلا يأبه لي ، ويشرع في التجوال في أرجاء البيت منقبا عما يستحق أن يسرقه ، ثم يعود الي خائبا حانقا ليسألني : « ألا تملك شيئا ما ثمينا ؟ » .
أقول دونما تردد : « إني أملك طفلين صغيرين هما الآن في المدرسة ، وتستطيع أخذهما حالما يعودان » .
يقول اللص بلهجة ساخرة : « ألا تملك شيئا غيرهما ؟ » .
فأفكر مقطب الجبين ثم أقول : « إني أملك أيضا قبرين في بلدي ، وأسعارهما باتت أغلى من أسعار القصور في مونت كارلو » .
فيتأملني اللص مليا ، ثم يسألني بفضول : « أنت بلا عمل ؟ » .
فأقسم له باللغتين العربية والانكليزية أني أعمل ليل نهار ، فيقول لي : « ماذا تشتغل ؟ » .
أقول : « أنا كاتب » .
فيضع اللص مسدسه في جيبه ، ويبتسم ابتسامة أب مفعم بالحنو والحب ، ويقول لي : « أنا أشفق عليك » .
فأشكر له عواطفه ، ويهم بمغادرة بيتي ، ولكنه يتوقف فجأة ، ويقول لي : « لدي اقتراح ، اترك مهنة الكتابة واشتغل معي » .
فأوافق بحماسة ، مؤكدا إيماني بفوائد التعاون بين الشعوب ، ونجلس معا نفكر في مشروعات المستقبل ، ونتبادل الآراء بوصفنا شريكين وزميلين ، فأقترح السطو على الخزينة البريطانية تقليدا لما يفعله بعض الزملاء العرب بخزائن بلادهم ، فيرفض اللص باستنكار قائلا : « صحيح اني لص ، ولكني لص وطني » .
وهكذا اضطررت الى الاستمرار في مهنتي كاتبا لا يملك من متاع الدنيا سوى كلمات ، والكلمات إذا كانت نزيهة قليلا لا تجلب إلا المرض والخوف والجوع .

وثيقة أدبية



عيسى الناعوري في رسائله الأدبية

بقلم : أسامة فوزي

نشرت الدوحة في عددها الماضي القسم الأول من هذه الوثيقة الأدبية الهامة ، والتى تضم مجموعة رسائل كتبها الأديب العربي الأردني الراحل الدكتور عيسى الناعوري إلى الناقد الشاب أسامة فوزي ، وتناول فيها كثيرا من الشئون الأدبية والقضايا الفكرية في صراحة وجرأة ، وهذا هو الجزء الثاني من الوثيقة الأدبية مع التعليقات التى كتبها أسامة فوزي عليها ، ويشمل هذا الجزء خمس رسائل أخرى ، وتكون الدوحة بذلك قد نشرت عشر رسائل من بين ثمانين رسالة يقوم أسامة فوزي بإعدادها للنشر في كتاب يظهر خلال الشهور القليلة القادمة.

الرسالة السادسة

الثلاثاء ١٦/مارس/١٩٧٦

عزيزي أسامة

رسالتك الأخيرة المؤرخة ٣/١١ وصلت هذه الساعة ، وأكتب إليك حال عودتي من البريد ؛ شاكراً لك سرعة ردك ، واهتمامك الجاهد في الوصول الى الحقيقة في قضية الصديق العزيز الراحل تيسير سبول . اهتمامك هذا دليل جدية في البحث عن الحقيقة ، وهو لذلك فضيلة تستحق عليها التقدير.

القضية في اعتقادي أهون من أن نطيل النقاش فيها ، وألخصها فيما يلي : ــ

١ ــ تيسير كان ثائراً على أوضاع عربية لم تكن ترضي مثله وتيسير انتحر شاباً.

٢ ــ الانتحار جبن وهزيمة ، والثائر لا ينهزم مختاراً ، لأنه لا يمكن أن يكون جباناً بل يتحدى إلى النهاية.

٣ ــ انتحاره إذن لم يكن انتحاراً فلسفياً (٢٤) ، ولو كان كذلك لما كان تيسير يستحق أقل اهتمام ، لأن الذي ينتحر لعدم رضاه عن الواقع ، إنما يترك لهذا الواقع أن ينتصر ، بدلاً من أن ينتصر عليه ، وبدلاً من أن يساند الآخرين على الانتصار وتغيير الواقع وحين انتحر تيسير لم يؤثر انتحاره على الواقع ، ولا على حياة الآخرين البائسة ، أثر على نفسه فقط وأساء إليها لهذا كله لا أرضى أن يكون تيسير انهزامياً ولا جباناً ولكن حين ضعف أمام قوة المرض التي طال أمدها ولم يكن له منها خلاص ، وضع حداً لصراعه مع المرض الذي لم تكن له طاقة لمقاومته ، فهو إذن لم يكن جباناً ولا انهزامياً ، بل كان « إنساناً » ككل الناس ، ذا طاقة جسدية محدودة على المقاومة في صراع المرض ، وهذا تبرير إنساني لانتحاره ، ولهذا يجب أن نفرق بين فلسفته الطموحة الباحثة عن تغيير الواقع لخدمة الانسانية وانتحاره لضعف مقاومته الجسدية للمرض.

أتراني قلت كلاماً مقنعاً ؟! أرجو أن أكون قد فعلت هذا !

والآن ... لقد أتعبتني كثيراً في البحث عن المقالات التي تطلبها مما كان بين الايراني وبيني في جريدة (الرأي) و (الدستور) ، وها قد وجدتها أخيراً بين ملفاتي العديدة ، الملأى بألوف الأوراق القديمة والجديدة .. سامحك الله ! ولكن ؛ دعني أرجوك رجاء حاراً أن تحافظ على هذه الأوراق لتردها الي

بأسرع وقت بعد أن تنسخ حاجتك منها ، فهي النسخ الوحيدة لدي وأنا حريص على أن أحتفظ بها وأنت قد وعدتني في رسالتك بردها حالاً ، وأنا أثق بوعدك مع أنه ليس من عادتي أن أخرج مثل هذه الأوراق العزيزة من بيتي حتى الى خارج باب البيت ولهذا أرجو أن أعود من ايطاليا في أوائل الشهر القادم فأجدها في انتظاري في منزلي : ومع خصوماتي مع الايراني تجد كذلك قصاصة عزيزة جداً جداً وهي مقالتي في (أخبار الأسبوع) حول العزيز الراحل « تيسير سبول انساناً » وهذا سيهمك حتماً . وهذا أيضاً أرجو رده مع بقية الأوراق لأنني لا أملك منه نسخة أخرى وأنا حريص على الاحتفاظ به . اكتفي بهذا متمنياً لك التوفيق والسعادة وعلى أمل أن أعود من رحلتي فأجد ردك ــ مع القصاصات ــ في انتظاري .

الرسالة السابعة

الاثنين ١٢/ابريل/١٩٧٦

عزيزي أسامة

عدت منذ أربعة أيام من رحلتي الايطالية الأخيرة ، التي نلت فيها شهادة الدكتوراة الفخرية في الآداب من جامعة باليرمو(٢٥) وألقيت ست محاضرات ولقاءات أدبية ، في باليرمو وروما ، لقيت اهتماماً كبيراً من الجمهور ومن الصحافة الايطالية . وكان أكثر هذه المحاضرات عن الشعر العربي الحديث والمعاصر ، وما دخل عليه من عوامل التجديد ، وشعر المقاومة في الأرض المحتلة . وهذا المساء تلقيت رسالتك الأخيرة المؤرخة ١/٤ الجاري ، ومعها القصاصات التي كنت قد أرسلتها إليك قبل سفري الى ايطاليا . فشكراً على تفضلك بردها وعلى ملاحظاتك على (شريطي الأسود) (٢٦) وكنت أود لو أنك كتبت تعليقاتك هذه في إحدى الصحف الخليجية أو العربية .

أود أن أجيب عن ملاحظاتك وتساؤلاتك بما يلي :

● الأسـباب الحقيـقيـة وراء انتـحـار شـاعـر أردنـي

● دكتوراه فخـريـة من إيطـاليـا ينـالهـا النـاعوري بعـد طـه حسـين

١ ــ لعلك لاحظت أنني وقفت في اعترافاتي عند حد معين من عمري ، قبل أن أدخل حياتي العملية وقبل أن تعرف حياتي طعم الاستقرار . كان ذلك عام ١٩٣٦ أو ١٩٣٧ وعمرى ١٨ أو ١٩ سنة فقط .

وكنت فى تلك السن لاهم لي غير البحث عن الرغيف والكساء . وحين يطالبنى إنسان بأن أدخل السياسة والنضال القومي والقضية الفلسطينية(٢٧) في تلك الاعترافات فهو يظلمني ويظلم الاعترافات . أنا فيها أصور إنسانية كاملة مكافحة في شخص شاب ــ هو أنا ــ يبحث عن نفسه بين ركام البشر ، ويبحث عن دربه فى زحمة الدروب . لم أصل باعترافاتي إلى شيء من حياة العمل والأدب والاستقرار البيتى . لهذه كلها جزء آخر أو أجزاء ، لا أدرى متى أكتبها ولا من سينشرها .

٢ ــ حياتى كلها مصورة فى مؤلفاتى ، ولا سيما الشعرية ، والقصصية والروائية ، أنا كلي هناك ، مع الناس الذين أصورهم وأتحدث عنهم وما أسهل أن يرانى الناس أسير معه بين السطور ، ويسمعنى أتحدث إليه عن نفسي ، وعن الآخرين . أما السياسة والنضال الفلسطيني فهما كل ما كتبت حتى صدور روايتى (جراح جديدة) : طريق الشوك ــ خلي السيف يقول ــ عائد الى الميدان ــ بيت وراء الحدود ــ جراح جديدة ــ أناشيدي ــ أخي الانسان ــ بطولات عربية من فلسطين ، إضافة الى عشرات أو مئات من المقالات في صحف العالم العربى والمهاجر الأمريكية ، لعلى بين أدباء العرب جميعاً أغزرهم انتاجاً ــ شعراً ونثراً ، قصة ورواية ــ في القضية الفلسطينية وآخر أعمالى ــ ولعله أهمها في هذا الموضوع ــ كتابى الايطالى الذي ترجمت فيه أربعين قصيدة إلى اللغة الايطالية من شعر (محمود درويش ، سميح القاسم ، توفيق زياد وفدوى طوقان) وطبع ثلاث طبعات فى روما عام ١٩٦٩ و١٩٧٠ ونفدت منه ثلاثون ألف نسخة . فهل تطلب منى أكثر من هذا ؟!

وتسألنى عن « الاحساس الطبقى »(٢٨) وهل خلفت اعترافاتى منه في نفسي شيئا ، أو رغبة في الالتزام ؟.. لا ياأسامة ، الطبقية حقد ورذيلة ، وأنا أكره الحقد لأننى إنسان ، ولأن أدبى للانسان ، لا لطبقة ولا لحزب . والالتزام عندي هو الانسان ــ كل انسان ــ لحريته وكرامته وأحاسيسه الخاصة . الأدب الذي ليس للانسان لا يمكن أن يكون أدباً . لا تدير رأسي كليشيهات العصر السخيفة ، ليتشدق بها من يشاء ، أنا لا أومن بها ، ولو آمنت بها ، أو لو التزمتها فى أدبى لفقدت عنصر أدبى الأساسي : الانسان والانسانية . منظر عصفورين يتناجيان على غصن يوحى الي بما توحي به كل مرافسات الحمير والبغال من أجل العلف والحشيش ، ومن أجل الانتصار والاستئثار بالمزود والأسطبل . ومنظر جندي في قلب المعركة ، رفع يده عن الزناد لكي يخرج من جيبه صورة زوجته أو ابنه او حبيبته ، ثم يقبلها ويعيدها الى جيبه ، تثير في نفسي من المشاعر المرهفة مالا تثيره حرب طاحنة : هناك الانسان في لحظة من لحظات إنسانيته ، وهنا البهيمة فى فورة من فورات وحشيتها . وهل لا يكون الانسان إنسانا إلا إذا كان فقيراً ، ومكافحاً للعيش فقط ؟!

أرجو أن أكون قد أعطيتك حقيقة نفسي فى هذه السطور وأجبت عن أسئلتك بإيجاز .

عيسى الناعوري

في رسائله الأدبية

اكتفي الآن وأرجو ان نستأنف مزيدا من الدردشة في رسائل قادمة .

الرسالة الثامنة (٢٩)

الجمعة ٣٠/ ابريل/ ١٩٧٦

ياعزيزى فوزي . أنا أكره رابطة الكتاب الأردنيين ، لأنها رابطة (متسيسين) لا يفهمون الاداب ، ويريدون أن يكونوا (أدباء) عن طريق العقائد السياسية(٣٠) .. وأنا أفهم أن دخول الأدب في السياسة مفسدة للسياسة ، مثل دخول السياسة في الأدب وإما أن يكون المرء سياسياً وأما أن يكون أديباً والجمع بين الأثنين لعب على الحبال وبهلوانية . ومع ذلك يبدو لى أن مفهوم (السياسة) بينك وبينى (غير مفهوم) .. أعنى أنه (فهم غير متفق عليه) ولا تحديد له .. لقد قلت لك في رسالتى السابقة إن واجب الأدب أن يحارب الشر في الناس . لا أن يحارب الأشرار أنفسهم . لأن الناس كلهم أشرار بطبعهم ولا تستطيع أن تحارب كل الناس .(٣١) .

الرسالة التاسعة(٣٢)

الخميس ٢٠/ مايو/ ١٩٧٦

« الحقيقة أن كل ما كتب حول دوافع انتحار تيسير سبول كان ضرباً من العبث وانتحال العلل غير الصحيحة . فلم ينتحر تيسير « رفضاً للواقع » ولا « تمرداً على الحياة » ولا بدوافع فلسفية أو شعرية . تيسير انتحر لأن آلام الصرع الرهيبة التى كان يعانيها من وجع عينيه ، والتى رافقت حياته كلها ، ولم تنفع بها علاجات الأطباء ، وانتهت به الى بداية عمى ، بحيث لم يعد يرى على مسافة عشرة أمتار ، هذه الآلام كانت أقوى وأقسى من احتماله ، ولا سيما بعد أن أعلن له الأطباء عجزهم عن شفائه ، ويأسهم من بقاء بصره ، هذه الحقيقة عرفتها حين زاملته في مؤتمر الأدباء في بغداد عام ١٩٦٩ : كنا زميلين في غرفة واحدة طوال مدة المؤتمر ، وأحببته وأحبنى بكل اخلاص ، كانت الحبوب في جيبه باستمرار ، وكا ينهض في وسط الليل ليلهم منها لهماً . وحين كنت أسائله ، كان يقول : « يا أخوي يا أبو سمير ، بتصيبني حالات صرع من وجع عيوني ، ومش نافع فيهم لا طب ولا دوا » . والذي يعرف تيسيرا يعرف كيف كانت عيناه جاحظتين وصحراوين باستمرار . لهذا انتحر تيسير ، وأي تفسير فلسفي أو شعري أو عقائدى آخر هو ضرب من العبث والهذيان . لو انتحر تيسير « رفضا أو تمرداً » لكان جباناً لا يستحق الاحترام ، ولا أن يكتب أحد في رثائه . لقد انتحر لأنه « إنسان » ضعيف أمام مأساة عينيه ، مأساة حقيقية ، ولقد كتبت في ذلك مقالاً طويلا في (أخبار الأسبوع) في الوقت الذي كنتم تكتبون وتملأون الصحف مقالات عن انتحاره (الرافض) وانتحاره (المتمرد) وانتحاره (الفلسفى) أو العقائدي » .

الرسالة العاشرة

الجمعة الأول من أكتوبر ١٩٧٦

أخي أسامة

هذا الصباح وجدت في صندوق البريد رسالتك المؤرخة ٧٦/٩/٢١ ومعها قصاصة من « ملحق السياسة الأسبوعي » الصادر بتاريخ ٧٦/٩/١٩ والذي تفضلت فراجعت فيه كتابى (الشريط الأسود) مراجعة موجزة ولكنها وافية . فشكراً على المراجعة والرسالة .. استغرب كثيراً كيف لم تصل إليك في القاهرة رسالتى المؤرخة ١٩٧٦/٧/٢٢ ، التى رددت بها على رسالتك القاهرية المؤرخة ٧٦/٧/١٦ ، وحسب رغبتك . وجهت الرسالة إليك على أحد العنوانين اللذين ذكرتهما لى ، وهو عنوان (مجلة الثقافة الجديدة ، ٣٢ شارع صبرى أبو علم وبواسطة السيد عبده جبير) إذا لم تخنى الذاكرة أو هو العنوان الثانى (مجلة صباح الخير بواسطة منير عامر) لا أذكر تماماً لبعد الزمن . وكانت رسالتى تلك مطولة ، وقد ذكرت لك فيها أنني كنت أنا أيضا في القاهرة في مطلع الشهر السابع عينه ، وأنني قضيت هناك أكثر من أسبوع وسلمت الى دار المعارف كتابين جديدين سيصدر أحدهما في سلسلة (اقرأ) وعنوانه نظرات (سريعة في الآداب الغربية) ويصدر الثانى في سلسلة أخرى من منشورات الدار وعنوانه (في ربوع الأندلس) مزوداً بالعديد من الصور وكذلك اتفقت معهم على اصدار الطبعة الثالثة من كتابى (أدب المهجر) وأنى لأعجب كيف لم تصل اليك رسالتى تلك ، واعذرك لاستبطائك ردي كما أننى ايضا استبطأت رسالتك ، وكنت أتساءل ان كنت قد عدت من مصر ، أم طابت لك العيشة هناك فآثرت المقام بجوار صحافتها الأدبية والسياسية ونهضتها الفكرية الكبيرة الغنية ، ولو أنك فعلت لما لامك أحد على هذا الاختيار . (٣٣)

● إمــا أن يكــون المــرء سيــاسيًــا وإمــا أن يكــون أديبــًـا ..
والجمــع بين الإثنــين لعِبٌ على الحبــال

اسامة فوزى

الهوامـــش

(٢٤) وهو ما خلصت إليه في كتابى « آراء نقدية » ويرد عليه الناعوري فيما يلى من أسطر .

(٢٥) ويكون الناعوري بذلك العربى الثانى الذي يحصل على هذه الشهادة من هذه الجامعة فقد منحت قبله للدكتور طه حسين . والجدير بالذكر أن الناعوري لم يتلق دراسات عليا ومن ثم لم يكن يحمل شهادات ، غير شهادة الثانوية القديمة من المدرسة الامريكية اللاتينية في القدس ، وقد تلقب بالدكتور بعد حصوله على الدكتوراه الفخرية وبدأت رسائله إلي توقع باللقب الجديد .

(٢٦) يقصد روايته « الشريط الأسود » وهي من أدب الاعترافات وقد صدرت عن دار المعارف بمصر عام ١٩٧٣ .

(٢٧) في رسالتي السابقة إليه ، حول روايته « الشريط الأسود » عجبت من تجاهل الناعوري للأحداث المحيطة به ، بخاصة القضية الفلسطينية ، والتى كانت في زمن اعترافاته تؤثر على الجميع وتكاد تكون زاد الناس اليومي .

(٢٨) كنت قد لاحظت في رسالتى إليه أنه لم يحسن توظيف الصراع الطبقى الذي يصوره في روايته لخدمة البناء الدرامي للرواية .

(٢٩) تقع هذه الرسالة في صفحتين فولسكاب اخترت منها الفقرة المذكورة لأهميتها وأهملت الباقى .

(٣٠) كان الناعوري الأديب الثانى الذي يترك الرابطة بعد أشهر من إنشائها . فقد سبقه كاتب هذه السطور الى الاستقالة . وما يذكره الناعوري صحيح فقد تضخمت الرابطة خلال أشهر حتى زاد عدد الأعضاء في الضفة الشرقية وحدها عن ثلاثمائة ، لا علاقة لأكثرهم بالأدب وقد تسربوا الى العضوية من خلال الشلل المتصارعة التى كانت تبحث عن أصوات من غير الشارع الأدبي لدعمها وقد وصل عدد من الناشئين فعلاً الى مراكز قيادية فيها .

(٣١) يشير الناعوري في هذه الفقرة الى حوار مطول بيننا حول مفهوم الكاتب والسياسي وعلاقة السياسة بالأدب !!

(٣٢) اخترت من هذه الرسالة ما يتعلق بانتحار تيسير سبول فقط .

(٣٣) هذا جزء فقط من رسالة طويلة أشاد فيها الناعوري بالحياة الثقافية في مصر ، ومما يجدر ذكره أن علاقات الناعوري بالوسط الثقافي المصري ودور النشر علاقات قوية وبعض أشهر كتبه صدر عن دور نشر مصرية مثل روايته (مارس يحرق معداته) ــ صدرت عن دار المعارف في سلسلة اقرأ عام ١٩٥٥ ــ و(أدب المهجر) ــ صدر في ثلاث طبعات عن دار المعارف بمصر (١٩٥٩ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٦) وروايته (الشريط الأسود) وهي من اصدارات دار المعارف أيضاً .

شوقاً إلى ..

شعر : فتحي سعيد

لو راش سهمُ العشقِ لي سَهْما
لرشقْتُهُ سهما
ونزعتهُ من مُهْجةٍ كلْمَى
ونزفتُ فيه قصيدتي حُلْما
وتركتهُ خلف الرُبا يدْمَى
يَسْقي بظاهرِ كفِّها وشما

° ° °

لو سامني هذا الهوى سَوْما
وأذاقني من كأسهِ سُمّا
وركضتُ في صدرِ السما نجْما
أطأ السحابَ وأعتلي الغيْما
وركبتُ متْنَ نجيبةٍ عُظْمى
حاذيْتُ هوْدَجَها وما ضمّا
وعقرتُ ظهْرَ بعيرها .. لثْما
ونظمتُ حبَّةَ رملها نظْما

وأشُمها شما
وأرودُها ..
فتصُدُّني رغما ..

لم أرتكبْ جُرماً ولا إثما . !
عجْلانَ لمّا أقبلتْ همّا
ما همُّهُ واشٍ ولا اهتما
ظمآى تكتَّمت الظما كتْما

وتذودني عمّا
وتذمُّني ذمّا
وأنا لعطرِ لمَاتها أظْمى !

° ° °

أهواكِ ...
لكن .. ، أكرهُ الظُلْما
وأصدُّهُ ،
لو سَهمُهُ أصْمى
وأعافُ وِرْدَ إنائِها لمّا
تلَغُ الذئابُ وتنهشُ الكرْما
ولقد هجرتِ فلم أمُتْ غمّا .. !
وبلوتُ فيكِ السُّهْدَ والسُّقْما
وعشقتُ قبلكِ في الهوى هندا . ،
وعشقت بعدكِ مرةً سلْمى ..
وبرَى هواكِ اللحمَ والعظْما
لم أحتسبْ غُرْما ولا غُنْما . !
فإذا وصلْتِ .. ظفرتُ بالنعمى
وعصيتُ فيكِ الخالَ والعمّا
ومضيْتُ جذلانَ الخُطا يَعْمى
كالطفل لمّا فارقَ الأمّا
واستقبلَ اليُتْما
ذهلانَ لا يدري له إسما
أو يعرف العنوانَ والرسما
شوقاً إلى الأسمى
شوقاً .. إلى الأسمى !

مهرجان ثقافي حافل في:

معرض الدوحة للكتاب



جانب من معرض الدوحة للكتاب

تحقيق: السيد حجازي

شهدت دولة قطر مؤخراً مهرجاناً ثقافياً كبيراً . تمثل في اقامة معرض الدوحة للكتاب ..

ولقد كان ذلك المعرض حدثاً فريداً من نوعه حقاً ..

فقد لقي اقبالاً منقطع النظير ، لدرجة أن المسئولين عن اقامته وتنظيمه قرروا تمديده ، لمواجهة الحشد الهائل من الجمهور في ساعات النهار والليل .. وتلبية لكل طلباتهم ..

ولقد أثبت المعرض أيضاً حقيقة حية لا تقبل الجدل والمناقشة هي أن الجمهور من الجنسين متعطش للثقافة والقراءة والمعرفة ، ومن مصادرها الأصلية وهي الكتب ..

فكيف كانت صورة استقبال الكتاب من جانب الناس ، وما هي القضايا الفكرية والثقافية التي طرحها المعرض الذي أقيم تحت رعاية الأستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام ، وافتتحه السيد محمد عبد الرحمن الخليفي وكيل وزارة الاعلام ؟

بداية الفكرة

لقد لمست عدة حقائق هامة من خلال تجولي بالمعرض ، ومن خلال حديثي مع السيد راشد النعيمي المشرف العام على اقامة المعرض ..

ولقد بدأت الفكرة في رأسه ــ كما يقول ــ منذ مدة طويلة .. فقد بات الناس في قطر في حاجة إلى معرض للكتاب ، بعد أن طالت المدة التي مضت على اقامة آخر معرض في الدوحة ، وهي خمس سنوات تقريباً .. ومن هنا لم يكن معقولاً في رأيه ألا يتابع المواطنون والمقيمون هنا عن قرب أحدث ما صدر من كتب في شتى مجالات الفكر والأدب والعلوم والفنون ..

وهكذا خرجت إلى الوجود فكرة اقامة المعرض ..

ولأول مرة ينهض بهذه المسئولية القطاع الخاص ، تأكيداً لدوره في العمل على نشر الكتاب ، واحياء الثقافة الأصيلة ..

فلقد سبقت هذا المعرض كما يقول السيد راشد النعيمي ثلاثة معارض أخرى في الدوحة ، كان آخرها في عام ١٩٨٠ ، وكانت تنظم هذه المعارض وزارة التربية والتعليم ودار الكتب القطرية ..

وحدث اتصال بالناشرين العرب لاقامة المعرض الجديد .. وكان ترحيبهم وتجاوبهم لا يوصفان ، الأمر الذي شجع على سرعة تنفيذ الفكرة ، وتحويلها إلى واقع ملموس ..

ولقد تسابق الناشرون في تلبية الدعوة ، وارسال عينات من الكتب ، والكميات التي ستعرض منها ..

وبلغ عدد دور النشر التي اشتركت فعلاً مائة وعشرين ، ووصلت نوعية الكتب حوالي خمسة عشر ألف نوعية .. أو تزيد ..

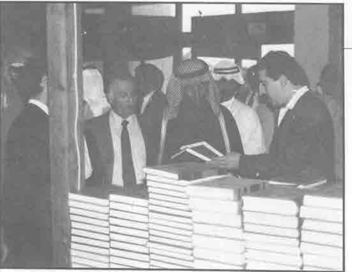
وكان الاقبال على الشراء ، كما يقول السيد راشد النعيمي .. يفوق كل التوقعات ..

وكانت الظاهرة اللافتة للنظر هي إقبال المرأة بالذات على الشراء بشكل يدعو الى الدهشة والاعجاب معاً ..

وهي لا تشتري فقط كتب الطهو والتريكو وتربية الطفل ، بل انها تقبل بشكل خاص على القصص والروايات ودواوين الشعر .. وكان هذا مثار تعليق طويل من الناشرين ..

أعلى درجة

وتسألني ــ هكذا يضيف محدثي ــ عن أرقام المبيعات ، وهذه في الواقع ما زالت تدرس من جانب محاسبين قانونيين يتولون الاشراف على حسابات المعرض ومبيعاته .. ولكن بشكل عام الاقبال يؤكد أن الأرقام وصلت إلى أعلى درجة ، ولم يكن متوقعاً لها ذلك بأي شكل من الأشكال ..



محمد عبدالرحمن الخليفي ، وكيل وزارة الاعلام ، أثناء جولته في المعرض



راشد النعيمي

● إقبال من الجمهور منقطع النظير والمرأة تشتري أربعة أضعاف الرجل

● الناشرون يناقشون مع "الدوحة" المعوقات أمام انتشار الكتاب العربي

أما نوعيات الكتب التي لاقت اقبالاً أكثر من غيرها ، فهي في رأي المشرف العام على المعرض ، الكتب الدينية ، ثم تأتي بعد ذلك النوعيات المختلفة ..

وترك لي محدثي أن أطلع بنفسي على ذلك من الناشرين إذا أردت ، حتى تكون الصورة من خلال الواقع الحي ..

لكنه أضاف أنه من الملاحظ أن هناك اقبالاً بشكل واضح على الكتب الدراسية الجامعية ، وقصص وروايات كبار الكتاب ، وقصص الخيال العلمي ، ودواوين الشعر ، والكتب التي تتناول شتى الفنون التشكيلية بالعرض والشرح والتفسير ..

ويتطرق الحديث بيني وبين السيد راشد النعيمي إلى عدة نقاط أخرى ، فأسأله : إذن أين تكمن أزمة الكتاب العربي في واقع الأمر ؟ ..

وتجيئني اجابته بالكثير من التفصيل الذي يلخص وجهة نظره في هذه القضية الهامة ..

ان الذين يتحدثون عن أزمة الكتاب العربي مبالغون فيها إلى حد بعيد ..

لكن دعنا أولاً نحدد هل هي أزمة قراءة ، أم هي أزمة تواجد ..

إذا كان المقصود أنها أزمة قراءة ، فهذا الاقبال ماذا يعني .. انه يعني بكل تأكيد أن هناك رغبة في الاستزادة من المعارف ، ومن البحث في كافة المجالات .. ولاشك أن هناك نسبة تحاول الاقتناء لمجرد الاقتناء .. هذه حقيقة لا سبيل إلى نكرانها .. ولكن يكفي أن الكتاب مازال مقصد الكثيرين ، بل الأكثرية .. وهذا يؤكد أنه في مواجهة الوسائل الأخرى العديدة ، والسهلة ، ما زال الكتاب قادراً على الصمود .. وسيظل كذلك إلى أبعد وقت ..

الشباب والقراءة

ونحن في الواقع — والكلام مازال للسيد راشد — نظلم الأجيال الجديدة إذا قلنا إنها تنصرف عن القراءة والرغبة في المعرفة ..

ان هذا لا يمثل الحقيقة التي لمسها بنفسه ولمسها الكثيرون معه ..

لقد كان اندفاع الشباب إلى الشراء لا يوصف .. وكانت الرغبات من جانبهم تمثل توجهات جادة ، وبناءة ، ونافعة ..

انهم يقرأون في علوم التكنولوجيا والفلك والطب ، إلى جانب كتب الأدب ، والفلسفة ، والفن .. وهم لا يكتفون بالشراء فقط ، ولكن يناقشون ، ويدققون ، ويجمعون الكتب من أكثر من مصدر .. وهذا يبشر بالخير ويعطي مؤشراً حقيقياً لاتجاهات الشباب ، بعد أن أصبحنا نوجه له كثيراً من الاتهامات بالسطحية والثقافية ، والاستهلاك ، ونديق فوق رأسه بكثير من العنف والقسوة ..

ولا شك أن هذه التوجهات من جانب الشباب في حاجة إلى دراسة ، بل إلى مزيد من التوجيه والتأكيد والتأصيل .. وهذه مهمة عدة جهات مسئولة ..

ويواصل السيد النعيمي الحديث قائلاً : ولكن إذا كان المقصود بأزمة الكتاب أنها أزمة تواجد ، فالكتاب موجود وبكثرة ، وفي شتى المعارف .. فالأزمة إذن بكل أبعادها هي في خيالات الذين يطلقون هذه الدعاوي ..

لكن والحق يقال إن القراءة الحرة هي التي تبرز كظاهرة في حاجة إلى مناقشة ..

والحل على كل حال يحتاج إلى نظرة شاملة في تفكيرنا ، وإلى خطوات تنفيذية بناءة ، تشكل موقفنا المطلوب نحو الثقافة ..

هذا هو السؤال

فأي ثقافة نريد نحن : ثقافة مدرسية ضيقة الأفق ، أم ثقافة واسعة رحبة الآفاق ؟ ..

الأمر في الحقيقة يحتاج إلى طموح أشمل ، وأوسع ، وأعمق ، وربما لسنوات طويلة ، حتى نصل إلى النتيجة المبشرة ، التي تدفع بنا إلى مزيد من التقدم ، والتطور ، والانطلاق الهادف ..

وأعود في ختام لقائي بالسيد راشد النعيمي لأسأله مرة أخرى :

لكن إذا كان هذا هو المطلوب ، ألا يجدر أن نطرح بصراحة المعوقات التي تقف في طريق الكتاب العربي ، حتى يمكن التغلب عليها ، ومن ثم تحقيق ما نصبو إليه ؟ ..

وأكد الرجل على هذا الطرح وأضاف أنه ضروري وهام .. وقال أن بعض الناشرين لا كلهم — وهذا من أهم المعوقات في الواقع — يظنون أن عملية النشر هي عملية تجارية بحتة ، وليست قضية ثقافية قومية هامة جداً للمواطن العربي .. ولذلك فانه ما لم توضع ضوابط من قبل الجهات التي تصدر تراخيص

معرض الدوحة للكتاب

لدور النشر. فان هذه العملية قد يزداد خطرها يوماً بعد يوم..

إن الناشر لابد أن يتفهم أن نشر الكلمة أمانة في عنقه، وأن المواطن الذي يقرأ هذه الكلمة هو أمانة في عنقه أيضا. فيجب أن يقدم له ما هو مفيد وهام. بغض النظر عن الربح التجاري.. وهذا لا يعني ألا يربح الناشر، ولكن الموازنة مطلوبة بين الربح والهدف..

وهنا فان اتحاد الناشرين العرب يستطيع أن يلعب دوراً كبيراً في قضية الكتاب العربي، وتنظيمه وانتشاره وتوزيعه. إذا ما استطاع أن ينظم علاقته مع الجهات الرسمية في الوطن العربي..

إنه يستطيع في هذا المجال أن يشرف بشكل أفضل على اقامة جميع معارض الكتاب في الوطن العربي، فربما تكون هنالك بعض الملاحظات خاصة بعدم التنسيق وغيره، على اقامة معارض الكتاب في الوطن العربي..

ولو أن جهة مثل اتحاد الناشرين العرب استطاعت أن تنظم هذه المسألة لكانت النتائج أفضل بكثير.. وهذا كله في مصلحة الكتاب ومصلحة المواطن العربي..

وأخيراً قال السيد راشد النعيمي وبنص كلماته:

ـ وفي هذا المجال فان الشكر واجب لوزارات الاعلام والتربية والتعليم والداخلية، وجميع الجهات الأخرى الرسمية. التي تفهمت تماماً منذ البداية المعاني النبيلة التي تقصد اليها اقامة مثل هذا المهرجان الثقافي في دولة قطر..

لقد قدمت كل هذه الهيئات والجهات بلا تردد كل التسهيلات الممكنة لاستقبال الناشرين العرب في بلدهم الثاني قطر. وأكد الجميع على ضرورة نجاح المؤتمر. انطلاقاً من أهمية الكتاب والعمل على انتشاره وتداوله بشكل واسع وعميق..

وقال أيضاً:

ـ وإننا نرجو أن يكون هذا المعرض هو علامة على طريق الحركة الثقافية البارزة والمضيئة في دولة قطر بقيادة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى وسمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي عهده الأمين.

وإلى هنا كان السيد راشد النعيمي قد وصل إلى نهاية حديثه معي: فتركته بعد أن هنأته على نجاح التجربة، لأتجول في المعرض. والتقي بوجوه عديدة فيه، تتحمل مسئولية العمل: وتحرص على تكامله بكل ما لديها من جهد. ووقت. ونشاط ملحوظ..

من هذه الوجوه سائد درويش مدير المعرض..

إنه في الحقيقة يعتبر شعلة من نشاط وحركة دائبة لا تهدأ..

أخذ يحدثني عن الناشرين العرب ورأيه في الدور الذي يقومون به، وملاحظاته على نشاطات البعض منهم..

وهو يرى والحق معه أن الناشرين العرب في لبنان ومصر وسوريا هم أكثر الناشرين غزارة في الانتاج، ويضيف أن الكويت الآن أصبحت مركزاً جديداً ومهماً للنشر والصحافة بشكل عام.. لكن لبنان يتميز بقلة تكاليف النشر.

وقد قادنا هذا الحديث إلى التطرق إلى بعض المعوقات في طريق انتشار الكتاب العربي..

وكان من رأيه أن هناك أكثر من عقبة..

مثلاً ارتفاع تكلفة الطباعة في معظم البلاد العربية. وذلك بسبب الضرائب المفروضة على أدوات الطباعة ومستلزماتها.. كما أنه لا يوجد في كثير من الدول العربية تدعيم لصناعة الكتاب من قبل المؤسسات الرسمية..

ومن ناحية ثالثة هناك استغلال من بعض الناشرين أو المكتبات فيما يتعلق بتسعير الكتاب..

إذ يتم تسعير الكتاب بأكثر مما ينبغي بالنسبة لسعر التكلفة.. كما أن المكتبات التي تصلها الكتب أحياناً بأسعار رخيصة جداً. تحاول ان ترفعها بشكل كبير تحقيقها لعائد ضخم..

يضاف إلى ذلك نقطة هامة تتعلق بعملية شحن الكتب..

فلو أن شركات الطيران العربية الوطنية قد خفضت تسعيرة شحن الكتب بشكل أكبر، لساهمت في تخفيض سعر الكتاب: والعمل على انتشاره..

وهنا فان الاشارة واجبة إلى بادرة بناءة وطيبة.. إن الخطوط الجوية التونسية على سبيل المثال تقدم خصماً لشحن الكتاب التونسي يصل إلى خمسة وسبعين في المائة..

فلو أن الشركات الوطنية الأخرى خطت هذه الخطوة، فلاشك أن ذلك سيكون له تأثير كبير..

٧٥٠ ألف كتاب و٦٠ ألف زائر

حسب آخر الاحصائيات عن معرض الدوحة للكتاب، والتى حصلنا عليها من السيد فواز زغل نائب مدير المعرض. فقد بلغ عدد الكتب التى وصلت فعلا للعرض حوالى ٨٥٠ ألف كتاب، وكانت الاصدارات الحديثة منها (أى التى صدرت بعد عام ١٩٨٢) تمثل نسبة ٦٠٪ من الكتب المعروضة.

وقال فواز أيضا إن حجم مبيعات الكتب فى الساعات الأربع الأولى التى تلت الافتتاح مباشرة بلغت ما يعادل مبيعات يوم كامل خلال أيام المعرض. وهذه الظاهرة فى رأيه نادرة الحدوث فى المعارض المماثلة

كما وأن عدد زائرى المعرض خلال أربعة عشر يوما بلغ ما يقارب ٦٠ ألف زائر. ومن ناحية أخرى فقد كانت النساء تمثل ستين فى المائة من هذا العدد.

.. وأرقام أخرى عن المعرض

• بلغ عدد العاملين فى المعرض ما بين موظف وادارى وعامل خمسة وسبعين شخصا، وكان من بينهم خمس عشرة عاملة فى كل الأقسام. سواء فى المحاسبة أو التدقيق أو الادارة.

• كانت المساحة التى أقيم عليها المعرض فى حدود ثلاثة آلاف متر مربع. وتم استهلاك ما يزيد على ١٥٠ ألف كيس من النايلون المطبوع والخاص بالمعرض.

• كان شعار المعرض: من الناشر الى القارىء مباشرة، والكتاب بين يدى الجميع.

• كان عدد النسخ الموزعة على الزوار من دليل المعرض فى حدود ١٢ ألف دليل.

• بلغ عدد الملصقات «البوستر» الخاصة بالمعرض والتى وزعت فى مختلف أنحاء قطر حوالى ١٥ ألف بوستر.

• بلغت تكاليف الحملات الاعلانية والاعلامية عن المعرض فى مختلف الوسائل المحلية والخارجية فى حدود ٢٥٠ ألف ريال قطرى.

ماذا يقول الناشرون ؟

وكان لابد من الالتقاء ببعض الناشرين المشاركين في المعرض ، لطرح الكثير من القضايا معهم ، ومعرفة آرائهم في وضع الكتاب العربي ، وكيف يمكن النهوض به ، والعمل على زيادة انتشاره ، تدعيماً للثقافة ، وتأصيلا لفكر المواطن العربي ..

وكان اللقاء الأول مع الناشر أحمد ابراهيم مغنية ، الذي اشترك في المعرض بمئتين وخمسين نوعية من الكتب التي تتناول شتى ألوان المعرفة ..

انه لا يعتقد أن الكتاب يمر بأزمة ، وإذا كانت هناك أزمة بالمعنى الحقيقي فهي تتركز في التوزيع .

هو يؤكد أن القطاع الوحيد الذي لا يزال يعمل بكل قوته في لبنان ، برغم كل الصعوبات ، هو قطاع النشر .. وهذا في رأيه يعود إلى المبادرة الفردية التي يتمتع بها الناشر اللبناني ، والذي اعتاد أن يعتمد على قدراته الذاتية ، لانعدام مساعدة الدولة له ..

إن ظروفاً صعبة تواجه الناشر اللبناني ومع ذلك يعمل من خلالها بكل طاقاته وامكانياته ..

.. وكتب الأطفال

وهناك نهضة ملحوظة بالنسبة للأسرة .. إنها تعتني بتوجيه وترشيد الطفل ، ومن ثم بدأت في اقتناء الكتب لأبنائها ، ومن هنا أخذ توزيع كتب الأطفال يكبر وينمو باستمرار ، وهذا يبشر بالخير ..

وقد لاحظ الناشر هنا في قطر الاقبال المتزايد من جانب السيدات بشكل خاص ..

فالمرأة تحاول أن تنمي ثقافتها ، وتشتري تقريبا الكتب في شتى المجالات ، وتنتقي لأولادها كل المناسب لهم حسب أعمارهم ..

وهو يعتقد أن التليفزيون ووسائل الاعلام الأخرى أثرت إلى حد ما على الكتاب ، ولكن برغم ذلك يبقى الكتاب هو المرجع الأول والأخير ، والقاعدة الأساسية لتطوير شعب يريد أن يسهم في بناء وطنه ..

تكاليف الطباعة

إن مشكلة التكاليف تنعكس بكل تأكيد على سعر الكتاب ، ومن هنا يتحمل القارئ كل الفروقات .. كما أن مشكلة المؤلف صاحب الكتاب نفسه تواجه الكثيرين ..

إن المؤلف المعروف والجيد يطلب العائد المادي الكبير ، وهذا حقه ، لكن هذا أيضاً ينعكس على الثمن ..

أما المؤلف غير المعروف فهو يشكل بالنسبة للناشر مشكلة هو الآخر ..

صحيح أنه يتقاضى عائداً أقل ، ولكنه يحتاج إلى وقت طويل في توزيع كتبه ، وفي الترويج لاسمه ..

ويعتقد الناشر الكويتي أن الكتب الدينية يزداد الاقبال عليها يوماً بعد يوم ، ثم تأتي بعد ذلك الكتب السياسية ..

ومن رأيه أن المرأة قد أخذت تقبل على شراء الكتب في السنوات الأخيرة بشكل ملحوظ ، ولعل ذلك مرده إلى زيادة تعليمها ، وعملها . ولقد لاحظ مثلاً أنه في اليوم المخصص للمرأة في معرض الدوحة ، فان العائد يكون أربعة أضعافه في اليوم المخصص للرجل وللجمهور بشكل عام ..

ويقول أيضاً ان كتب الأطفال ذات مردود جيد ، ولكن تكاليفها باهظة من حيث الطباعة المميزة ، والرسوم والصور ذات المواصفات الخاصة ..

ومن رأيه أن الكويت كسوق داخلية بالنسبة للنشر ذات مردود أفضل ، لكن تبقى السوق الخارجية بالنسبة للكتاب الكويتي مفتوحة بشكل جيد . وأهم نافذتين في الواقع هما الجزائر ومصر ..

الكتاب السياسي

والتقي بعد ذلك بالناشر السوري زياد تنبكجي الذي يعتقد أن الكتاب السياسي مازال يحتل الصدارة في قائمة اهتمامات القارئ العربي ، ويؤكد على أهمية المعارض في خدمة الثقافة العربية . والمواطن العربي ..

ومن رأيه أن تكون هناك دراسة شاملة لاقامة المعارض بحيث لا يقوم مثلاً معرضان في وقت واحد . وأن تكون هناك فترة زمنية معقولة بين المعرض والآخر ..

فخلال عام ١٩٨٥ كان هناك تعارض في الوقت مابين معرض صنعاء ومعرض الشارقة ..

وجاء معرض قطر مباشرة بعد معرض الكويت ..

وهو يقترح أن تكون الفترة الزمنية بين المعرض والآخر لا تقل عن سنتين ، حتى يستطيع القارئ العربي الاطلاع على كل ما هو جديد بالفعل ..

ومن رأيه أن الكتاب يبقى يؤثر ولا يتأثر ، وأن الاقبال على الثقافة في دول الخليج العربي تطمئن على مستقبل الشباب العربي ، ومستقبل الثقافة العربية ..

مشكلة عالمية

ويقول الناشر المصري حسن أحمد عبدالعزيز ان من رأيه أن الاقبال على الكتب العلمية المدرسية والجامعية في معرض الدوحة كان ضئيلا ، بينما تركز الاقبال بشكل واضح ومكثف على الكتب الاسلامية وعلى الشعر ..

ويؤكد هو الآخر الاقبال المتزايد من جانب المرأة أكثر من الرجل ..

ويرى أن ارتفاع أسعار الورق والطباعة أدى إلى زيادة أسعار الكتب ، وأن هذه مشكلة عالمية ..

ومن رأي الناشر المصري حسين عبد العزيز أيضاً أن يكون هناك معرض دولي واحد كل سنة في كل دولة عربية ، وأن يكون هناك تنسيق في هذا المجال ، حتى لا يحدث التضارب ، ومن ثم الارهاق الذي يتحمله الناشرون كما هو حادث الآن ..

توجهات الناس

وكان اللقاء الأخير مع الناشر السعودي عبدالعزيز ابراهيم الشبانات ، الذي يعتقد أن الاشتراك في المعارض ليس مربحاً للناشر أو دار النشر ، بقدر ما يلقي الضوء الاعلامي على الكثير من الكتب المعروضة ..

واضافة إلى ذلك فان الكتب تتواجد في مناطق جديدة ، وتوزع على أكبر عدد من طالبيها ..

كما وأن المعارض هي في الحقيقة فرصة لمعرفة توجهات الناس ورغباتهم بالنسبة لنوعية الكتاب المطلوب ، ومواصفاته من ناحية الشك والمضمون ..

وفي رأيه أن أبرز وأهم مشكلة تواجه الناشر هي تزوير الكتب .. بمعنى أنه إذا اشتهر كتاب أو زاد الاقبال عليه ، تراكضت مافيا الكتب على طباعته ، وتوزيعه ، بغض النظر عن حقوق المؤلف والناشر ، أو أية اعتبارات أخرى ..

* * *

وبعد فلقد كانت هذه هي حصيلة الجولة في معرض الدوحة للكتاب الذي أقيم في دولة قطر في الفترة من الرابع عشر من ديسمبر وحتى السابع والعشرين من نفس الشهر ، وهي حصيلة مفيدة من كل النواحي ..

فقد أبرز المعرض عدة مؤشرات وحقائق هامة في مجال النشر والكتاب ، وأظهر مدى الحاجة إلى اقامته سنوياً ، وطرح العديد من القضايا الفكرية والثقافية التي تحتاج إلى مزيد من إلقاء الضوء ، والبحث ، والدراسة ، باعتبارها علامات في الطريق نحو ثقافة عربية حقيقية وبناء للمواطن العربي في الحاضر والمستقبل ..

السيد حجازي

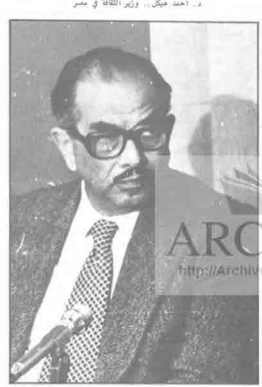
تكتبها: سارة

يسعد الدوحة أن تنشر هذا الحديث الممتع الخصب، في صراحته وجرأته وشموله... والحقيقة أن الدوحة لم تسع إلى إجراء هذا الحديث وفتح صفحاتها له لمجرد أنه يعرض آراء لأحد المسئولين العرب في المجال الثقافي، بل كان سعي الدوحة وترحيبها بالحديث قائمين على أساس واضح، فالحوار يجري مع كاتب وأديب وفنان ومثقف كبير هو الدكتور أحمد هيكل، الذي كان واحداً من أعلام الحركة الثقافية العربية قبل أن يتولى منصبه الجديد كوزير للثقافة في مصر، وفرحة المثقفين به مثل فرحة المثقفين في الجيل الماضي عندما تولى طه حسين وزارة المعارف في ١٢ يناير ١٩٥٠... فالتحية للأديب والعالم الدكتور أحمد هيكل، والأمل كبير في أن يكون وجوده على رأس وزارة الثقافة فاتحة خير للثقافة العربية في مصر وخارجها... ولنترك المجال بعد هذه الكلمة القصيرة الواجبة في تحية رجل من فضلاء هذه الأمة، لهذه الصفحات الساخنة من الحوار والاتهام والردود المختلفة بين الوزير الأديب وبين المثقفين الذين صارحوه ولم يجاملوه، وفي مثل هذا الجو من المصارحة تبدو الحقيقة في وجهها الناصع، والحقيقة الثقافية ــ كما نتصور ــ واحدة بمشاكلها وهمومها في مصر وكل أنحاء الوطن العربي، ومن هنا كان هذا الحوار الخصب موجهاً إلى كل عربي، فالجمهور والشهود وأصحاب القضية هنا هم كل المثقفين العرب في كل جزء من أجزاء الوطن العربي الكبير.

وأخيراً، فإن صفحات «الدوحة» مفتوحة لمناقشة كل الآراء المطروحة.

«رئيس التحرير»

د. أحمد هيكل.. وزير الثقافة في مصر



الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة في مصر

حوار معه

أحمد بهاء الدين



د. أحمد عثمان



فاروق شوشه



تعلمت قبل أن أرسو على شاطئ قلب ينبض . وقبل أن أطأ بقلمي سهوله ووهاده ، وقبل أن أحاول « القبض » على ملامحه الإنسانية الصغيرة في محاولة لتعريضها للشمس والمطر والريح ، تعلمت أن أهاجر في عيون من عرفوه ، بحثاً عن الشجيرات البكر التي قد تطمسها الأضواء والضجيج والمنصب و.. أعترف ، كانت الرحلة شاقة وطويلة في محاولة لاعتقال « الهيكل » داخل هذا الحيز من الصفحات ، و.. لذت في بداية الرحلة بذاكرة اسماعيل النقيب في « بيته » الشهير بقصر « الكلاملك » .

و.. على حصيرته الشهيرة أيضاً ، جلست أصغي ، وجلس « النقيب » بعباءته ، متربعاً على الأرض ، يغزل بلهجته « الشرقاوية » ملامح « الهيكل » كما استظل بها .

قال لي اسماعيل النقيب

• ترجع معرفتي بالدكتور أحمد هيكل الى أكثر من ربع قرن ، وإن كان سبق لي أن لقيته لقاء خاطفاً قبل ذلك في الزقازيق ، فنحن بلديات ، هو من « الزقازيق » ، وأنا من « القنيات » التي تبعد عنها خمسة كيلومترات ، وقد كنت أتلقى تعليمي في مدرسة الزقازيق الثانوية عندما سمعت بكوكبة من أهل الشعر والفكر والعلم أطلقوا على أنفسهم « جماعة الضحك القديم » ، كان من بينهم : د. هيكل ، مرسي جميل عزيز ، صلاح عبدالصبور ، عبدالحليم حافظ ، علي رفعت المحامي ، ابراهيم شاهين الشاعر ، والدكتور وجيه اسكندر ، وكنت قد سمعت على البعد « طراطيش » كلام عن تلك الكوكبة ، ولكن بحكم سني الصغيرة في ذلك الحين لم أكن مؤهلاً للجلوس على مائدة قدامى الجالسين في جماعة الضحك القديم ، وقد تعرفت على مرسي جميل عزيز عندما حضر احتفالاً خاصاً بيوم الخريجين أقامته المدرسة ، وكنت أنا ولد كلمنجي ورئيس تحرير مجلة المدرسة ، فاختاروني لأتحدث في ذلك اليوم ، فلفت الأنظار ودعاني مرسي جميل عزيز الى بيته ، ومنه عرفت بأمر « جماعة الضحك القديم » ، ورأيت عنده الدكتور هيكل لأول مرة ، وكان ذلك في أوائل الخمسينيات .

• في بداية عملي بالصحافة أثيرت قضية كان طرفاً فيها ولم يكن ، ووقع عليه ظلم بين ، فقد صدر في ذلك الحين ديوان « ناجي » الذي حققه أحمد رامي وصالح جودت ، وكتب مقدمته د. هيكل بوصفه عالماً أكاديمياً ، وأستاذاً بكلية دار العلوم ، وكان يومها مدرساً للأدب الحديث وحافظاً لشعر ناجي ومدرساً لخصائصه ، ولذلك كتب المقدمة دون الرجوع إلى القصائد التي احتواها الديوان ، وصدر الديوان شاملاً قصائد للشاعر كمال نشأت ، التي كانت موجودة في مكتب ناجي عند وفاته ، وقد جمعها شقيقه ظناً منه أنها قصائده ، ولم يتنبه المحققان لهذا الخطأ ، ولم يكن لهيكل جريرة في ذلك لأن دوره كان محدوداً ، وأثيرت القضية ، وطلعوا هيكل وسط الخلق جاهل ، فاعتراه حزن كبير ، ولأنه شديد الاعتداد بنفسه وشديد الانفعال أيضاً وفيه عنف الاستقامة ، التزم الصمت ، وقد أنصفه بعد ذلك عدد من الكتاب الذين عرفوا الحقيقة

• فاز عام ١٩٦٩ بجائزة الدولة التشجيعية عن كتابه « تطور الأدب الحديث في مصر » ، وفي العام نفسه أيضاً فاز نجيب محفوظ بجائزة الدولة التقديرية ، ومنحت جائزة العلوم الاجتماعية لاسم الدكتور السنهوري ، وقد كان رئيساً لمجلس الدولة ، وناصب الثورة العداء منذ بدايتها ، فغضب المسئولون ، فما كان من يوسف السباعي إرضاء له إلا أن « كتَّم » على أخبار الفائزين بجائزة الدولة ، وألغى الاحتفال بعيد العلم ، وتسلم د. هيكل خطاباً يُعلن فيه بجائزة الدولة ، وفي أيام السادات جاءه خطاب آخر فيه شيك بمبلغ ٥٠٠ جنيه قيمة الجائزة ، فحزن هيكل لأنه كرم « يا ولداه كتّيمي » وقد كان



الدكتور أحمد هيكل حوار معه

وزير الثقافة في مصر

هناك قول يردده : « إن هذا الوسام لا يتجاوز كونه حتة صفيح لأن التكريم في ركن العلانية » .

• جمع بين الحسنيين الأصالة والمعاصرة ، فهو أزهري لنشأة : تعلم في الكتاب والتحق بالمعهد الديني ، وظل فيه شيخاً معمماً يلبس الجبة والقفطان حتى حصل على الثانوية الأزهرية . ودخل دار العلوم أفندياً أنيقاً ، فهو إذن ذلك الأزهري وهو أيضاً الحاصل على الدكتوراه في الأدب الأندلسي ، والذي قضى سنوات من عمره متنقلاً بين العواصم الأوربية . فجمع بين الثقافة العربية والحضارة الإسلامية والعلوم الحديثة الأوربية . واختلط بالفكر الغربي معايشاً وليس قارئاً فقط .

• أصر في ديوانه « أصداء الناي ـ ٨٣ » أن يطل شعره على الناس مسربلاً بعباءة العميد « ما تعرفيش ليه » ولم يشأ أن يطل بوجهه الحقيقي كشاعر كبير ، استبعد القصائد التي فيها عذوبة وطفولة وعفوية ، وأبقى القصائد التي بلغت سن الرشد . وقد رأيت السيدة زوجته وعيناها تدمعان وهي تراه يمزق قصائده العاطفية ، حاولت أن تثنيه ، فكان يقول لها : « كيف يخرج العميد على الناس بقصائد يقول فيها ما يقوله العاشق لحبوبته ؟ » .

• كنا مسافرين عام ٦٩ لحضور مهرجان الشعر في بغداد ، وتعرضت الطائرة لمتاعب ومطبات هوائية فوجدته يقرأ القرآن . كان خائفاً ، ولقد كنت أنا خائفاً أيضاً « لكني كنت زي اللي ماشي في الظلمة وبيصفر علشان يونس روحه . » ووجدته منصرفاً عني . « خير إيه يا دكتور . انت خايف كده ليه . » فقال لي : « يا اسماعيل أنا مش خايف على روحي ، أنا خايف على الأولاد يتيتموا بعدي ، يرضيك يا اسماعيل عزة وعلا يشتغلوا خدامين في البيوت . » و . . بكى متأثراً .

• زوجته هي تلميذته السيدة « عطيات حافظ » ناظرة مدرسة جمال عبدالناصر الإعدادية للبنات . وهي حفيدة أحد الباشوات المعروفين : ولديه من الأبناء عزة معيدة في كلية الآداب قسم انجليزي ، وعلا دكتورة صيدلية ، وأشرف الذي تخرج هذا العام من كلية الهندسة قسم عمارة . أما آخر العنقود فهو أيمن في السنة الثالثة - كلية الطب بجامعة القاهرة . وهيكل رجل عطوف ، كريم ، وعفيف ، وهو ليس ثرياً . لكنه مستور « الداخل زي الخارج » وليس له دخل سوى مرتبه وما يأتيه من بيع كتبه . ولعلني لا أذيع سراً إذا قلت إن مرتبه كوزير ينقص عن مرتبه كنائب رئيس للجامعة بمئتي جنيه .

• حالة الكآبة التي تظلل حياته أحياناً باعثها رحيل الأصدقاء ، محمد غنيمي هلال . والدكتور عبد الحكيم بلبع . مرسي جميل عزيز ، صلاح عبدالصبور ، عبد الحميد قطامش المحامي : وكان من أغلى وأعز أصحابه أيضاً د . محمد العلائي . وهو جامعي كفيف ، كان شاعراً كبيراً ، مات وهو صغير السن . يقول عنه إنه أظرف ظرفاء مصر لأنه لم يلتق بكاملالشناوي ، وأنا أقول عن كامل الشناوي إنه أظرف الظرفاء لأنني لم ألتق بالعلائي ، وإذا كان في عنق هيكل دين يستحق السداد فهو الكتابة عن العلائي الذي يروى لنا طرائفه ونوادره كلما التقينا .

• لقد شارك مع نظرائه في تجنيب البلاد فتنة محققة باشتراكه في الندوات التي أقيمت لمناقشة أعضاء منظمة الجهاد ، وتبصيرهم بحقائق الدين وسماحته بعيداً عن التطرف والغلو .

• لا يريد د . هيكل أن يطل على الناس بوجه جهم بإلغاء الرقص مثلاً من مؤسسات الوزارة ، وفي الوقت نفسه لا يريد أن تكون وزارة الثقافة هي وزارة الرقص ، بل يريد أن تطل بوجهها المشرق ، والمستنير من خلال ثقافة رفيعة . وخدمات تؤدى للناس كتعليم الأميين القراءة والكتابة في قصور الثقافة ، وأن تكون أيضاً أماكن لعقد ندوات للتعريف بمصر وحضارتها ، بالاضافة لمهامها الأخرى ، يريد أن يزاوج ويعقد أواصر القربى والمودة بين أوجه الثقافة المختلفة . وهذه مهمة صعبة .

قال لي فاروق شوشة

• عندما أحاول التنقيب فى الصفحات القديمة بحثاً عن الملامح الأولى لوجود د . هيكل في حياتي ، أتذكر عام ١٩٥٤ . عندما التحقت بكلية دار العلوم والتي كان يسودها قدر كبير من العتمة والقتامة والتخلف ، كان معظم أساتذتها ممن انغمسوا في التراث العربي دون أن يستطيعوا رفع رؤوسهم فوق موج هذا التراث . فغرقوا تحته إلا ندرة منهم . وأذكر أننا كنا ملتفين حول د . محمد غنيمي هلال ، الذي جاء من جامعة السوربون ليقتحم الحياة المصرية الثقافية رائداً في الدراسات الأولى في مجال الأدب المقارن . بعدها بعام سمعنا عن مدرس شاب جديد قادم من أسبانيا يحمل الدكتوراه في الأدب الأندلسي ، كان ذلك الشاب هو د . هيكل ، سرعان ما التففنا حوله ، ليصبح نقطة تجمع ، وضوءاً لأصحاب الاهتمامات الأدبية في عتمة الكلية إلى جانب د . غنيمي هلال ، تلك كانت بداية دخوله إلى وجداننا كشباب ، دخوله كرافد جديد من المعرفة التي كنا نبحث عنها وننشدها ، وأذكر أنه كان من أول الأصوات المتحمسة لقضية الشعر الجديد ، كان يستمع إلينا كأصوات انجرفت في هذه الحركة بين معاقل المحافظة على القديم والتجمد في إطار الكلية .

• حالة الكآبة التي تنتابه ليس سببها فقط أن معظم من أحبهم من الأصدقاء قد رحلوا ، بل إحساسه بخلخلة العلاقات في المجتمع ، يبدو لي أن الفترة التي عاشها في أسبانيا ـ عندما كان طالباً ـ نجحت في أن تغسله تماماً من أوضار المجتمع الشرقي والبيئة الأزهرية ، وكانت أيضاً مسئولة عن صدمة ما أحسه عقب العودة إلى مصر : بالاضافة إلى أن جو الكلية في السنوات الأولى من عودته لم يسمح له بالانطلاق وتحقيق الذات ، وأذكر أن جمعية المناظرات بالكلية عام ١٩٥٥ أثارت جدلاً حول موضوع : هل الثقافة الغربية خطر على كياننا القومي ؟ . . كان هذا هو السؤال القضية ، وأذكر أنه جاء قبل بداية المناظرة ، وقرأ ذلك السؤال مكتوباً على السبورة ، فانفعل بشدة وقال :

• هل انتقلت زعامة الأدب العربي من مصر إلى الكويت ؟

• لماذا مزّق الوزير الشاعر قصائده العاطفية ؟

«أرجوكم أن تمسحوا هذا السؤال لأن إثارته بهذه الطريقة فضيحة ثقافية .»

• صادف أن زرته وهو منغمس في التحضير للمؤتمر العام الاسلامي المسيحي في قرطبة . والذي أدهشني صموده لكثير من لحظات التوتر والقلق التي تصاحب مثل هذه المؤتمرات . فكان بصفته الأمين العام لذلك الملتقى يتعامل مع كل لحظات التوتر المهددة بالانفجار بصبر شديد واعتدال .

• سمعت من دارسين مصريين كثيرين أنه المدير الوحيد في تاريخ المعهد المصري للدراسات الإسلامية الذي لم تمتد يده إلى المكتبة الحافلة بكنوز التراث الأندلسي على كثرة ما نهبت هذه المكتبة على أيدي من تولوها قبله . كما أنه المدير الوحيد الذي كان حريصاً على أن يترك أثراً تمثل في معجم أسباني عربي : وفي كتب تعلم الأسبان مداخل للغة العربية . مع أن هذا ليس تخصصه . فاهتماماته أدبية وليست لغوية .

• حينما كان مقرراً « للجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة » كان عليه الاختيار بين اثنين من الشعراء الراحلين تصادف أن كانت ذكراهما في شهر واحد . محمود حسن اسماعيل وأمل دنقل الذي لم تكن تربطه به علاقة طيبة . وعلى الرغم أيضاً من أن محمود حسن اسماعيل يعبر عن نموذجه الشعري إلا أنه قرر بأن تكون الأمسية لتكريم أمل دنقل .

• أنا أحس أن وجدانه الشعري أكبر مما يكتبه كشاعر . وأن إحساسه الشعري هو أغنى ما فيه . وأحياناً نقول عن إنسان إنه أروع قصائده .

• أذكر أنه اندفع في نشيج حاد لحظة تأبينه للشاعر فوزي العنتيل وكانت تربطه به صلة خاصة . ولعلني أستطيع أن أقول إن عاطفيته الشديدة هي إحدى سماته . وهي صفة إيجابية . لكنها في بعض الأحيان قد تكون مقتلاً للإنسان .

• أول وزير ثقافة نابت من التراث العربي منذ بدأت الوزارة في منتصف الخمسينات . له نسيج يميزه عن الآخرين . بدأ بالكتابة وانتهى ببعثة الدكتوراه في أسبانيا . وزير مرتبط بالكتاب . أو خارج من صفحات كتاب . مؤلف أساساً وهذا ما يكمل تميز نسيجه .

• كتب أحدهم عندما تم اختياره وزيراً للثقافة أنه لم يتصوره إلا عميداً لإحدى كليات الأزهر . ربما لأنه أطل على الناس من خلال التلفزيون – في إحدى المراحل – مشاركاً في بعض البرامج الدينية ومنها برنامج ندوة الرأي الذي كان هدفه الأساسي مخاطبة الجماعات الإسلامية .

• الصدمة الأولى التي تلقاها بعد تسلمه العمل كوزير كانت في كثرة من دخلوا مكتبه لكي يقدم كل منهم تقريراً سيئاً عن الآخر . ولكي يثبت كل واحد منهم أنه الوحيد الذي يفهم في السينما أو المسرح أو غيرهما .

• مشكلة وزارة الثقافة خلال السنوات الماضية كانت محاولة قتل المجلس الأعلى للثقافة عن عمد خشية أن يبرز دوره ويلغي دور الوزير ، كانت المشكلة دائماً أيهما الأبقى ، وأيهما يكون صاحب الصوت الأول والرأي الأول . لذلك تحول المجلس في العديد من اللجان إلى ما كنا نسميه « مكلمات » جمع « مكلمة » وأعتقد أن في ذهن د . هيكل دوراً إيجابياً لهذا المجلس .

خبر ثقافي هام

سلسلة «ألف كتاب» تعود إلى الحياة الثقافية من جديد

الكتاب .. الأزمة .. والانفراج

و .. في قصر « الكلامك » « بيت اسماعيل النقيب » من جديد . التقيت بالدكتور هيكل . كان مرهقاً . بدا لي مثقلاً بهموم الثقافة والمثقفين . تذكرت ما كتبه يوسف جوهر بالأهرام : « د . هيكل صاحب وجه مريح . ولكني أرسه الآن مهموماً . وكأنه فقد راحة البال منذ تسلم قيادة العمل الثقافي . ومشاكل الثقافة مزمنة ومتراكمة . والمسئولية فريدة وصعبة تستعصي على المقاييس والموازين التي تستعين بها وزارة التموين مثلاً وهي تدبر طعام الشعب .»

قلت للدكتور هيكل : نبدأ بالأسئلة التي طرحتها عليك مجموعة من المثقفين المصريين .

قال : على بركة الله .

و .. بدأنا معاً رحلة الهموم :

كنتم شهوداً على النشاط الثقافي في الستينات والسبعينات . ما هي الفوارق في الملامح إذا أضفنا عقد الثمانينات الذي نحياه ؟

– الفوارق بين ما كنا عليه وما صرنا إليه واضحة ومختلفة جذرياً . فقد طرأت على الحياة الثقافية سلبيات أصابتها بالإنكماش والفتور . وكانت نكسة ٦٧ سبباً في ذلك بالاضافة إلى تمزق العالم العربي ومقاطعته لمصر التي خاضت أربع حروب أثرت على اقتصادها . ومع ذلك بدأنا مرحلة إعادة البناء بعد حرب أكتوبر . ووضعنا لخطة البناء أولويات أثرت بدورها اقتصادياً على الازدهار الثقافي . ولعل من أبرز الفوارق ضمور توزيع الكتاب المصري بسبب المقاطعة . وقيام بعض الجهات غير المسئولة بإعادة طبع الكتاب المصري بطريق غير مشروع . كما أن الظروف الاقتصادية أدت إلى تقلص عدد مجلاتنا الأدبية . وأبعدت الهموم الناس عن القراءة ودفعتهم إلى الاكتفاء بالتليفزيون والأذاعة . وانحسرت الحركة العارمة التي كان يضج بها المسرح لهجرة الفنانين إلى استديوهات البلاد العربية . ولاحتياج بعض المسارح إلى إعادة البناء أو الترميم . هذا الظرف أو ذاك . أو هما معاً أثرا في الحركة المسرحية على الرغم من وجود أعظم الفنانين والكتاب والمخرجين . الوضع يحتاج فقط إلى

● حقوق المؤلفين تتعرض للنهب والسرقة والمسئول هو : الناشر

● الكتاب الصغير ثمنه أقل من ثمن زجاجة المياه الغازية
والكتاب الكبير ثمنه أقل من ثمن كيلو اللحم !

الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة في مصر

حوار معه

إعادة تنظيم البيت وبعض الرخاء الاقتصادي الذي يسمح بتحقيق الأحلام.

• في الأربعينيات أطلق طه حسين عبارته المشهورة «زعامة الأدب تنتقل من القاهرة إلى بيروت»، وفي الثمانينات تتردد هذه العبارة مع شيء من التغيير ليصبح منطوقها، زعامة الأدب تنتقل إلى الكويت، فماذا يمكن عمله لكي تعود زعامة الأدب إلى القاهرة؟

ـ أنا لم أسلم يوماً بأن زعامة الأدب انتقلت إلى بلد عربي غير مصر، لا أقول هذا تعصباً، بل أقر حقيقة. وأعتقد أن طه حسين حينما قال هذا الكلام كان هدفه أن يحمس الكتاب المصريين ويثير غيرتهم ليدفعهم إلى مزيد من الجهد والعمل. ومع احترامي لكل الأدباء العرب فإن زعامة الأدب والفن والعلم لا تزال في مصر، لأن الريادة والبداية والازدهار انبثقت من أرض مصر. ولن تسقط من يدها الراية رغم هذه الدعاوى التي تقال أحياناً بحسن نية وأحياناً بسوء نية. إن بلداً لا يزال يكتب فيه توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوي وثروت أباظه ويوسف إدريس، بلداً لا يزال يكتب فيه كبار الشعراء وفيه اثنتا عشرة جامعة مليئة بأساتذة الأدب والنقد والفن القولي على وجه العموم، لا يمكن أن تنتقل منه الزعامة الأدبية لمجرد أن بلداً آخر فيه مطبوعات أكثر جمالاً وأناقة (!).

• أسجل اعتراضاً: قال الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين رداً على سؤال يحمل المعنى نفسه في برنامج أمسية ثقافية:

«لقد كان من الطبيعي أن ينتهي مفهوم الزعامة في الأدب والفن والعلم بانتشار الجامعات في العالم العربي، وانتشار المجلات والصحف ودور النشر. وهذا لا يقلل من قيمة القاهرة الفكرية والفنية. بل يرفدها ويثريها.»

• كانت لكم آراؤكم الشخصية في تطوير النشاط الثقافي، ما هو الأصلح للتطبيق من تلك الآراء بعد تسلمكم الوزارة؟

ـ كل الآراء صالحة للتطبيق، لكن هناك أولويات من الأفضل أن نبدأ بها لأهميتها ولظروفها الميسرة. من هذه الأولويات إصلاح الحال في قطاع الثقافة الجماهيرية، كان من أحلامي أن يضاف إلى نشاطها لون من التثقيف الحر الذي يتناول أصول المعرفة أو المعارف الإنسانية بحيث لا يقتصر دور بيوت الثقافة وقصورها على النشاط الفني فقط، بل يتاح للمواطنين الذين لم تساعدهم ظروفهم دراسة اللغة العربية وآدابها، الفكر الإنساني وقضاياه، التاريخ والحضارة المصرية، الفن ومذاهبه. وقد أعددنا هذا المشروع ونفذناه. بدأنا بخمسة قصور ثقافية موزعة بين الوجه القبلي والبحري والقاهرة.

• المجلات الثقافية المصرية دون مستوى المجلات في العالم العربي تحريراً وطباعة وتوزيعاً بالاضافة إلى أن شلة بعينها تحتل أجهزة التحرير في هذه المجلات، فماذا يمكن عمله لتحريرها من مثل هذه السيطرة لتصبح مجلات للكل وليست لفئة، ولكي تكون بالتالي في مستوى مجلات العالم العربي؟

ـ أيضاً أنا لا أسلم بأن كل المجلات المصرية دون مستوى مجلات العالم العربي (!)، مجلة «فصول» على مستوى رفيع تنافس به أعظم المجلات، لكنها ليست على المستوى من حيث الانتشار للحصار الذي فرض عليها وعلى الكتاب المصري بعد المقاطعة العربية، بل إن قائمة المقاطعة تضم عددا من كبار كتابنا، فكان لا بد ـ لهذا الموقف المتعمد لحصار المجلة المصرية ـ أن ينعكس على انتشارها. أما بالنسبة للشللية فهي ظاهرة موجودة في كل مكان، ونحن في مصر نتيح الفرصة للجميع ونرفض تصنيف الناس. فإذا حدث مصادفة أن استقطب رئيس تحرير أو مسئول عن مجلة طائفة من أصدقائه أو القريبين منه فكرياً، وزاد الأمر عن حده: فيجب تصويب هذا السلوك، لكنه في الواقع ليس بالحدة التي يطرحها سؤالك.

• أسجل اعتراضاً:

قال لي د. أحمد عتمان أستاذ الدراسات الكلاسيكية ونائب رئيس تحرير مجلة القاهرة:

«تقف مجلة «فصول» فعلاً على مستوى بعض المجلات العربية المتخصصة المميزة، وهي حتماً لا تعاني من أي حصار خارجي، وعدم انتشارها يعود إلى أنها مجلة تخاطب الخاصة، بل إن بعض الخواص يجدون صعوبة في متابعتها ربما لأنها لم تصل بعد إلى الأسلوب البسيط الذي يجمع من حولها دائرة أوسع من القراء. عموماً عدم انتشار المجلة والكتاب المصري يعود إلى غلائهما: فمجلة فصول مثلاً تباع بجنيه ونصف بينما تباع مجلة الفكر بـ ٢٥ قرشاً. وعالم المعرفة الكويتية تباع بخمسين قرشاً، بينما يصل سعر بعض كتب هيئة الكتاب إلى خمسة جنيهات: المقارنة بين المجلة المصرية ونظيرتها العربية غير عادلة لأن معظم المجلات المصرية التابعة للوزارة ليس لها ميزانية خاصة وإذا كانت فهي ضعيفة تهددها بالتوقف. ونظراً لقلة المكافآت التي تدفعها المجلة المصرية لكتابها فإننا نجد معظم الأقلام السيالة

• مشكلة الرقابة على الفن والحدود التي لا يصح أن تتجاوزها حتى تؤدي دورها المنشود

تهجرها إلى نظيرتها العربية وبالاضافة لذلك تأخر الامكانات الطباعية . و.. وأخطر من داء الشللية ما تعانيه صحافتنا الأدبية من أن بعض أصحاب المساحات الثابتة يستغلونها كمركز للنفوذ والسيطرة ، ويقومون بالدعاية لأنفسهم ويجاملون البعض في سبيل الحصول على خدمات معينة . وهكذا يخلقون من أنفسهم نجوماً لامعة على غير أساس ، وهذا هو الداء الحقيقي الذي يجب أن نتصدى له . وهذه المهمة تقع على عاتق النقاد المخلصين لا عاتق وزارة الثقافة ».

• رغم كل الوعود والتصريحات فإن أزمة الكتاب لا تزال قائمة ليس بالنسبة للتصدير إلى الخارج فحسب . فهذا البعد من المشكلة هو ما يلح عليه الناشرون . ولكن أيضاً بالنسبة لارتفاع أسعاره بصورة مذهلة . وهذا ما يعني القارئ العادي ، بالاضافة الى بقية عناصر المشكلة مثل حفظ حق المؤلف . والمساهمة في اعادة تكوين عادة القراءة المفتقدة ؟

ــ لقد أنهينا تماماً مشكلة التصدير . أما بالنسبة لسعر الكتاب فهو مرتفع بعض الشيء في القطاع الخاص ، لأن الكتاب سلعة كبقية السلع تحتاج الى عمالة فنية ، وهذه العمالة مرتفعة الأجر ، تحتاج الى ورق وأدوات طباعية معظمها مستورد . ولا يستطيع أحد أن يطالب القطاع الخاص بالخسارة ، أما بالنسبة للقطاع العام الممثل في الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فالدولة تدعم الكتاب ولا تتعامل معه تجارياً ولذلك فإصداراتها تبدأ من خمسة وعشرين قرشا ، وهي قيمة زجاجة مياه غازية ، ولا يمكن للكتاب أن يكون أرخص من ذلك ، ويتدرج السعر حسب حجم الكتاب حتى يصل الى خمسة جنيهات ، أي لم يصل بعد الى ثمن كيلو من اللحم . وإذا قارنا هذا السعر بما كان عليه الحال في الأربعينات والخمسينات سنجده مرتفعاً جداً ، ولكن لكي نكون منصفين يجب أن نقارن كل أسعار السلع اليوم بما كانت عليه في ذلك التاريخ سنجد أنها تضاعفت عشرة أمثال . واجزم انه لا يوجد كتاب تضاعف سعره عشرة أمثال كبقية السلع على الأقل في القطاع العام ، ومع ذلك سنحاول جاهدين أن نعمل على أن يباع الكتاب بسعر أرخص . وذلك بالسعي لدى وزارة المالية لاعفاء الورق وأدوات الطباعة من الجمارك ، والسعي لدى المجلس الأعلى للصحافة ووزارة الإعلام لاعفاء الإعلان عن الكتب من الأجر الباهظ . وهذا من شأنه أن يخفض تكلفة الكتاب وسعره بالتالي ، والكتاب المصري في كل الظروف يعد من أرخص الكتب في العالم .

أما بالنسبة لحفظ حقوق المؤلف فقد سعينا للاشتراك في الهيئات الدولية ، ونحن بسبيلنا إلى إنجاز ذلك . وأظن أنه مهما سعينا لحفظ حقوق المؤلف فلن ننجح نجاحاً كاملاً ، لأن القضية أساساً قضية أخلاقية .

أما كيف نعيد للكتاب صدارته إلى حياة الناس ، فذلك يتم بالتنسيق مع أجهزة الإعلام لإعداد ندوات تناقش الكتب ، ومسابقات لقراءتها . وأن تزود مكتبات قصور الثقافة والمكتبات العامة بكل جديد وشائق . وعلينا ــ إذا جاز التعبير ــ استدراج الشباب المهتم إلى هذه المكتبات باستضافة شخصيات مرموقة تتحدث عن كتبها وعن تجربتها في التأليف . وأظن أن هذا عامل جذب لعله يجدي . وإن كان علينا الأعتراف بأن جهاز التلفزيون والفيديو وجميع المستحدثات الثقافية تحارب تلقائياً ودون قصد عادة القراءة.

• هل لدى الوزارة خطة لإعادة طبع كتب التراث أو تصويرها مثل الأغاني وصبح الأعشى وغيرهما . وهي الكتب التي تباع في السوق السوداء الآن أو يسرقها الناشرون اللبنانيون مما يقطع بأن هناك طلباً متزايداً عليها ؟ ومتى ينتهي تحقيق وطبع كتب مثل نهاية الأرب ويتيمة الدهر .وما هي خطة الوزارة لنشر التراث العربي ؟

ــ في الوزارة خطة لإعادة طبع كتب التراث التي نفدت ، وكتب المكتبة الثقافية والعربية وكل السلاسل الجديدة التي نفدت . وقد بدأنا بتنفيذها فعلاً بالنسبة للمكتبة العربية والثقافية وكتب الأطفال ، وسنثني بكتب التراث وإن كانت تحتاج إلى ميزانية باهظة وتكاليف كبيرة .

• متى تنوي وزارة الثقافة أن تبعث من غيابة الأدراج والأضابير قصاصات القاموس الإنجليزي العربي الذي قطع فيه صفوة من الباحثين شوطاً طويلاً وبذلوا سنوات من عمرهم ؟

ــ توجد لجنة تشرف على القاموس . وقد أوشكت على الفراغ منه .

• هناك اقتراح بعودة مشروع الألف كتاب لترجمة الانتاج المعاصر في مختلف الميادين .

ــ كلفنا لجنة في هيئة الكتاب باختيار ما يناسب هذا المشروع . وخلال الأسابيع القليلة القادمة سنبدأ بنشر سلسلة الألف كتاب الجديدة .

• واقتراح آخر بتحويل معرض الكتاب الى سوق دائمة للكتاب يستورد بصفة متجددة أفضل انتاج الكتب العربية والغربية والمجلات الثقافية الجادة .

ــ لا يوجد في العالم معرض تحول إلى سوق دائمة . السوق الدائمة موجودة في كل المكتبات . أما أهمية هذا المعرض فتأتي من كونه معرضاً موسمياً له ملابسات وظروف تدفع الى الحماس لإقدام الناشرين على تضحيات في الأسعار تغري بالشراء ، ولدينا مكتبات عظيمة تقوم بالنشر وتستقبل ما في العالم ، مثل النهضة ، هيئة الكتاب ، دار المعارف ، ودار الأهرام التي يوجد بها أرقى المطبوعات العلمية ، وإن كنا للأسف ننظر للكتاب على أنه الكتاب الأدبي فقط .

• ألا ترون أن المشروع القومي للترجمة قد تأخر كثيراً ، وأن القارئ العربي يعاني من فجوات خطيرة في المعرفة بالثقافة العالمية ، هل لديكم خطة لترجمة أمهات الكتب الكلاسيكية والحديثة ؟

ــ كلفنا لجنة في هيئة الكتاب لاختيار الحصاد العالمي في مجال الفكر والانسانيات والأدب لترجمته ونشره وجزء من هذا سيكون ضمن مشروع الألف كتاب .

● محسنة توفيق :



مرتبي أقل من مرتب سائق في جمعية تعاونية ، وكلما تفرغت للمسرح عانيت من ضائقة مالية عنيفة ، وأنا أطالب بمساواة مرتبات الفنانين بمرتبات الصحفيين وأساتذة الجامعة

الدكتور أحمد هيكل حوار معه
وزير الثقافة في مصر

اتحاد الكتاب لمن ؟

• عملتم لفترة طويلة أستاذاً جامعياً . فما رأيكم في الصورة الحالية والمستقبلية لمشاركة الجامعة في العمل الثقافي العام ؟

ـ تشارك الجامعة في العمل الثقافي على أعلى مستوى . لكن حصاد الجامعيين لا يخرج إلى الناس لأن هناك شبه قطيعة بين الأساتذة المتخصصين وبين أجهزة الإعلام : فمؤلفاتهم ورسائل الماجستير والدكتوراه العظيمة الشأن محصورة داخل أسوار الجامعة . لأن صحافتنا الأدبية لا تستكتب هؤلاء الكتاب الكبار . وتكتفي عادة بأسماء معروفة : أو بمن يحررون أدباً وفكراً من محرري وكتاب الصحيفة نفسها وربما أيضاً لأن الكتاب الجامعي الأكاديمي المؤلف جيداً . ربما يكون ثقيلاً الى حد ما على المثقف العربي الذي تعود أن يقرأ ثقافة أكثر يسراً وبساطة : طبعاً سيقفز الى ذهنك فوراً لماذا إذاً كان جيل طه حسين أكثر شاركة في الحياة العامة : لأن هذا الجيل من الرواد كان يستكتب في الصحف كجزء أساسي من عملها وعملهم . كتب أحمد أمين وعزام والعقاد ومصطفى عبدالرازق : واستمر هذا الوضع الى جيل د . مندور ورشاد رشدي . بعدها بدأت الصحافة تستقل بكتابها . وبدأ الجامعيون ينطوون داخل أسوار الجامعة . فحدثت هذه الفجوة والجفوة التي حجبت الانتاج الجامعي عن القارئ العادي : وأرى أن تستكتب المؤسسات الصحفية أساتذة الأدب والنقد وتفسح لهم المجالات وتكافئهم مكافآت مرضية .

• أسجل اعتراضاً :

قال لي د . فتحي عبدالفتاح المشرف على الصفحة الأدبية بجريدة الجمهورية :

في السبعينات لم تكن هناك صفحات أدبية بالمعنى المتعارف عليه . وإن كانت فهي مجرد صفحات اخبارية ، ولا يمكن أن نعتبر جميع أساتذة الجامعة مهتمين بالأدب ـ حتى ولو كانوا يدرسونه ـ وفي العامين الماضيين أصبحت هناك صفحات محددة للأدب وإن كانت محكومة بضيق المساحة لكنها أكثر ثراء ، وقد حاولت عند إشرافي على صفحة الأدب بالجمهورية ـ منذ عام ـ أن استكتب قدر الإمكان أساتذة الجامعة المهتمين مثل د . طه وادي : د . تليمه : د . سيد النساج ـ د . سعد ظلام .

• تفتقد لجان المجلس الأعلى للثقافة القدرة على المشاركة الحقيقية في تنشيط الحياة الثقافية لعدم وضوح دورها ، وعدم محاولتها الاستفادة من تجمع المثقفين في مصر . وتجاهلها لشخصيات ثقافية لها ثقلها الخاص . ما هو الدور الذي تتصورون أن تقوم به هذه اللجان في ظل سياستك كوزير جديد للثقافة ؟

ـ اقتصار لجان الثقافة على بعض الشخصيات وضع تحتمه التنظيمات . فلكي تستطيع اللجنة أن تجتمع وأن تدير حواراً وتتخذ قراراً : يجب أن تكون محدودة العدد . لقد كانت لجنة الشعر تتكون من أربعة وعشرين عضواً ، فوجد أن العدد الكبير لا يمكّن من الاتفاق على رأي بسهولة . فاقتصر العدد في القانون الأخير على إثنى عشر عضواً . المهم أن هؤلاء الأعضاء يمثلون أهم الاتجاهات الشعرية وأهم الأجيال في نظر من اختارهم على الأقل . وبقاء آخرين خارج نطاق اللجنة لا يعني إطلاقاً أنهم أقل قيمة ومنزلة . والاختيار يتم على أسس : أحياناً تصيب وأحياناً تخطئ . المهم أن تسعى كل لجنة لوضع خطة ، وأن تسعى من خلالها لصالح الفن الذي تنتمي إليه لا لمصلحة أفراد اللجنة . وهذا ما أطمح إليه وقد اجتمعت بأعضاء المجلس الأعلى للثقافة في محاولة للقضاء على الركود الأدبي والثقافي واستمعت لكل الشكاوى ، ولمست كل السلبيات وأهمها ضعف الميزانية الذي حال دون ظهور مشاريع هامة للنور ، وقد قررت زيادتها ، والمجلس الأعلى الذي هو قمة العمل الثقافي في الوزارة كان لا يجتمع الا مرة أو مرتين في العام إحداهما لتوزيع جوائز الدولة ، فأمرت بأن يجتمع المجلس كل هرين لمناقشة أعمال اللجان ومتابعة ما ينفذ منها ، ولتقديم المقترحات والمشورة للوزارة باعتبار أن المجلس هو العقل المفكر الذي يخطط ويحلم ويتخيل ، وما على الوزارة إلا أن تنفذ هذه الأحلام العظيمة وتترجمها الى انتاج وعمل ثقافي بقدر الامكان ، لكن هذا لا يعني أن نضغط على زر ليتحول المجلس الى خلية نحل ثقافية ، أو أن يحول المجلس مصر الى سوق عكاظ جديد ، المهم أن يكون اليوم أحسن من أمس .

• هل هناك خطة أو خطوات اتخذت لتحويل متحف الآثار المصرية من مخزن واسع ومزدحم بالآثار الى متحف حديث به أنظمة العرض العلمية ؟

ـ يقم الآن في أرض الجزيرة متحف يسمى متحف الحضارة ، وسوف يضم أهم الآثار التي تمثل الحضارة في مصر ، وقد اعتمدت له ملايين الجنيهات . أما بالنسبة لمتحف الآثار فهناك خطة لتحويله الى متحف حديث لا تكدس فيه الآثار : وإنما تعرض عرضاً فنياً يليق بجلالها وعظمتها . لقد أعددنا الدراسات والرسوم اللازمة لذلك ، لكننا سنرجئ التنفيذ ، لأن ما يحكم كل مشاريعنا وأحلامنا وله الأولوية في مثل ظروفنا هو أحوالنا الاقتصادية .

• اقترحتم ذات يوم انشاء لجنة أو نحوها تضم الفائزين بجوائز الدولة التقديرية تسهم بجهد أعضائها في تطوير العمل الثقافي . هل ستضعون هذا الاقتراح موضع التنفيذ ؟

● هنالك جفوة وفجوة بين الجامعيين المتخصصين وبين أجهزة الإعلام

ــأرجو أن أستطيع .

• هل يمكن في ظروف اتحاد الكتاب أن تجري انتخابات حرة ، وهل يمكن تنقية قوائمه من الموظفين والمستوظفين وتقتصر على الكتاب أصحاب الرأي والكلمة ؟

ــأنا لن أحرم موظفاً من اعطاء صوته ما دام مقيداً في الاتحاد ككاتب . والاتحاد لا يقبل في عضويته إلا الكتاب سواء كانوا موظفين أو أطباء أو مهندسين أو متفرغين . وأنا شخصياً لم أشارك في أي انتخاب على الرغم من كوني عضواً في الاتحاد . وأظن أن عملية الانتخاب تجري بدقة وموضعية وإن كانت هناك بعض الأخطاء فأرجو أن لا تحدث مستقبلاً .

• أسجل اعتراضاً :

قال لي الشاعر فتحي سعيد عضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب :

• مشكلة اتحاد الكتاب تنحصر في ثلاث نقاط رئيسية :

أولاً : أساس لائحة الاتحاد كما تم التصديق عليها جمهورياً يجعل منه نقابة خدمات فقط . وليس اتحاداً بمعنى بروز قوة مستقلة جديدة لها رأيها المؤثر في قضايانا الوطنية والسياسية .

ثانياً : لجنة القيد التي فتحت الباب على مصراعيه لأشباه الكتاب ومن ليس لهم علاقة بالكتابة ، وهؤلاء يشكلون مركز قوة لا يستهان بها . وهم أكثر المنتفعين بخدمات النقابة . وأكثر الأعضاء مواظبة للادلاء بأصواتهم . ولا يمكن تصفيتهم قانوناً إلا بقانون جديد .

ثالثاً : اكتفاء الكتاب الحقيقيين برفع الشعارات والثرثرة والادانة بدلاً من الحضور للادلاء بأصواتهم وإثبات وجودهم الحقيقي على أمل التغيير . وفي الاتحاد أعضاء كان لهم دور مرجو مثل د . يوسف إدريس ، فاروق خورشيد ، د . النساج ، لطيفة الزيات ، لكنهم لم يفعلوا شيئاً واكتفوا بالانسحاب . ويوجد الآن أعضاء في المجلس لهم صوتهم النقدي والاجتماعي مثل د . القط ود . حسين نصار ، ود . سهير القلماوي ، ومع ذلك فنحن لا نسمعهم يرفعون صوتهم النقدي أبداً .

• هل تنوي الوزارة متابعة وتطوير المؤتمرات العربية الثقافية التي حققت نجاحاً على غرار مؤتمر حافظ وشوقي ومؤتمر الابداع ، هل هناك تفكير في تطويرها على محورين : محور الاتصال بالكتاب في العالم الغربي والشرقي ، ومحور عقد مؤتمرات متخصصة للكتاب المصريين ، وما هي خطة الوزارة لتطوير العلاقات الثقافية مع العالم العربي ؟

ــأقول لك بصراحة شديدة إن المقاطعة العربية الرسمية غير المبررة وغير المفهومة لدى رجل الشارع في مصر تقف حائلاً دون عقد مثل هذه التجمعات التي إذا تمت ستكون لوناً من التحايل على واقع مرير ، ومحاولة للدخول من طريق خلفي . أنا أتعجب مع رجل الشارع من هذه المقاطعة . فالحديث يدور حول مصر الأم ، ودرع الأمة العربية وضرورة عودتها ، ثم لا عودة ولا خطوة إيجابية نحو هذا ، ما أهمية عقد مثل هذه اللقاءات ؟ هل نلتقي لنتكلم عن الشكل والمضمون ، والبنائية والبنيوية . ولا نتطرق لهذه المقاطعة لأنها موضوع شائك ، وإذا ما تكلمنا يقال ان مصر تستجدي عودة الأمة العربية ، ونحن نرفض كل صور الاستجداء والتحايل ، ولكي تكون لقاءات كتابنا أكثر فعالية وأكثر شمولاً ووضوحاً . لابد أن تكون علاقتنا الرسمية واضحة ومحددة وصريحة . أنا لا أرفض اللقاء بالكتاب العرب لأنهم قومي وأهلي ، ولكني لا أفضل عقد مثل هذه اللقاءات في مثل هذا المناخ غير الصحي . أما بالنسبة للقاءات المحلية الخاصة بالكتاب المصريين فقد كنا منذ فترة في مؤتمر لفناني الجيزة وكتابها وطرحنا قضايا هامة جداً ، ومن قبل كنا في مؤتمر خاص بالسينما مكلف بعمل بحوث ودراسات من جانب الجامعة الدولية التابعة للأمم المتحدة ، ومثل هذه اللقاءات ستتم كلما حانت الفرصة .

• أسجل اعتراضاً :

قال لي الروائي مجيد طوبيا :

• أنا مع اللقاء بالكتاب العرب مهما كانت الظروف لأننا لسنا طرفاً في خلافات الحكومات ، لأن لكل كاتب منا شخصية قومية تعلو فوق الظروف السياسية ، وهذه اللقاءات تعني عندي ككاتب ــ وعند كل كاتب عربي ــ محاولة جادة لاجتياز سدود الفرقة ، ولرتق الثقوب في الثوب العربي ، والحوار المباشر هو أقصر الطرق وأعمقها . وهذه اللقاءات أيضاً تتخطى بنا صعوبة انتقال الكتاب من بلد إلى آخر للاجراءات البيروقراطية العقيمة . وقد تمردت يوماً كما تمرد صلاح عبدالصبور وآخرون على الحظر الرسمي للكتابة في المجلات العربية لأنه من المستحيل أن نهجر قارئنا العربي الذي أحبنا وأحببناه . وإذا كان البعض في مصر ــ وهم قلة ــ قد ينظرون لعقد مثل هذه المؤتمرات على أنها لون من التحايل ، ومحاولة للدخول من طريق خلفي . على أن المطلوب على الجانب الآخر عدم جرح مشاعر رجل الشارع في مصر كما حدث في مهرجان أدبي أخير عندما أعلن أحد كبار الشعراء موت الشعر في مصر وهو يعلم ان هذا غلو وافتراء . والمطلوب من أمثاله قدر


اسماعيل النقيب


يوسف القعيد


فتحي سعيد

الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة في مصر حوار معه

من الحب والاحترام ليسير القارب في أمان ، كما أن عقد المؤتمرات ليس مهمة الوزارة ، لكنه مهمة اتحادات الكتاب والجمعيات الأدبية ، وأنا على ثقة تامة من أن د . هيكل أستاذ معروف بايمانه الشديد بعروبة مصر ، وبأن العالم العربي كيان واحد لا يتجزأ .

المسرح ، التوهج ، والأفول

• تضاءلت فرق هيئة المسرح أمام فرق القطاع الخاص ، وتوارى المسرح الرسمي أمام المسرح التجاري ، فهو مسرح بلا جمهور ، وبالتالي فهو مسرح بلا خطة ولا تخطيط . فهل يمكن تصحيحاً لمسار الوضع المسرحي : الدخول في منافسة مع القطاع الخاص ، أو عقد مهادنة في صورة انتاج مشترك بين القطاعين أم أنه لا مفر من الاعتراف بالأمر الواقع والاكتفاء بمسرح واحد يكون واجهة للدولة مع ترشيد المسرح التجاري ؟

ـ لا هذا ولا ذاك ، وإنما أن تضع كل فرقة مسرحية تابعة للقطاع العام خطة جادة ، وأن تتهيأ لها الفرصة المادية والمكانية لكي تقدم عروضها الجادة ، ولتكون المثل الذي يحتذى في فنية النص وجديته ، وفي روعة التمثيل وأدائه ، وفي عظمة الاخراج وإمكانيته ، ويترك المسرح الخاص للمنافسة مع هذه الأعمال الجادة ، وسوف نعمل في القريب العاجل على وضع خطة لفرقنا المسرحية الثمانية ، وسترصد ميزانيات تسمح لها بالعمل ، ونقوم حالياً بتجديد وترميم المسارح المغلقة ، بعدها ستشهدين ازدهاراً مسرحياً عظيماً .

• وهل من ضمن الخطة زيادة الحوافز والمرتبات التي تجبر فنان المسرح على أن يهجره ويسعى وراء رزقه في استديوهات أثينا وقبرص وبعض البلاد العربية ؟

ـ لا توجد فكرة إطلاقاً لزيادة مرتباتهم وحوافزهم ، والفنان الذي يطالب بالزيادة في مثل هذه الظروف ، فنان لا يفكر إلا في نفسه ، أمامهم أبواب الرزق واسعة ومتاحة لهم طوال العام في التليفزيون والبلاد العربية ، ومقابل هذا هم مطالبون بتقديم عرض أو عرضين لمصر بهذا المرتب الضئيل كرد جميل منهم للبلد الذي علم وأنشأ وأعد ، بل أتصور أن عليهم أن يقدموا هذه العروض مجاناً وهم سعداء ، وما عليهم فقط إلا أن يزيد انتماؤهم وعطاؤهم ، مع احترامي وتقديري لهم .

• وماذا عن القرار القديم بإنشاء بيوت مسرحية مستقلة مادياً وادارياً وفنياً ؟

ـ هذه ليست مشكلة : أن يكون البيت المسرحي مستقلاً أو غير مستقل ، المهم وجود فنانين يريدون العمل ، ونصوص جيدة ، ومكان صالح للتقديم ، وميزانية مناسبة ، وأن تكون هذه الميزانية في يد وزارة الثقافة أو في يد بيت مسرحي مستقل ليست قضية ، لقد أضعنا زمناً طويلاً في اختيار التسميات ، المهم أن نعمل ضمن خطة منظمة وجادة .

• أسجل اعتراضاً :

قالت لي الفنانة محسنة توفيق :

• مرتبي أنا كفنانة كبيرة عليها التزامات نجمة كبيرة يتساوى مع مرتب سائق جمعية تعاونية ، وعندما قدمت « منين أجيب ناس » تفرغت لها تماماً موسمين كاملين ، مما أدى إلى اهتزاز وضعي الاقتصادي ، وامتد أثر هذا التفرغ طوال هذه المدة على وجودي في الساحة الفنية بعد ذلك ولفترة طويلة ، لأن المنتجين لم يضعوني في خارطة أعمالهم ، أقول هذا لأني أكثر المضحين والمتحمسين والمتعرضين للضرر ، ولا أستطيع أن أطالب زملائي بهذه التضحية ، بل أطالب الدولة بدعم فنان المسرح الفقير ، وأتساءل لماذا يقل كادرنا عن كادر الصحفي وأستاذ الجامعة ؟

• ما تصوركم لمدى تدخل الدولة في عملية الانتاج السينمائي ؟ هل بإنتاج الأفلام مباشرة كما كان الحال في الستينيات ، أو بالتمويل أو بتخصيص الجوائز ؟

ـ يمكن أن تتدخل الدولة بعدة وسائل أهمها : وجود رقابة جادة على النصوص بحيث لا يمر من الرقابة إلا النص الجيد فنياً ، وأن تكافىء الدولة الفيلم الجيد بجوائز تقديرية وتشجيعية تغري الآخرين بالانتاج الجيد ، وأن يقتصر العرض في الدور التابعة للدولة على الفيلم الجيد ، وأن يمنح من ينتج عملاً جيداً قرضاً من صندوق دعم السينما ، أما تبني الدولة ومشاركتها في عملية الانتاج فأمر سبق فشله وإخفاقه .

• أسجل اعتراضاً :

قالت لي الناقدة حسن شاه :

• تدخل الدولة بالصورة التي طرحها د . هيكل ليس كافياً في المرحلة الحالية على الأقل ، بل يجب أن تنتج الدولة فيلماً أو اثنين في العام لتعمل على النهوض بالسينما المصرية التي تدهورت ، ودعمها لا يقل أهمية عن دعم الرغيف والكتاب ، وتدخلها في الانتاج سيعطي فرصة للجيل الجديد الذي لا يجد فرصته مع المنتجين المهتمين فقط بمقدار الربح والخسارة ، وأنا ضد أن تكون مهمة الدولة انتاج فيلم وطني بقدر ما أنا مع انتاج فيلم يحمل قيمة فنية كبيرة ، مهمة الرقابة ـ في

● لماذا يأكل المسرح الخاص الأخضر واليابس في مسارح القطاع العام ؟

رأيي ـ تنحصر في أن لا يمس الفيلم الآداب والنظام العام ، أما إذا تجاوزتها إلى التقييم الفني فأرى في هذا تدخلاً خطيراً ».

• ألم يحن الوقت لتعديل قوانين الرقابة على المصنفات الفنية ، بحيث يتسع المجال أمام المبدعين لتنويع موضوعاتهم ، وفي الوقت نفسه يقيد الانتاج الهابط؟

ـ قوانين الرقابة مهمتها الحد من انتاج الأفلام الهابطة التي تسئ إلى التقاليد والقيم ، وكل ما من شأنه أن يثير فتنة ويهدد الوحدة الوطنية . وكل ما يسئ إلى طائفة لها احترامها كالقضاة وغيرهم ، وكل ما يهز قيمة الحكم والسلطة ، ويجعل الناس تسخر من الحاكم ، ان لم يؤد الفيلم وظيفة ثقافية ترقى بالوجدان والسلوك ، وتزيد المتعة الجمالية ، فهو فيلم ساقط فنياً ، والنظام الجديد في الرقابة سيضيف إلى ما عنده الضابط الفني الذي ذكرته ، والذي لا يسمح بتعرية المجتمع وابراز عوراته بطريقة مسيئة ، وبما أن هذه هي قوانين الرقابة التي أعرفها فما هي المصلحة إذن في تغييرها ؟

• أسجل اعتراضاً:

قال لي كاتب السيناريو عبد الحي أديب :

« كل فنان يرفض أية رقابة على ضميره وفنه ولكن لأنه يؤمن بالديمقراطية فقد ارتضاها على مضض لأنها رغبة الأغلبية ، ونظام الرقابة حق أريد به باطل . فهو في ظاهره حماية للآداب العامة التي يحميها في الواقع كل فنان ومبدع ، وفي جوهره حماية للسلطة ، وجذور الأزمة جذور ثقافية . في بلد تتفشى فيه الأمية ، يقوى سلطان الرقابة ، وانتشار التعليم والوعي الثقافي ينفي تماماً ويلغي رقابة السلطة ، و... الزكاة الثقافية في رأيي لا تقل في حياة المسلم عن زكاة المال . وأعني بها تقديم وتيسير سبل الثقافة وإعلاء قيمتها في حياة الناس » .

• يقول الفنانون ان أهم انجازات وزارة الثقافة في الستينات كان نظام التفرغ ، انهار هذا النظام بسبب تثبيت مرتبات الفنانين على ما كانت عليه في الستينات . فأصبح التفرغ أكذوبة شكلية . هل ترون أهمية فتح ودراسة ملف التفرغ بشكل عاجل ؟

ـ إذا كان ما تقولين حقيقة ، فهو خطأ ، ويجب أن يعاد النظر بحيث تزيد مكافأة التفرغ بالنسبة التي زادت بها الرواتب ، إذ أنه ليس من المعقول أن يقف راتب التفرغ على ما كان عليه في الستينات.

• الاقتناء في الحركة التشكيلية يشوبه الكثير من العيوب ، اقترح الفنان عدلي رزق الله على صفحات الجرائد ووجه الدعوة للجنة المقتنيات لاقامة معرض سنوي لما تقتنيه الدولة ، الاقتراح يجعل كل شئ يتم علناً حتى تحس اللجان أن هناك رقابة شعبية ، ألا ترون أن هذا الاقتراح يستحق التنفيذ ؟

د . أحمد هيكل في سطور :

• من مواليد الزقازيق عام ١٩٢٢
• خريج كلية دار العلوم عام ١٩٤٨
• حصل على الدكتوراه في الأدب الأندلسي من جامعة مدريد ١٩٥٤ .
• نال جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٩ وجائزة الدولة التقديرية ١٩٨٥
• منح وسام الاستحقاق المدني من طبقة فارس من ملك اسبانيا
• شغل منصب :
١ ـ المستشار الثقافي المصري في أسبانيا
٢ ـ مدير المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد
٣ ـ عميد كلية دار العلوم
٤ ـ نائب رئيس جامعة القاهرة ورئيس جامعة الفيوم .
• منذ عدة سنوات عمل محاضراً لمدة فصل دراسي في جامعة قطر .
• عضو مجلس الشعب .
• يرأس لجنة التعليم والبحث العلمي في مجلس الشعب
• صدر له :
١ ـ الأدب الأندلسي
٢ ـ تطور الأدب الحديث في مصر
٣ ـ الأدب القصصي والمسرحي في مصر
٤ ـ دراسات أدبية
٥ ـ أصداء الناي ، شعر .

ـ اقتراح جيد ، وسأحاول أن أعمل على تنفيذه .

• هل فكرت أجهزة الوزارة في اقامة معارض شاملة للفنانين الرواد من أمثال محمود سعيد وراغب عياد : بحيث تجمع صورهم من مختلف المجموعات العامة والخاصة ، وتقام حولها الندوات ؟

ـ كل هذه أمنيات يمكن تحقيقها ، لكن هناك أولويات ، لا بأس أن نفعل هذا حينما تتاح الفرصة . لكن حسبنا الآن أن عندنا معارض كثيرة ثابتة . ومعارض متنقلة تسافر إلى العالم العربي وأوروبا ، وعندنا حركة تشكيلية لا بأس بها ، أما أن أقيم معارض للرواد ، فهذا غير متاح لضعف الامكانيات .

• هل لدى الوزارة خطة ينبغي إعدادها من الآن لعرض أوبرات مصرية لم تعرض حتى الآن لمؤلفين مثل عزيز الشوان وكامل الرمالي ، وهل هناك خطة لتشجيع تأليف وعرض باليهات مصرية ؟

ـ دار الأوبرا تبنى الآن والعمل فيها يمضي على قدم وساق ، وبعد أن يتم بناؤها خلال السنوات الثلاث القادمة ، أو قبلها بسنة سنضع خطة لذلك .. النصوص الفنية أمرها ميسور ، المهم أن تنهض الأوبرا .

• هل هناك خطوة أو خطوات اتخذت للسيطرة على نشاط المراكز الثقافية الأجنبية في مصر ، والتي تغلغلت في مختلف مناحي الحياة ، ومحاولة الحد من تأثيرها ؟

● الفنان المخلص مطالب بأن يرد لبلاده الجميل ولو قدم عروضه الفنية مجاناً وبغير مقابل مادي

الدكتور أحمد هيكل
وزير الثقافة في مصر
حوار معه

ـ أنا لا أظن في حدود معرفتي أن هذه المراكز تمثل خطراً ، وكل ما يتم فيها ، يتم تحت عين إدارة العلاقات الثقافية بالوزارة وأجهزة الأمن المعنية . وتقوم الوزارة بالاشراف الفني الكامل على مايقدم ، وعلى سبيل المثال فقد جاء منذ أيام فنان ألماني كبير ليقيم معرضاً للوحاته في القاهرة ، وعندما قمنا بفحص وفرز اللوحات وجدنا أن بعضها يسيء إلى مصر والعروبة . فرفضنا أن يقام هذا المعرض ، وأقنعنا السفارة الألمانية بوجهة نظرنا ، وإن كانت قد قبلتها على مضض . ما أريد قوله ان السيادة الثقافية في مصر هي لوزارة الثقافة المصرية .

● نحن نعلم مدى عمق واهتمام وزير الثقافة بدراسة مشكلات الثقافة ، ولكن ألا ترون أنه من حقنا أن نرى نتائج هذه الدراسة في لقاءات عملية في فروع الأنشطة المختلفة ؟

ـ هذا ما يحدث في اجتماعات المجلس الأعلى للثقافة ، وأرحب بأي رأي يطرح ، أما أن أترك العمل وأتفرغ لعقد لقاءات فهذا أمر لا أحبذه . لاشك أن لمثل هذه اللقاءات فوائد ، لكنها في كثير من الحالات مضيعة للوقت .

● أنتم تتولون وزارة الثقافة في مرحلة يرتفع فيها شعار تخفيض النفقات ، ويتخوف البعض من أن تكون الثقافة ضمن خطة الترشيد .

ـ ولماذا لا تكون الثقافة ضمن خطة الترشيد ، هل هي شيء مقدس ؟.... يجب أن لا تنفق إلا في ما يجدي ويعود بعائد ثقافي ، ويكون الترشيد وضغط الانفاق في ما يكون لهواً وعبثاً . وكثير من الانفاق كان في أمور لا علاقة لها بالثقافة .

● ما هي المجالات الثقافية التي يمكن ترشيدها ؟

ـ بدلا من طباعة كتاب بورق كوشيه يكلف عشرة جنيهات ليباع بعشرين ، أطبعه على ورق الساتان الأبيض بجنيه ، وبدلاً من ارسال وفد ثقافي يتكون من عشرة أفراد ، أكتفي بواحد يؤدي نفس المهمة ، وبدلاً من إرسال وفد لحضور إجتماعات اليونسكو ، أكتفي بمندوب مصر الدائم هناك ، وبدلاً من أن تمثلنا فرقة رضا بأربعين راقصاً ، اكتفي بعشرين ، وبدلاً من استقبال الوفود الثقافية في فندق ماريوت مثلاً ،استقبلهم في فندق أكثر اقتصاداً ، وبدلاً من أن يركب الوزير عربة بعشرين ألف جنيه ، يركب عربة بعشرة آلاف ، وهذا كله انفاق ثقافي من جيب وزارة الثقافة .

● يتهمك البعض أن فترة الدراسة قد طالت أكثر مما ينبغي وأنك لم تنزل إلى الشارع الثقافي لتلمس عن قرب أمراض الحياة الثقافية ، مما أدى الى إصابة بعض المتفائلين بالاحباط .

ـ الشارع الثقافي ـ يا سيدتي ـ هو عمري كله . لقد قمت في أقل من شهرين بتنظيم الوزارة ، والتقيت بكل القيادات الثقافية ، ودرسنا معاً وضع الخطط وكيفية تنفيذها ، وأنجزت ما يحتاج الى سنوات لانجازه ، قمت بتنحية اسرائيل عن معرض الكتاب ، أضفت قسم الدراسات إلى الثقافة الجماهيرية ، أعدت مشروع الألف كتاب والمكتبة الثقافية ، نطبع المفقود الذي نفد من الكتب التي أصدرتها الهيئة . أصدرنا سلسلة كتب عن المخدرات والسموم البيضاء تباع بعشرين قرشاً ، قدمنا عدة ليال موسيقية لم تشهدها مصر منذ سنوات طويلة على مسرح الجمهورية دعونا أكبر فرق سيمفونية في اليابان ، شاركنا في مهرجان الفنون الشعبية الذي أقيم في الاسماعيلية وقد حضرته بنفسي ، كما ان الفرق التي شاركت في المهرجان جاءت وقدمت عروضها أيضاً في القاهرة ، مثل فرقة الأكروبات الصينية ، وفرقة الباليه الأسباني ، والباليه الألماني ، والأهم من ذلك أننا تسلمنا المسرح القومي ، وقد أوشكنا أيضاً أن ننتهي من تجديد معمل ستديو مصر ، فما الذي طال يا سيدتي ؟

انتهت الرحلة ـ ولم تنته الهموم .

أسجل لكم ما كتبه د . يوسف إدريس بالأهرام : « قلبي معك يا دكتور هيكل في وزارة اختلط فيها كل شيء بكل شيء » .

و .. أسجل لكم أيضاً خروجنا ـ د . هيكل والنقيب وأنا ـ من قصر « الكلامك » ـ مقر إقامة النقيب ـ الى قصر « الحرملك » ـ مقر أسرته ـ كان الشارع يتدثر بالليل ، وكان الليل يرتعش برداً ، وكنا نرتعش شوقاً لدفء ، ودفء ، وكان « الهيكل » ملتحفاً بعباءة النقيب يردد من شعر محمد العلائي :

لك الأمــر لا يدري عـبــادك ما بـيــا
لك الأمـــر لا للنــاصـحـيــن ولا لـيــا

« ســارة ـ القاهرة »

● أعد الأسئلة :

١ ـ إدوار الخراط
٢ ـ اقبال بركة
٣ ـ جلال العشري
٤ ـ رؤوف توفيق
٥ ـ سعد أردش
٦ ـ سمير العصفوري
٧ ـ صنع الله ابراهيم
٨ ـ عدلي رزق الله
٩ ـ فاروق شوشة
١٠ ـ محمد ابراهيم أبوسنه
١١ ـ محمود الحديني
١٢ ـ محمد جلال
١٣ ـ محمد جبريل
١٤ ـ د . نعمات فؤاد

● سجل الاعترافات :

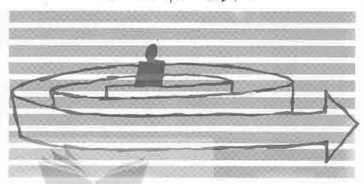
١ ـ أحمد بهاء الدين
٢ ـ د . أحمد عثمان
٣ ـ حسن شاه
٤ ـ عبدالحي أديب
٥ ـ فتحي سعيد
٦ ـ د . فتحى عبدالفتاح
٧ ـ مجيد طوبيا
٨ ـ محسنة توفيق


صنع الله ابراهيم


مجيد طوبيا

وردية ليل

بقلم : إبراهيم أصلان



كانت ورديتي الليلية الأولى . وكنت قد لاحظت كيف أن زملاء العمل القدامى يغيبون ، ثم يعودون وقد حمل كل منهم كوبا من الشاي . وعندما سألت . أخبرني محمود أن عامل البوفيه . في الليل ، يكون وحده . لذلك فهو يكتفي باعداد الطلبات دون النزول بها . وهكذا طلبت منه أن يراقب الدائرة . غادرت القاعة الممتلئة بماكينات التيكرز ، وفتحت الباب ، وعبرت الصالة الطويلة حتى نهايتها . في طريقي إلى الطابق الآخر .

التفت إلي وهو يجلس عند النافذة الكبيرة في صدر المكان . ثم اقترب حتى وقف وراء الطاولة الرخامية التي تفصل بيننا . بدأ يعد خليط السكر والشاي الجاف في قاع الكوب . وصب الماء الساخن من البراد الثقيل الأزرق . وتناول الملعقة الصغيرة . لاحظت أن النافذة من هنا كانت تطل على مجمع المحاكم الكبير . وبرج الكنيسة البيضاء ، والمدخل الأمامي لمصلحة السجون . تأملت جانب وجهه الأسمر الذي لا أعرفه . بدا غاضبا من تقليب الشاي حتى انتهى ، وضرب بالملعقة على الحافة الزجاجية مرتين ، وتطلع إلى وجهي . ثم ابتسم .

شممت رائحة الشاي وأنا أحمل الكوب بين ابهام وسبابة يدي اليمنى من الحافة الخالية الباردة . واستدرت في حذر حيث غادرت المكان . وخطوت مجموعة الدرجات الأولى درجة درجة . ثم نزلت مجموعة الدرجات الثانية . ومشيت أمام المصلى ودورة المياه حتى أول الصالة الطويلة الضيقة . وأخذت مكاني إلى جوار الجدار المطلي . وما أن جاوزت المدخل الأول حتى انتبهت على وقع أقدام تتبعني ، واهتز الكوب فجأة وانسكبت رشفات منه ولسعتني . لسعتني دفعة واحدة وتوقفت مرتبكا وقد تلاحقت كميات الشاي التي حرقت أصابعي : ملت بسرعة ووضعته على البلاط ومسحت يدي في رجل بنطلوني . لاحظت أن الخطوات التي تتبعني قد توقفت بدورها . استدرت . كان أحد زملاء الليل يقف ورائي وهو يحمل كوبا آخر من الشاي ، يحمله بكلتا يديه . انحنيت وتناولت الكوب بين ابهام وسبابة يدي اليمنى ، إلا أنني فعلت مثله . صنعت من ابهام وسبابة يدي اليسرى ما يشبه الحلقة المفتوحة تحت قاعدة الكوب السميكة . وبدأت أتقدم في حذر ، وبدأت الخطوات البطيئة تتبعني . وازنت خطوتي معها حتى لم أعد أسمعها . ولم يمر وقت طويل إلا ولمحت زميلا يأتي من الاتجاه المعاكس وهو يحمل كوبه . وما أن لاحظت أنه يحمله بكلتا يديه حتى عاد الكوب يهتز مني على نحو غريب . ورغم أن الشاي في هذه المرة لم يصب شيئاً من يدي اليمنى . إلا أنه أصاب ابهام وسبابة يدي اليسرى عند القاعدة الباردة ، وآلمني تماما في مكان الوصل بينهما . توقفت بهدوء وأنا أغالب الألم . واستعنت مسرعاً بإصبعي الوسطى التي كانت تشارك ، على نحو ما ، في سند قاعدة الكوب من أسفل . جعلت هذه القاعدة تستقر عليه أكثر . وأفسحت من الحلقة بالقدر الذي سمح للشاي الساخن أن يتسرب ويبرد ، وهكذا استعدت هدوئي على نحو واضح وتوقف الكوب عن الاهتزاز ، وتوقف الألم ، وبدأت أتقدم بنفس الخطوة القديمة . فعلت ذلك كله دون ابطاء لأنني أدركت من ملامستي لحافة الكوب والقاعدة ، أن المشوار ليس قصيراً ، وأنهما معرضتان مع الوقت لامتصاص حرارة الشاي . وخايلني قادم آخر إلا أنني لم أرفع عيني وتشبثت بوقع قدمي ونجحت تماما في ذلك . وخطر لي ان الكوب لن يعاود الاهتزاز في يدي . حتى لو حدث فإن الشاي لن يكون بنفس السخونة الماضية . وحين تزايد الزملاء الذين يتتابعون من الاتجاه المعاكس ، خطوت نصف خطوة ثم خطوة كاملة . غيرت ايقاع قدمي ، وأمكنني سماع الخطوات العديدة التي تتبعني حين بدأت تتوقف على نحو متوال ، ثم وهي تواصل سيرها ، وتوازن وقعها على وقع قدمي . مرة أخرى لم أعد أسمعها حتى انتهيت ، وتوقفت على بعد خطوة واحدة من مدخل مكتبي المردود ، أعطيته جانبي الأيمن وهيأت نفسي . ثنيت ركبتي حتى لامست خشب الباب ، وجعلت من يدي اليمنى في وضع أفقي دون أن أغير من وضع أصابعي أو اهز الكوب . ولامست الباب من أعلى بمرفقي . وعندما ملت بثقلي على الركبة والمرفق فاتحاً الباب ، كنت يقظاً ، فقد يكون أحدهم خارجاً الآن ويصطدم بي . ثبت زاوية الباب السفلي بمقدمة حذائي ، وابتعدت بجسمي جيداً ، وسحبت قدمي تاركاً الباب يعود إلى مكانه . كان محمود نائماً عند الدولاب الحديدي المفتوح . وكانت ماكينات التيكرز قد كف معظمها عن العمل . خطوت على الشريط الورقي المكوم أمام دائرتي ، ووضعت الكوب على قاعدة النافذة الطويلة المفتوحة . وجلست أدخن وأشرب من كوب الشاي ، وأرى كيف أنها ، من هنا ، كانت تكشف قدراً آخر من سماء الليل . وتلك المساحة الكبيرة الخالية ، والجانب الآخر من جريدة الأهرام .

عنوان هذه الدراسة ــ لاشك ــ غريب ، لكنه ــ في الواقع ــ إشارة لما جرى بين مريض وطبيب ، أو هو قصة انسان كتبت له النجاة ، بعد أن خاض معركة طويلة مع القاتل رقم واحد ، أو القاتل الأول ــ كما يطلقون عليه هذه الأيام ، وهو وصف له مايبرره ، لأن ضحاياه من البشر أكثر من ضحايا أى مرض آخر .. هذا القاتل الشرس هو مرض القلب .. وإذا كانت قصة هذا القاتل قد حدثت مع كاتب هذه الدراسة ، الا أنها لاتعنى أنها قصته هو ، بل هى قصة مئات الألوف من مرضى القلب الناطقين بالضاد ، أو قصة الملايين من سكان هذا الكوكب الذين لايزالون يعانون من قلوبهم المعطوبة ، ولعل هذه الدراسة تضع لهم النقط فوق الحروف ، فتكون نقطة مضيئة على الطريق ، في رحلة من المرض الى الشفاء !



تقدَّم ... ولاتتردَّد فقلبك اليوم مُجدَّدا!

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

شكل (١) عيناه دائما على شاشة تليفزيونية تظهر عليها خطوط مضيئة ترتفع وتنخفض فتكون مؤشرا حقيقيا لحالة قلب مريض يوجد في حجرة العناية المركزة ، ومثل هذه الأجهزة الاليكترونية المتطورة هي احدى انجازات التزاوج بين الطب والعلم والتكنولوجيا الحديثة فساعدت على انقاذ حياة ملايين المرضى .

شكل (٢) صورة لجزء من القلب مجهز بطريقة خاصة لاظهار الأوعية الدموية ، وفي اعلاه يظهر الأورطى (اللون الأحمر) .. لاحظ كيف تخرج منه بعض الشرايين التاجية من اسفله لتنتشر وتغذي القلب (التفرعات غير الملونة هي الأوردة) .. ان اصابة احداها (أو أكثر) بالجلطة أو التصلب يسبب أزمات قلبية قد تؤدى الى الوفاة .

كان طبيب القلب (ولنرمز له بحرف س) يجلس مع بعض أصدقائه فى شرفة منزله فى انتظار انطلاق مدفع الافطار ، وقبيل انتهاء نهار هذا اليوم من شهر رمضان ، صرخ من ألم رهيب حل به فجأة ، ثم انتشر فى صدره ، وعرف بخبرته أن القاتل ــ أزمة القلب ــ قد زاره على حين بغتة .. ولقد كان طبيبنا هذا فى قمة صحته وشبابه ، لكن القاتل لايفرق بين عليل وسليم ، أو شيخ وشاب .. المهم أن أصدقاءه قد أسرعوا بنقله الى أقرب مستشفى تخصصى ، لكن طبيب القلب لفظ أنفاسه فى الطريق !

هذا الطبيب أعرفه تمام المعرفة ، فلقد توطدت بيننا صداقة استمرت خمس سنوات أو ست ، اذ كنت أتردد عليه لاجراء كشف دورى بعد أن حلت بى أزمة قلبية ، شخصها على أنها جلطة فى أحد الشرايين التاجية ، لكنها مرت بسلام ، وهكذا قد يأتى القاتل ليقتل ، أو ليترك بصماته التى لايمحوها الزمن على قلوبنا ، لأن الجلطة تعنى عدم سريان الدم الى جزء من عضلة القلب ، فيموت هذا الجزء من الجوع والاختناق ، ويتحول الى نسيج ليفى لا فائدة فيه ولا مأرب ، بل ينقص من كفاءة عضلة القلب !

ثم حلت بى أزمة ثانية وثالثة ، وأدخلت حجرة العناية المركزة .. أيضا للمرة الثانية والثالثة ، وكنت أتردد لسنوات على أستاذ فى أمراض القلب ، وعندما ذهبت اليه فى العام الماضى ، علمت أنه طريح الفراش من أزمة قلبية مفاجئة ، وأن حاله أصبح مثل حالى ، وعندما عدت الى عملى ، قيل لى أن فلانا الموظف الادارى قد نقل الى المستشفى بسبب أزمة قلبية ، وأن الزيارة ممنوعة ، وقبل ذلك بشهور ، جاءنى نبأ وفاة عامل فنى فى معملى ، رغم أنه كان فى اليوم السابق سليما معافى ، لكنه فى صباح اليوم التالى ، وبينما هو يستعد للخروج الى عمله ، داهمته أزمة قاتلة فى التو واللحظة .

مثل هذه القصص ــ التى عشت جزءا منها ــ تتكرر كثيرا مع من نعرفهم ومن لا نعرفهم ، ولاشك أن أحدا من قراء هذه المجلة لابد وأن يكون له أحد أقربائه أو أصدقائه أو معارفه قد أصيب بأزمة (أو ربما بعض القراء أنفسهم) .. ولهذا فان سرد بعض المعلومات فى هذه الدراسة لها مايبررها ، فهى بمثابة مؤشرات أو توجيهات نسوقها كنوع من الترشيد ليس الا .. خاصة وأن كاتبها قد عايش أحداثها ، حتى انتهى به الأمر الى مايحب ويرضى .. أى أنه يعيش الآن بقلب مجدد !

احصاءات عالمية ودولية

الذين أطلقوا على أمراض القلب عامة ، وأزماته المفاجئة خاصة اسم القاتل الأول ، لم



تقدم ... ولاتتردد فقلبك اليوم مُجدَّدا!

يجانبهم الصواب . اذ يرتكزون فى ذلك على احصائيات طبية لها وزنها .. فى مجلة العلم الأمريكية تشير بعض هذه الاحصائيات الى أن حوالى ٥٥٠ ألف أمريكى يموتون سنويا من جراء أمراض القلب ، وخاصة الناتجة من الجلطات وتصلب الشرايين التاجية ، لكن الذين تحل بهم الأزمات . وتمر بسلام ، يكلفون الحكومة الأمريكية حوالى ٣٠ ألف مليون دولار سنويا .

وفى مجلة ديسكفر (أى الكشف ــ وهى مجلة علمية أمريكية) جاء أن حوالى ٢٠٠ ألف أمريكى سيتقدمون خلال العام الحالى الى مراكز علاج القلب ، بغرض اجراء عمليات جراحية ، لاستبدال شرايين القلب التالفة ، هذا وتبلغ تكلفة الجراحة للفرد الواحد حوالى ٢٢ ألف دولار فى المتوسط . وهو مايعادل تكلفة اجمالية تقدر بحوالى ٤.٤ بليون دولار .. هذا غير تكلفة ساعات العمل الضائعة .

ومن منظمة الصحة العالمية صدرت احدى نشرات عام ١٩٨٥ ، وفيها كتب خمسة من الأطباء الروس مقالا عن أمراض القلب فى الاتحاد السوفييتى ، ولقد ذكروا فى ذلك المقال أن حوالى نصف الوفيات التى تحدث عندهم سببها أمراض القلب . وفى عام ١٩٧٨ تسببت هذه الأمراض فى موت ٥١ ٪ من كل الأمراض الأخرى .

لكن المؤشرات تشير الى أن دول العالم المتقدم هى أكثر الدول اصابة بالأزمات القلبية ، ولهذا اعتبروه من أمراض العصر أو أمراض المدنية الحديثة . لكن ذلك لايعنى أنه لم يكن موجودا قبل ذلك . بل يعنى أن الحياة العصرية تختلف عن حياة الأجيال السابقة ، لأن المدنية بتعقيداتها الكثيرة ، وضغوطها الشديدة . يصاحبها عادة مزيد من التوتر والقلق الذى يتعكس على البشر ، فيصيبهم بأزمات قلبية ، وأمراض نفسية وغير ذلك من أمراض العصر التى لم تكن منتشرة بين الأجداد الذين عاشوا فى القرون الماضية .

وماذا عن الدول النامية عامة ، والعربية خاصة ؟

للأسف لاتوجد لدينا احصاءات دقيقة عن عدد المتوفين من أزمات القلب ، أو عدد الذين لايزالون يعيشون بأزماتهم .. فى المكان الذى أعمل فيه أحصيت الذين أصيبوا بأزمات قلبية ، فتبين أن عددهم خمسة ، بالاضافة الى كاتب هذا المقال .. أى ستة من بين كل ٤٠٠ فرد ، وهذا يعنى أن النسبة أكثر من واحد بالمائة لكن دعنا نفترض أنها نصف بالمائة فقط ، وعندئذ فان عدد من يعيشون بأزماتهم القلبية فى جمهورية مصر وحدها يبلغ حوالى ربع مليون فرد (هذا غير الذين يموتون فجأة) . ولاشك أن العدد فى الدول العربية يربو على المليون ، وهو آخذ فى الزيادة ، لأن هذه الدول بدورها قد حذت حذو الدول المتقدمة ، أى أنها أخذت عنها بعض طرق حياتها ، ولابد ــ والحال كذلك ــ أن ينالها من أمراضها بقدر التقدم والضغوط الحياتية التى أخذتها عنها .

ورغم أن عدد الذين يصابون بالأزمات القلبية فى اليوم الواحد ــ على مستوى سكان العالم ــ يصل الى الآلاف أو ربما عشرات الالآف ، الا أن هذا العدد المخيف ليس مدعاة للفزع ، لأن معظم هؤلاء الضحايا يمكن انقاذهم من أزماتهم ، خاصة اذا حدث التشخيص المناسب ، فى الوقت المناسب ، ونقل المصاب الى المكان المناسب ، ليتلقى العلاج المناسب .. ولا أحد يستطيع الآن أن ينكر التقدم الطبى والعلمى والتكنولوجى الذى يساعد كثيرا على انقاذ مايمكن انقاذه (شكل ١) ، عدا الحالات التى تباغتها أزمة قاتلة ، وهى التى تعرف باسم « السكتة القلبية » ، فيموت المصاب فى التو واللحظة فى مكانه .

بين اختيارين

والواقع أن كاتب هذه الدراسة من الفئة الأولى التى أصيبت مرارا بأزمات قلبية ، فنتج عنها جلطات سدت بعض الشرايين التاجية ، ورغم ذلك فقد عاش بها ثلاثة عشر عاما ، وطبيعى أنه كأى مريض بالقلب (وهم كثيرون جدا ــ كما ذكرنا) لابد أن يتبع نظاما خاصا من العلاج ، سواء من جهة أدوية مرضى القلب التقليدية ، أو من تغيير أسلوب حياته .. الى آخر هذه الأمور المعروفة .

لكن قد يحدث أن يستجيب مريض لهذا النوع من العلاج ، ولا يستجيب آخر .. صحيح أن العلاج مفيد ، لكنه ــ مع ذلك ــ لم يصل بالمريض الى النتيجة المرجوة ، بل قد يحدث العكس ، اذ يحس أن حركته محسوبة عليه ، بمعنى أنه لايستطيع أن يجابه موقفا أو مأزقا قد فرض عليه رغم أنفه ، وعندئذ قد يحس وكأنما هناك صخرة جاثمة على صدره (يختلف هذا الاحساس بين مريض وآخر) ، وهذا انذار بأن القلب واقع تحت اجهاد ، أى أن ورود الأوكسيجين اليه ليس كافيا ، أو بمعنى آخر قصور فى الدورة التاجية ، فلا تحصل عضلة القلب على القدر الكافى من الدم ، حتى تجابه الأعباء الكبيرة الملقاة على عاتقها ، ثم انها لاتستطيع أن تستريح حتى ولو للحظات قصار ، اذ لو فعلت ، فقل على الحياة السلام !

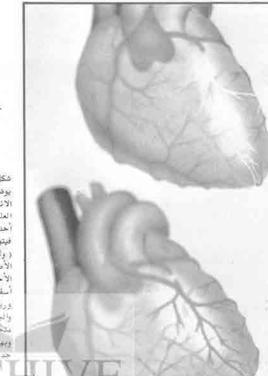
ان القلب بمثابة مضخة ماصة كابسة ، ولابد أن تضخ الدم النقى الى جميع أجزاء الجسم ، وهى تبذل فى ذلك مجهودا كبيرا ، حتى ولو سكن الانسان الى الراحة .. فرغم أن القلب فى حجم قبضة يد الانسان ، الا أنه يضخ فى كل نبضة حوالى ٦٠ سنتيمترا مكعبا من الدم ، أى حوالى خمسة لترات فى الدقيقة ، أو سبعة آلاف لتر فى اليوم الواحد (حوالى ١٦٠٠ جالون) يضخها من خلال شبكة هائلة من الأنابيب الكبيرة والمتوسطة والدقيقة تصل أطوالها مجتمعة الى حوالى ٩٦ ألف كيلومتر !

ان هذا المجهود الكبير ــ الذى يزيد مع زيادة نشاط الانسان ــ يتطلب فيضا دائما وميسرا من الدم النقى الذى يحمل له الوقود (السكر) وشعلة الاحتراق (الأوكسيجين) ، ومن أجل هذا تحصل عضلة القلب الأساسية على أنقى دم من الأورطى قبل ان يوزعه على جميع أعضاء الجسم ، وطبيعى أن يسرى هذا الدم فى شبكة من الشرايين التاجية التى تتفرع وتدق (شكل ٢) .. ولهذا فان أى ضيق أو انسداد فيها ــ خاصة عند منابعها أو بداياتها ــ كفيل باحداث اختناق فى العضلة ، فتظهر علاماتها على هيئة أعراض تعرف أحيانا باسم الذبحة الصدرية ، وقد تتفاقم الأمور ، مالم يخلد الانسان الى الراحة ، أو يضع حبة دواء تحت لسانه ، فتنفرج شرايينه ، وتسمح بمرور مزيد من الدماء ، فيحس براحة ، لكن الألم قد يعود ، اذا عاد الاجهاد .. وهذا يعنى ببساطة شديدة أن خطر حدوث مضاعفات قد لاتحمد عقباها ــ هى بمثابة تهديد مستمر لحياة الانسان ، أو كأنما هى كالقيود غير المنظورة التى تشل حركته ونشاطه .

ثم قد يأتى الاختيار الآخر الذى لا مفر منه ولا مهرب ، خاصة اذا كان العلاج بالعقاقير قد أصبح غير مفيد ، وهنا لابد من التدخل الجراحى اذا نصح الطبيب المعالج بذلك ، واذا رغب المريض فى ذلك أيضا .

عين ترى مالا تراه عيوننا

وفى حديثنا عن هذا النوع من الجراحة ، سوف نتعرض هنا فقط لحالات الجلطات التى أصابت الشرايين التاجية ، فأثرت على كفاءة القلب ، ويعنى هذا أن أمراض القلب متعددة .. فمنها العرضي ، ومنها الخلقي (أى خطأ أو أخطاء فى القلب أثناء تكوينه) ، ومنها الوظيفى أو الميكروبى ... الخ .



شكل (٣) شكلان للقلب يوضحان كيف يحدث الانسداد (الصورة العليا) من بداية تفرع أحد الشرايين التاجية فيتوقف فيه سريان الدم (ولهذا يظهر باللون الأصفر بدلا من الأحمر) .. أما الذى الى أسفل فيوضح عملية زرع وريد بين الأورطى والجزء غير المسدود ، متخطيا بذلك الجلطة ، وبهذا يسرى الدم فيه من جديد

وطبيعي أن أحدا لايستطيع أن يحدد مواقع الانسداد أو الضيق أو الجلطات بخبرته أو سماعته أو برسام القلب الكهربي .. الخ ، ومع ذلك فهناك عين من عيون العلم تستطيع أن ترى مالا تراه عيوننا ، وتحدد بالضبط أين حدث الانسداد ، وفى أى شريان .. والطريق الى ذلك يحتاج الى قسطرة تدخل عن طريق وعاء دموى أساسى ، ثم تدفع حتى تصل الى الأورطى ، وأحيانا الى داخل القلب لتؤدى مهام لاتهمنا هنا فى موضوعنا ، وعلى صدر المريض تنطلق الأشعة غيرالمرئية من جهاز خاص ـ هو أحد الانجازات العلمية والتكنولوجية العظيمة ، لأنه ينقل صورة القلب وهو ينبض الى شاشة تليفزيونية ، كما يوضح للطبيب أين يتجه بطرف قسطرته ، وبدقته وكفاءته وخبرته الحساسة يوجه هذا الطرف الى بدايات الشرايين التاجية أثناء خروجها من الأورطى الى عضلة القلب لتغذيها ، وفى كل شريان ينساب من طرف القسطرة محلول خاص (يود) ، فيظهر فى الشريان التاجى كصبغة (لون داكن) .. ثم يحرك الطبيب القسطرة الى شريان ثان وثالث . وفى كل مرة تنتشر الصبغة فيه وفى فروعه ، ويسجل كل هذا على فيلم حساس .

هذا ويمكن أن ترى بنفسك على الشاشة سريان الصبغة فى شرايين قلبك . فان سرت دون عائق ، فالشريان سليم ، وان توقفت عند منطقة من الشريان ، أو كان سريانها ضعيفا لايكاد يبين ، فمكان الانسداد أو الاختناق يكون حيث يتوقف سريان الصبغة (شكل ٣) .. المهم أن هذا الكشف يستغرق مابين ٤٠ ـ ٥٠ دقيقة ، ويتكلف حوالى ٤٠٠ جنيه فى احدى مستشفيات القاهرة المتخصصة ، وهى تكلفة قليلة اذا ماقورنت بأى بلد آخر (فى أمريكا مثلا تتكلف حوالى ألفى دولار) .. والواقع أن هذا الكشف مأمون العواقب ، فنسبة الخطورة فيه لاتتعدى واحدا بالألف ، أو ربما أقل ، هذا رغم مايثار حوله من مخاوف وأقاويل تجعل مرضى القلب ينفرون منه دون داع لذلك .

جراحة القلب المفتوح

بعد أن حددت تلك العين العلمية الطريق لمبضع الجراح ، وكأنما هى قد رسمت له خريطة دقيقة يعرف منها من أين يبدأ ، والى أين ينتهى ، فان الأمر بعد ذلك يتوقف على رأى المريض ، فاما أن يحزم أمره ويتوكل على الله ، واما أن يفضل أن يعيش بما يتبقى له من كفاءة قلبه ، ويعتبر أن الأعمار بيد الله .. لكن معظم المرضى يقدمون على عملية جراحة كبيرة ، وغالبا ماتتم فى أحد المراكز الجراحية المتقدمة ، والعملية ذاتها مجهدة ومكلفة ، وتتطلب رعاية مركزة ، وتجريها هيئة طبية متعاونة ومتخصصة ، والتمريض فيها يحتاج الى أيد مدربة ومنضبطة ويقظة ، ومن أجل هذا ينصح الأطباء فى الدول النامية اجراء مثل هذه العمليات فى دول متقدمة ، لكن مصاريفها باهظة ، وقد لاتتحملها ميزانية الفرد العادى ، وأحيانا ماتتولى الحكومات أو الهيئات نفقاتها (هى فى دول أوربا نصف تكاليفها فى أمريكا تقريبا ـ ففى أمريكا شىء من الرفاهية) .

وعندما يخدر المريض ، تتسلمه فرق من المتخصصين ، فهناك مثلا جراح متخصص فى شق الفخذ والساق ليعزل منهما وريدا كبيرا يعرف باسم الوريد الصافينى ، ولابد أن يكون مستقيما ، أى بدون تعرجات أو التواءات ، ثم يجزأ الى قطع مناسبة لتعامل فى محاليل خاصة ، وفى هذه الأثناء تشق عظام الصدر ، فيظهر التجويف الصدرى بكل تفاصيله ، وبهذا يستطيع الجراح أن يعمل على حريته ، لكن القلب ينبض ، ولايمكن والحال كذلك أن يقوم باجراء الوصلات السليمة محل المعطوبة ، خاصة وأنها عملية دقيقة وحساسة للغاية ، ولابد من مخرج من هذا المأزق !

ولقد جاء الفرج على هيئة بديل ، وبه يمكن ايقاف القلب عن النبض حتى تنتهى العملية ، ولقد ظهر هذا البديل لأول مرة فى عام ١٩٦٧ على هيئة جهاز يعرف باسم القلب والرئة الصناعيتين (شكل ٤) .. وفى هذا الجهاز يتم تحويل الدم من القلب ومن الرئتين ، فيدور فيه ليزوده بالاوكسيجين ، ويخلصه من ثانى أوكسيد الكربون ، ثم يدفعه فى تيار مستمر الى الجسم (وليس على هيئة دفقات كما يحدث فى القلب الطبيعى) .. وطبيعى أن يلاحظ هذا الجهاز الصناعى درجة حرارة الدم الذى يدور فيه عند معدلاتها الطبيعية .

القلب والرئتان متوقفان الآن عن العمل ، ولابد أن تنتهى عملية ، ترقيع ، أو أحلال الشرايين فى غضون ساعة على أكثر تقدير ، ففى هذه الساعة الحرجة قد تضار عضلة القلب وتختنق ، فلا دماء ولا غذاء ولا أوكسيجين يصل اليها ، كما أن دوران الدم فى جهاز القلب والرئة الصناعيتين ليس بالوسيلة المأمونة أو المناسبة ، لأن الدم حساس لملامسة أى سطح غريب ، وقد يؤدى ذلك الى احتمال تجلطه (لهذا يضاف اليه مادة الهيبارين



شكل (٤) جهاز القلب والرئة الصناعيين . واليه يتحول دم المريض كلية أثناء اجراء عمليات القلب المفتوح . فيدفئه ويزوده بالأوكسجين ويخلصه من غاز ثاني أكسيد الكربون . ثم يعيده الى الجسم .. ولقد ساعد هذا الجهاز على اجراء مئات الألوف من مثل هذه العمليات . وبدونه لا يستطيع الجراح أن يتم مهمته .

المضادة للتجلط) .. أضف الى ذلك أن نسبة من كرات الدم الحمراء تتحلل بمرور الوقت ، وغير ذلك من أمور قد تكون في غير صالح المريض ، لكن مهارة الجراح ، وسرعته مع دقته وحساسيته لمن الأمور الضرورية في مثل هذه العمليات الدقيقة .

أدق مرحلة .. مرحلة زرع الأوردة

كل العيون الآن مركزة على الجراح الأساسي في العملية ، ومركزة أيضا على الزمن .. وتبدأ أدق مرحلة عندما يقدم اليه مساعده جزءا مناسبا من الوريد المعزول ، فيزرعه في الشريان المسدود ، متخطيا بذلك الجلطة التي منعت سريان الدم في بقية فروع الشريان ، وتعرف هذه العملية باسم تخطي الجلطة أو الانسداد (أنظر شكل ٢ ، ٥) .. ويمكن تبسيطها بمثال من عالمنا ، وليكن ذلك في أنبوبة مسدودة لايمكن تسليكها ، لكن يمكن تخطي هذا الانسداد بعمل وصلة قبل وبعد الانسداد ، فيسري السائل فيها ، وتعود الأمور الى مجاريها .

لكن عملية زراعة أو وصل الأوردة السليمة بالشرايين المعطوبة ليست سهلة كعملية وصل المواسير المسدودة ، بل هي من أدق العمليات التي تحتاج الى جراح ذي كفاءة عالية ، وحساسية بالغة ، ومهارة هائلة .. لأنه يتعامل مع أنسجة حية وحساسة ، فمن ناحية يقطع الشريان المسدود بعد الجلطة مباشرة ، ثم يدخل الوريد في الجزء المفتوح ، ويحيكه حياكة دقيقة ، ويفعل نفس الشيء مع باقي الشرايين المسدودة ، وعندما ينتهي من ذلك ، يبدأ في تدفئة القلب تدريجيا ، وفي هذه الاثناء يزرع الأطراف الأخرى من الأوردة (التي لازالت متحررة) في الأورطي ، وطبيعي أن يشق لكل طرف ثقبا مناسبا ، ويدخله فيه حتى تجويف الأورطي ، ثم يحيكه بدقة بالغة .

كل الوصلات الآن قد تمت في الوقت المحدد ، وآن للدورة الدموية أن تعود الى سابق وضعها ، فتندفع الدماء الى القلب والى الرئتين ، لكن القلب لم ينبض ، ولابد من « ايقاظه » بصدمة كهربية مفاجئة ، وفي التو واللحظة ينقبض القلب ، ثم ينبسط .. ثم ينقبض وينبسط .. لقد دبت فيه الحركة ، وتتركز العيون عندئذ على الأوردة المزروعة ، وعلى آثار الدماء التي « تنز » منها ، فكلما كانت قليلة ، دل ذلك على مهارة الجراح ، لكنها سوف تتوقف إن آجلا أو عاجلا ، فهي ـ كأي نسيج مجروح ـ سوف تلتئم عندما يكون الدم

حولها شبكة منيعة (تشبه الجلطة الدموية التي تتكون على جروحنا لتمنع انبثاق الدم) .

وعندما يطمئن الجراح الأول أن كل شيء على مايرام ، يعود كل شيء الى سابق وضعه ، بعد أن تكون هذه العملية قد استغرقت مابين ٤ ــ ٦ ساعات متواصلة ، وينقل المريض بعد ذلك الى حجرة العناية المركزة ، وقد لايفيق الا بعد يوم ، أو يوم ونصف يوم ، وكأنما هو لم يلبث الا ساعة أو بضع ساعة ، لكنه يعود الى نوم جديد ، ويظل يستيقظ وينام ، الى أن يعود تماما الى وعيه ، فينقل الى حجرته بعيدا عن جو العناية المركزة بما فيها من أجهزة كثيرة تستقبل وتسجل وتحلل وتوضح ، وكأنما هي بدورها عيون ترقب مايخفى عن عيوننا .

مناقشة مفيدة .. وتنويه واجب

على أنه من المفيد هنا أيضا أن نقدم جانبا من تلك المناقشة التي دارت بين كاتب هذه الدراسة وبين الجراح الذي قابلته أول مرة ، ودون سابق معرفة ، وبناء على توصية من لجنة جراحة القلب المصرية (إذ أنه اختير ليجرى لى جراحة القلب المفتوح) .. والجراح هو الدكتور محمد ذهني فراج (٤١ سنة) الذي يعمل مستشارا لجراحة القلب بمستشفى وستمنستر الجامعي بلندن .

سألته قبل اجراء العملية عن مدى استفادة مريض القلب بمثل هذا النوع من الجراحة ، فابتسم وأجاب : إن ذلك يتوقف على مدى سلامة عضلة القلب الأساسية .. فمثلها كموتور السيارة مع توصيلات البنزين (يقصد طبعا بتوصيلات البنزين الشرايين التاجية التي تغذي العضلة) .. فما دام الموتور سليما ، أو في حالة معقولة ومناسبة ، فلاشك أن مشكلته تكمن في عدم سريان الوقود الكافي اليه ، وعندئذ تصبح السيارة بطيئة الحركة .. أبدل التوصيلات المسدودة ، بأخرى مفتوحة ، تجد الموتور يشتغل ويحس السائق أن السيارة تنطلق بكفاءة .. لكن اذا كان الموتور ذاته ليس على مايرام ، فما يفيده البنزين ؟

إن هذه المحادثة تعني أن الخطأ يكمن في إهمال مرضى القلب لقلوبهم ، مما يؤدي الى إنهاك العضلة الأساسية ، ونقص كفاءتها التدريجية ، نتيجة لتليف جزء من وراء جزء ، بسبب عدم سريان الدم اليها ، ومحصلة هذا التلف على مر السنين هو عجز الجسم عن الحركة ، نتيجة لعجز القلب عن الضخ .. قارن ذلك بحالة البنزين وموتور السيارة .. تخرج بنفس النتيجة .

« اطمئن .. سوف تستفيد من البنزين ، لأن الموتور سليم » .. قالها وهو يربت على كتفي ، وأدركت المعنى ، فعضلة القلب عندي سليمة أو تكاد ، لكن العيب في انسداد ثلاثة شرايين .. ولقد استفدت ــ والحمد لله ــ من « العمرة » التي تمت بزرع ثلاثة أوردة سليمة بدلاً من المسدودة !

لكننا لا نسوق هذه المناقشة من قبيل تحصيل الحاصل ، بل هي نوع من الترشيد لذوي القلوب المريضة حتى يتقوا الله في قلوبهم فلا يجهدوها ، الى أن يأذن الله لهم بالفرج ، فيستفيدون من « العمرة » التي استفاد منها مئات الألوف في شرايينهم ، وعادوا لممارسة حياتهم العادية .

وأخيراً .. فقد يطرأ على الذهن هنا تساؤل : ما سبب حدوث هذه الجلطات المفاجئة ، وهل يمكن تجنبها ؟ .. إن هذا السؤال كبير ، وسوف نؤجل الاجابة عليه لدراسة قادمة ، فلعل فيها ترشيداً وفائدة .

لكن لا يفوتنا ــ في نهاية هذه الدراسة ــ أن نشكر الله على ما أفاء من نعمة الشفاء ، وأن ننوه بما يحققه الدكتور ذهني فراج من انجازات عظيمة في هذا المجال ، وهو ــ بلاشك ــ وجه مشرف لأمته العربية ، فلقد استطاع أن يشق طريقه بالجهد والمثابرة والتحصيل ، حتي أثبت وجوده عن جدارة ، وهو لم يتخط من العمر الثلاثين ، فكان أن منحته جامعة أدنبرة زمالة كلية الجراحين الملكية ، ثم حصل على نفس الزمالة من جامعة لندن وعمره بالكاد ٣١ عاما !

لكن ما أسعد المريض الذي يتقابل وجهاً لوجه مع الجراح الذي انتشله من أزمته ، ثم يتحدثان بلغة مشتركة ، ويتطلعان الى آمال مشتركة .. ولا أنسى بسمته وقوله عندما رآني أتحرك بعد العملية في حجرتي بثلاثة أيام .. « ما شاء الله ، اليوم أنت زي الفل » .. فينشرح الصدر ، وتطمئن النفس .. ولاشك أن العامل النفسي يساعد على سرعة الشفاء ، وقد كان ، اذ عدت إلى أرض الوطن بعد أسبوعين من اجراء الجراحة ، رغم أنه من المفروض أن يبقى المريض شهراً .. لكنها رعاية الله ، واستجابة المريض ، ومهارة الجراح ، « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » صدق الله العظيم .

عبدالمحسن صالح

شكل (٥) أدق مراحل العملية : مرحلة زرع الأوردة ، وفي الصورة تظهر بعض أيدي الفريق الجراحي ، وقد بدأ كبيرهم زرع الوريد (الى اليسار) في الأورطي ، بينما تعاونه مساعدة في ذلك

قصّة المِجْهَر

"الميكروسكوب" وفضله على العلم والطب والبشرية



رونالد دوس

باستير



بقلم: الدكتور عزالدين فراج

بدأت قصة اختراع المجهر «الميكروسكوب» منذ أكثر من ثلاثمائة عام، وذلك في بلاد هولندا، حيث كان أهلها يتقنون صناعة العدسات. وكان في طليعة هؤلاء «هانزيانس».

قام «هانز» بوضع عدسة في منظار، وراح يفحص بها البراغيث، فرأى البرغوث مكبراً. فعجب مما رأى، وأخبر الناس به، فجاءوا مسرعين الى منظار البراغيث، مدفوعين بحب الاستطلاع.

وجاء «فان لوفينهوك» واستطاع أن يصنع أول مجهر صغير عام ١٦٧٠، وفحص شعيرات صوف الماعز، فبدت له كأنها خيوط خشبية. ثم قام بفحص قطرات من ماء المطر فوجدها صافية تماماً... وترك ماء المطر على النافذة وأعاد فحصه، فوجده مملوءاً بكائنات حية غاية في الصغر، تتحرك في هذا الماء. وكتب (فان لوفينهوك) الى الجمعية الملكية البريطانية، يصف لها كشفه الجديد، فطالبته هذه الجمعية باستمرار العمل في هذا المجال.

والمجهر في أبسط أنواعه يعتمد على عدستين محدبتين. أولاهما أكثر تحدباً من الثانية، تسمى العدسة الأولى (العدسة الشيئية) وهذه العدسة القريبة من الشيء المراد فحصه، وهي تكون صورة مكبرة ومقلوبة للجسم الدقيق الموضوع في المجهر والمراد مشاهدته. وتسمى العدسة الثانية «بالعدسة العينية».

لقد استطاع العلماء بالمجهر وعدساته أن يشاهدوا عالماً جديداً من كائنات غاية في الصغر، كان من الصعب أن يشاهدوها بالعين العادية.

ولولا المجهر وقدرته على تكبير هذه الميكروبات الخطرة والضارة لما استطعنا أن نحمي أنفسنا من أخطارها.

وبفضل المجهر «الميكروسكوب» عرف باستير وأعوانه أنواعاً كثيرة من الكائنات الحية الدقيقة التي لا ترى بالعين العادية. راقبوا تحركاتها وأطوارها وأضرارها ومواضع وجودها وطرق تكاثرها ووسائل انتقالها. وكانت هذه الدراسات طريقاً إلى درء أضرارها وأخطارها.

روبرت كوخ وميكروب الكوليرا

دخل «روبرت كوخ». ذات ليلة على زوجته، وقد غابت الابتسامة عن وجهه وهو يقول:

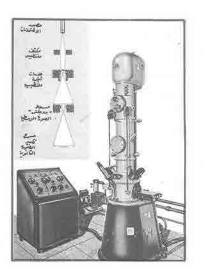
لقد غدوت أمقت عملي الطبي، فهأنذا أرى كل يوم أطفالاً يموتون بين يدي.. وأرى أمهات يأتين إلي باكيات راجيات أن أنقذ أطفالهن وأولادهن من شبح الموت الذي كان يخيم حولهن.. في مقدوري أن أقدم لهؤلاء الأمهات الارشادات والتوجيهات، وأكتب لهن دواء يوقظ فيهن الأمل في شفاء فلذات أكبادهن.. كنت أشعر عندما أفعل ذلك بأنني أتقاضى أجراً على أمل أمنحه لمرضاي، فتقول له زوجته:

وما ذنبك أنت؟

فيقاطعها روبرت كوخ بقوله:

لابد من عمل بحث دقيق... لابد من عمل علمي كبير، لكي أكشف عن موطن العلة ومنبع الداء. إذا أردت علاج هؤلاء المرضى علاجاً أطمئن إليه من أعماق قلبي.

وفي عيد ميلاد روبرت كوخ الثامن والعشرين دخلت عليه زوجته تحمل بين يديها هدية.. وهي لاتدري أنها بهديتها هذه قد خلقت له مجالاً مليئاً بالمغامرات. وهي لاتدري أيضا أنها فتحت أمامه آفاقاً جديدة لخدمة البشر والبشرية، وهي لا تدري أنها بهذه الهدية جعلته يفكر في أن يترك طريق الفحص التقليدي للمرضى، ويبحث عن الأسباب الحقيقية المسببة للمرض.



مجهر الكتروني مبكر

كانت هذه الهدية مجهراً .. والمجهر للطبيب الباحث كالمدفع في يد الجندي . به بدأ يغزو عالم الكائنات الدقيقة المسببة للأمراض .

وفي عام ١٨٨٣ فرت الكوليرا من مخابئها في الهند إلى وادي النيل بحالة وبائية مخيفة أيقظت أوربا في خوف بالغ . فقرر « روبرت كوخ » أن يأتي إلى وادي النيل بحثاً وراء ميكروب الكوليرا الذي يفتك بالبشرية من غير رحمة أو هوادة .

قال له أهله :

نخشى عليك يا روبرت من هذا العدو المجهول الذي لا نعرف له شكلا ولأين يختبئ . فأجابهم على الفور : لابد من الرحيل .. إما أن يختطفني هذا المرض أو أكشف عن حقيقته وكيانه وسببه . وجاء روبرت كوخ إلى القاهرة وكان وباء الكوليرا قد بلغ مداه . واندفع في هذا الجو الخطر ، يبحث عن ضالته المنشودة ليلاً ونهاراً ، ومن غير انقطاع .

وسافر بعد ذلك إلى كلكتا بالهند ، وهناك كشف ميكروب الكوليرا ، وأثبت أنه ميكروب واوي الشكل لا يتكاثر إلا في أمعاء الانسان والماء الراكد القذر . وشرح خواص الميكروب ووسائل الوقاية منه .

المجهر وكشف طريق انتقال عدوى الملاريا إلى السليم

وجاء سؤال كان يشغل اهتمام الأطباء وقتئذ يقول :

« كيف ينتقل الطفيل المسبب للملاريا إلى دم السليم ويسبب العدوى ؟ » .

تقدم الدكتور « رونالد روس » للاجابة على هذا السؤال . فانتقل الى الهند حيث كان يموت الملايين بالملاريا كل عام . وكان « روس » يرى آلاف المرضى يموتون ويتساقطون حوله كالذباب .

أخذ « روس » يواصل البحث لكي يصل إلى الطريقة التي ينتقل بها الطفيل وينتشر بها المرض ، ولم يكن يملك من أدوات البحث سوى مجهر صغير . ولكن كان يحمل بين جنبيه عزيمة قوية وإرادة صلبة .

وظل « روس » يتابع تشريح البعوض دون ملل . وفي يوم ٣١ أغسطس ١٨٧٨ شاهد بعوضة من صنف لم يره من قبل . فأمسكها وفحصها ، فوجدها من فصيلة تعرف « بالانوفيليس » . وهذه الكلمة معناها المؤذي أو الضار . وأخذ « روس » يعمل على تشريح هذا البعوض الجديد . الواحدة بعد الأخرى . حتى اهتدى الى طفيل الملاريا في أنسجة هذا البعوض .

وأخذ الدكتور « روس » يتعقب حياة هذا الطفيل المسبب لمرض الملاريا بمجهره خطوة بعد خطوة . من معدة هذا البعوض حتى فمه ولعابه فعرف الطريق الصحيح لانتقال عدوى هذا المرض .

وعلى ضوء هذه النتيجة العلمية ، رسم العلم طريق الوقاية من طفيل المسبب للملاريا والذي يحمله بعوض الانوفليس ، كان هذا كله بفضل المجهر « الميكروسكوب » الذي أضاء الطريق أمام هؤلاء العلماء .

وبهذه المجاهر « الميكروسكوبات » غزا العلم عالم الميكروبات وحاصرها وأخضعها لارادته ولخير الانسانية .

المجهر الالكتروني

واستمر التحسين في المجاهر « الميكروسكوبات » حتى اخترع الميكروسكوب الالكتروني الذي يقوم على فكرة استخدام أشعة من الالكترونات ، بدلاً من استخدام الأشعة الضوئية ، لتوضيح الأشياء الدقيقة جداً واضاءتها أمام العين وقد بلغت قوة تمييز هذا المجهر أزيد من أحسن مجهر ضوئي بخمس مرات .

وتمكن العلماء في عام ١٩٤١ من استخدام المجهر الالكتروني في تصوير فيروس الانفلونزا لأول مرة .

وتقوم فكرة المجهر الالكتروني على حقيقة مؤداها أن الالكترونات موجاتها أقصر بكثير من الموجات الضوئية مما يزيد في قوتها زيادة كبيرة ، ومعنى هذا أن استخدامها يؤدي إلى اظهار المزيد من الجزيئات الصغيرة جداً في الكائنات الحية المتناهية الصغر بل وفي الجوامد أيضاً . أما « العدسات » فهي مكثفات أو ملفات تعمل عمل العدسة الشيئية وعمل جهاز ضبط البؤرة ، أما العدسة العينية فهناك شاشة وهاجة تقوم مقامها .

هذه هي الطريقة التي يسلكها شعاع الكتروني صادر من مهبط متوهج ليكبر أشياء متناهية الصغر . هكذا يكبر جرثومة موضوعة على شريحة . عندما تلقى الالكترونات الأجزاء الصلبة نسبياً من الجرثومة تتوقف عندها . أما الأجزاء اللينة فانها تجتازها وتصل إلى الشاشة الوهاجة أو سطح لوح حساس للتصوير الفوتوغرافي . ولما كانت الالكترونات لا تتحرك إلا في وسط مفرغ من الهواء ، وتعجز عن اختراق الزجاج . فلابد أن يخلو طريقها من الهواء ومن الزجاج .

وقد تعددت أشكال المجاهر الالكترونية وتطورت وتنوعت ودخلت قطاع البحث العلمي في ميادين العلوم الطبيعية والكيماوية وفي العلوم الطبية وميادين الصناعات المختلفة .

المجهر والبحث العلمي والبحث عن الجناة

ولا يقف فضل المجهر « الميكروسكوب » عن فضله في مجال الطب وفروعه ، بل هو سلاح للباحث والعالم في كل المجالات ، حتى أننا نستطيع أن نتعرف بفضل المجاهر « الميكروسكوبات » فيما وصلنا اليه من حقائق علمية وما أدت اليه هذه الحقائق من اختراعات .

وللمجهر فضل مشهود في مجال البحث عن الجريمة ومرتكبيها ، فبفضله عرفنا الجناة بفحص بقع دمائهم وبصماتهم وبقايا شعورهم وكل ما تركوه في مكان الجريمة حتى أن الجناة يعملون له كل حساب قبل أن يفكروا في ارتكاب جرائمهم والاقلاع عنها

لهذا كله فالمجهر للباحث والعالم خير صديق ، وهو في يده كالقلم في يد الكاتب وكالسلاح في يد الجندي .

بقلم: جمال قطب

فتنة الربيع

في استعراضاتنا المتتالية لمدارس الفن العالمي من خلال إبداعات الفنانين العظام، رأينا أن القرن التاسع عشر كان أكثر فترات التاريخ ازدحاما بتحولات المسار الفنى وظهور المدارس والتغيرات الجديدة المتعاقبة. وما إن حل النصف الثانى من ذلك القرن حتى وجدنا سيلا من النزعات المستحدثة: التأثيرية ومابعدها من الأساليب التعبيرية والرمزية والمستقبلية والوحشية.. ثم ظهرت مع مطلع القرن العشرين الأساليب ذات الطابع الخاص، أو بمعنى آخر، طغت شخصية الفنان وعالمه الخاص على حركة الابداع. وبذلك بدأت مرحلة (الفن للفنان): وتوالت عوالم التكعيب والتجريد والسيريالية ومتاهات ماوراء الطبيعة واللاشعور والأحلام وغيرها من الأبحاث الذاتية الغارقة في الفردية..

وقد يظن أن هذه الاجتهادات والتسابق الفردى اللاهث كانت هى طابع المناهج الفنية عند جميع الفنانين في مختلف أنحاء المعمورة... وهذه فكرة خاطئة ـ وإن كانت ترسخ في أذهان الكثير من الفنانين ذوي الثقافات المحدودة ـ لأن أى بحث في أى فرع من فروع المعرفة يحمل بصمات صاحبه. يدخل في تاريخ الفكر الانسانى. ولكن ليس بالضرورة أن يفرضه على غيره ممن يعنون بنفس اهتمامه.. فمدارس الفن كلها ـ قديمها وحديثها ـ تسير في خطوط متوازية. وتكون بمثابة روافد لنهر الابداع الكبير.. ولكل فنان حقه في حرية إختيار أسلوبه ومنهجه الذى يحسه ويرتضيه لنفسه.. وليس في الفن قديم أو حديث أو متخلف أو متطور، طالما كان تعبيرا مخلصا جادا معالجا بتقنيات فنية واعية مدروسة.. لأن الصراعات في هذه النزعات المستحدثة ماهى إلا اجتهادات في طريقة الأداء (التكنيك). أما المضمون الذى تحتوى عليه الفنون. فهو ذات الفنان وثقافته وتأثراته ونفسيته وفلسفته ورؤيته الخاصة.. يعبر بها بأى أسلوب وبأية طريقة دون افتعال أو تصنع أو تقليد. وحينئذ يكون إنتاجه فنا خالصا ليس في ذلك شك..

ومما حدا بى إلى أن أسوق هذه التقدمة، أننا بصدد الحديث عن فنان من ألمع فنانى التاريخ وأكثرهم نصيباً من الشهرة والتألق.. ومع ذلك، وبالرغم من أنه عاش فترة التحولات الخطيرة في النصف الثاني من القرن الماضى وأوائل القرن العشرين، إلا أنه لم ينزع إلى أى من المدارس الفنية المستحدثة التى توالى ظهورها في تلك الفترة الخطيرة.

إنه الفنان، هولندي الأصل، بريطانى الثقافة والابداع والانتساب العضوى حتى أصبح يمثل الفن الفيكتوري البريطانى في القرن التاسع عشر أروع تمثيل، إنه لورانس ألما تاديما.

ويذكر قراؤنا أننا عندما استعرضنا سويا روائع الفنانين الانجليز على هذه الصفحات من قبل. قلنا إن الفن البريطانى ـ بصفة عامة ـ كان ملتزما كطبيعة الانجليز أنفسهم.. وليس من اليسير أن يقتفى هذا الفن أثر النزعات الحديثة التى كانت تتمركز في فرنسا آنذاك دون أن ينبع التجديد من داخل الفنانين أنفسهم، ولذلك رأينا لورانس ألما تاديما، اسمه الهولندى الأصلى ألما تاديما. وقد أضاف إليه اسم لورانس عرفانا بفضل الوطن البريطانى الجديد» رأيناه ملتزما أشد الالتزام بأسلوبه الواقعى الطبيعى دون أى شطط أو لجوء إلى المعالجات التأثيرية أو التجريدية أو غيرها.. بل إنه أقرب إلى الكلاسيكيات الجادة الرصينة وجماليات الفنون الاغريقية الرشيقة، بل أضاف إليها رقة ودقة وتأنيا في رسم التفاصيل والدقائق المذهلة.. ومن شدة ولعه برسم المسطحات الرخامية الملساء بواقعية معجزة، أطلق عليه اسم Marble Artist

ولكن مايميز فناننا من بين عباقرة الفنانين الكبار، هو ميله إلى دراسة قصص التاريخ القديم، وبخاصة حياة الاغريق والرومان والفراعنة.. حتى انه في عام ١٨٦٣، حصل على الجائزة العالمية (الميدالية الذهبية) عن أحد معارضه الخاصة التى عرض فيها خمسا وعشرين لوحة تمثل الحياة الفرعونية.. ومازالت هذه الروائع تعتبر مرجعاً فنيا تاريخيا لتجسيد الواقع الفرعونى في أروع صورة عرفها تاريخ الفن الحديث. وعندما سئل الفنان عن سبب شغفه بالجمال الفرعونى وتسجيل الحضارة الفرعونية: كانت إجابته الشهيرة: «إن أول مايلقن للطفل في دراسته عن الحضارات الأولى هو الحضارة المصرية القديمة. بل إننا كلما درسنا منابع العلم أو الفن، وجدنا أن هذه المنابع ماهى إلا روافد لنهر النيل العظيم حيث ظهرت الحضارة الفرعونية كمنارة لحضارات العالم الأخرى!»:

وتوالت إبداعات تاديما عن فنون الحضارات القديمة، وتألق اسمه كفنان عالمى يعيش في العصر الحديث بعد أن تلاشت إبداعات العمالقة في عصور النهضات الفنية التاريخية الكبرى، وحصل على الجائزة الذهبية الكبرى مرات عديدة كان أولها عن معرضه الفرعوني في عام ١٨٦٣. وآخرها في أوائل هذا القرن عام ١٩٠٦..

ولاغرو أن استأثر لورانس ألما تاديما بمتحف لأعماله يحمل اسمه الشهير في قلب العاصمة البريطانية.. ويعتبر متحفه هذا مزاراً فنياً عالمياً بجانب المتاحف الكبرى التى تحوي آيات العبقرية الانسانية عبر عصور التاريخ.

وعلى الصفحة المقابلة.. لنتأمل سويا ملامح فنه الرومانسي الرائع الجميل.. ولنتمثل في أذهاننا جماليات الفن التشكيلى.. التى هى أولا وأخيرا لمسة حانية متألقة في وجدان البشرية!

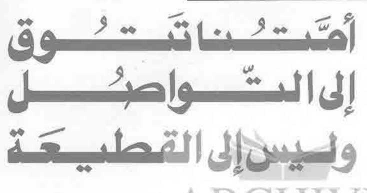


تنشر الدوحة هنا الكلمة البديعة والقيمة التى ألقاها الأديب العربى الكبير الطيب صالح فى مهرجان التليفزيون العربى الذي أقيم فى تونس فى الشهر الماضى ، وقد فازت قطر فى هذا المهرجان بجائزتين عن المسلسل التليفزيونى « الدالوب » وعن مسرحية العرائس من « كليلة ودمنة » .

وقد كان الطيب صالح رئيسا للجنة التحكيم فى المهرجان التى تكونت من الفنانة الكويتية سعاد عبد الله والناقد التونسى صالح الحاجة ، والأستاذ رياض نعسان أغا :

الطّيّب صـالح :

أمّتنا تتوق إلى التّواصل وليس إلى القطيعة





أما بعد فإن الواجب الذي كلفنا به اخواننا في اتحاد اذاعات الدول العربية كان واجبا جسيما ، إذ من ذا الذي يرضى طواعية واختيارا أن يتولى مسؤولية الحكم ، أقصد الحكم فى المسابقات ، وقد أسمونا المحكمين . وفي رواية : المحكمون . يعني الحكام . ورغم أن الحكم الذي آل الينا ليس فيه حكم بالغرامة أو بالحبس أو بدفع الضرائب أو... وهذا يحدث في حالات نادرة بالطبع ، الحكم بالاعدام . أقول رغم ذلك فهو حكم على كل حال .

ثم نجمت مشكلة أخـرى . هؤلاء الجماعة ، الأخت والاخوة في لجنة الحكام ، عقدوا أمرهم بليل وتواطأوا بعضهم مع بعض على أن يجعلونى رئيسا لهم ، « ياسبحان الله » . يا جماعة هذا « ما يصير » .. يا جماعة انني لا أملك أية مؤهلات للحكم ، ناهيك أن أكون رئيسا للحكام . وهكذا صرت حاكما بلا قانون .

نحن من أطراف العالم العربى ، وأنتم القلب ، أنتم مراكز الاشعاع . ونحن وإياكم كما كان بين المهاجرين والأنصار حين قالوا لهم : « منكم الوزراء ومنا الأمراء » .

وهكذا مضت أحوالنا من « مملكة سنار » نخط في سطور التاريخ العربى على استحياء ، ونهمس في آذان اخواننا في مشرق العالم العربى



لقطة من مسلسل « الدالوب » الذى صور فى قرية « المفير »



ومغربه همسا لا يكاد يبين . بعد كل عشرة أو عشرين عاما تقوم عندنا ثورة : «هكة صغيرة وزوبنة» كما يقول اخواننا التونسيون ، يقتل فيها الرجل والرجلان والعشرة لا أكثر ، ثم نعود لسيرتنا الأولى .

نسارع بذراعنا وقدحنا ، كما نقول بلهجتنا ، في أفراح الأمة العربية وأتراحها من بعيد لبعيد . وقد قال شاعرنا : العاقل من يأخذ منها ما تعطيه على استحياء : لعله يقصد الأمة العربية ، والغافل من ظن الأشياء هي الأشياء .

أما أن نكون زعماء ورؤساء .. أعوذ بالله .

مرة واحدة خرج أحد حكامنا في العهود المتأخرة أيام دولة المهدية — عن طوره فكتب الكتب وأرسل الوفود الى الملوك والرؤساء العرب يدعوهم الى بيعته ، حتى الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا العظمى تلقت كتابا من الخليفة عبد الله التعايشي يدعوها الى الاسلام والبيعة ، فتحفظ بذلك دمها ومالها ، وطبعا لم تكترث به الملكة فكتوريا ، ولا اكترث به الملوك والرؤساء .

طبعا توجد شواذ لهذه القاعدة مثل الدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، إنما الدكتور محيي الدين هذا نسيج وحده . ولا كل من لبس العمامة يزينها ولا كل من ركب الحصان خيال ، ولا كل سوداني محيي الدين صابر .

هذا وثمة سر لابد أن أبوح به : الأمانة تقتضي أن أبوح به . ذلك أن اخواننا في اتحاد اذاعات الدول العربية حين جاءوا بي الى هذا المهرجان لعلهم كانوا يقصدون شخصا آخر . البعض منكم يعلم بحكم دواعي المهن ، على الأقل : أن ثمة شخصا ما من السودان يعمل في حقل الاعلام وهو الآن موظف في منظمة اليونسكو ، ذاكم ، هو أنا ، ويوجد شخص آخر يكتب والله أعلم ، الروايات أو الشعر .

أذكر أنني كنت في لندن حين كتب الناقد المصري الكبير رجاء النقاش مقالة عن هذا الكاتب ، وقابلني انسان لطيف يعرفني ، أو هكذا خيل لي ، قال لي : هل أنت صالح أبو الطيب ؟ قلت لا والله ، أنا الطيب صالح ، ولكن لماذا ؟ قال لي : قرأت في «المصور» مقالة عن شاعر سوداني اسمه صالح أبو الطيب صدر له ديوان شعر عنوانه : «هجرة الجنوب الى الشمال» .. أو شيء من هذا القبيل .

لذلك أرجو ألا يكون اخواننا في اتحاد اذاعات الدول العربية قد أرادوا صالح أبو الطيب ، فجاءهم الطيب صالح وحينئذ يكون حالي وأنا أقف بينكم الآن كحال المرأة البدينة في برنامج شهير في التليفزيون البريطاني . هذه السيدة ليس لها أي دور ، ولا تظهر في البرنامج اطلاقا ، ولكنها في نهاية البرنامج تظهر فجأة وتبعد كل الممثلين والممثلات



الفنانة الكبيرة سعاد عبدالله

وتتلقى هي تحية الجمهور .

ان الواجب الذي كلفنا به اخواننا في اتحاد اذاعات الدول العربية كان واجبا جسيما ، لكن سرنا ما لقينا من اخواننا في الاتحاد واخواننا في مبنى الاذاعة والتلفزة التونسية الذين هيأوا لنا المناخ المناسب للمشاهدة .

وسوف يسعدنا أكثر ويجعل لمهمتنا مغزى ومعنى أن تتقبلوا أحكامنا بصدر رحب ، وبروح رياضية . ولا حاجة بي الى التأكيد أننا توصلنا الى النتائج التي توصلنا إليها حسب اجتهاداتنا بموضوعية كاملة دون أغراض أو هوى .

ما هو الهدف أصلا ؟

ليس الهدف كما أتصور أن يفوز التليفزيون الفلاني بالجائزة الفلانية ، هذا حسن في حد ذاته ، ولكن الأحسن منه هو أن يتكون مع مرور الزمن من هذه الملتقيات حس عربي متجانس ووعي مهني يحسن استغلال هذه الوسيلة الاتصالية الخطيرة في خدمة المثل العليا والأهداف الكبرى للأمة العربية .

هذه الأمة من الواضح جدا أنها تتوق الى التواصل وليس الى القطيعة ، الى التجمع وليس الى الشتات ، الى التعاطف والتراحم وليس الى البغضاء واثارة المحن والأحقاد ، الى النهوض والعمل وتنسم هواء الحرية الطلق ، الذي دعا إليه شاعر تونس العبقري أبو القاسم الشابي :

«ومن يتهيب صعود الجبال
يعش ابد الدهر بين الحفر»

ويسعدني أن أقول اننا وجدنا في كل ما شاهدناه من أعمال دون استثناء هذه الدعوة الى الخير ، ولقد أحزننا غياب بعض التليفزيونات العربية في هذا المهرجان ، لبنان مثلا للظروف المؤلمة التي نعرفها جميعا . واسمحوا لي أن أحيي لبنان في شخص ممثلته سميرة بارودي التي أضفت عليه روحا وسيمة بحضورها .

واسمحوا لي أن أحيي لبنان في شخص المخرج انطوان ريمي الذي تشرفت بالعمل معه في هذه اللجنة ، واننا واثقون ان لبنان الذي أخرج جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وفيروز سوف يقوم من عثرته ، ويعيد اكتشاف طريقه المضيء على قمم جباله الشماء ، ان كلمات المحبة والعطاء والاخاء والتسامح كلمات اكتسبت عمقا جديدا في لغتنا المعاصرة بفضل لبنان ، وأحرى باللبنانيين الا يحرموا أنفسهم مما أعطوه لغيرهم .

كذلك فإننا للأسف لم نشاهد أعمالا من اليمن شمالا وجنوبا ولا من السودان ولا من الصومال ولا من موريتانيا ، ولا شك أن لدى هؤلاء الاخوة ما يستحق أن يشاهد .

سيداتي وسادتي : بعض الأعمال التي شاهدناها كان النص فيها بمثابة شخص نحيل ، يرتدي ثوبا فضفاضا ، وقد أحزننا أحيانا أن نجد قدرات هائلة في التمثيل والتقنيات المساعدة تذهب هدرا لأن النص لم يرق الى مستواها .

أيها الجمع الكريم أرجو أن تسمحوا لي قبل اعلان النتائج أن أحيي باسم لجنة التحكيم وباسمكم جميعا ولا شك فنانة ذات موهبة كبيرة أضفت على هذا المهرجان من روحها وألقها وروائها حيوية ولطفا ، وطوال وجودها في هذا المهرجان كانت تستقبل اعجاب المعجبين والمعجبات بفنها بتواضع ، ورغم كل ما قدمت من أعمال متميزة فهي ما تزال تنتظر العمل الذي يتسع لموهبتها الكبيرة .. إنها سعاد عبد الله .

وقد كان بودي أن أحيي أصدقاء عزيزين في هذا الجمع لولا ضيق الوقت مثل أستاذنا وإمامنا حجة عصره في فنون الاعلام والاتصال سعد لبيب ، ومثل أخينا حسين العويدات الذي يجمع الى العلم روح الفكاهة ويصدق فيه قول الحسن بن هانئ ، وليس أبي الطيب أحمد بن الحسين :

وحديث لذات معلل صاحب
تقتات منه فكاهة ومزاحة

لقد صحبته في بنغازي ، ودمشق فكان نعم الرفيق ، وهو الى جانب مواهبه المتعددة خير من يصوغ القرارات والبيانات الختامية وبوسعه أن يصوغ القرارات لأي اجتماع قبل أن يبدأ .

وأخيرا بهذا أعلن أن الحكومة التي تشرفت برئاستها ولم تدم مدة حكمها الا بضعة أيام قد أنهت مهامها ، وأعلن لكم استقالتها .

ونحن كسائر الحكومات لابد أننا أرضينا بعض الناس وأسخطنا بعض الناس ، لكننا لم نفعل هذا عن عمد ، إنما المهم هو أننا نسير الى الأمام ، التليفزيون العربي مثل الأمة العربية قد وجد الطريق الصحيح وهو سائر عليه ، ولابد أن نبلغ الهدف ، والله سبحانه وتعالى يثبت أقدامنا على طريق الخير والحق والعدل .

على طريق النهضة في قطر

أقدم خريطة للبحار السبعة

بقلم: درويش مصطفى الفار

أهل هذه البلاد ، بدواً وحضراً ، جزء أصيل من الأمة العربية الاسلامية منذ أن وصلتهم نعمة الرسالة الخالدة ، في ركاب الصحابي الجليل ، العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ، سنة ست (أو ثمان) بعد هجرة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وكان ملكهم حينذاك ، المنذر بن ساوى ، من بني تميم ، أسلم وحسن إسلامه ودعا القوم فتركوا عبادة النار والأوثان والخيل وكل طقوس الأديان التي سبقت الاسلام ....

وردة الرياح كما وردت في خارطة بيري رايس للساحل الأمريكي

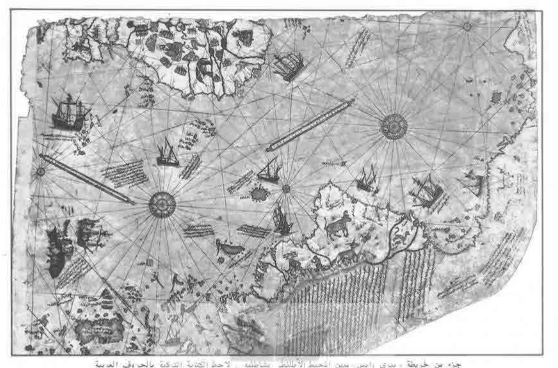
ومنذ فجر التاريخ ، صاغت مشقات حياة البحر ، نقلا للتجارة ، وصيداً للسمك وغوصاً على اللؤلؤ ، وصعوبات حياة الصحراء ، جرياً وراء الكلأ ، واجتيازاً بالقوافل دروب الجزيرة العربية على سعتها ، وأطرافها للتجارة ، قبل الاسلام وبعده ، فاكتسبوا تهذيب الطباع وحسن المعشر والوداعة ، والانتماء بالوفاء للعروبة والاسلام والأسرة الإنسانية قاطبة ...

ومن هنا نجد الدولة في قطر ، تجسيداً لهذه الطباع ، لا تألو جهدا ، ولا تدخر وسعا ، في مضمار تنمية علاقاتها الحضارية البناءة ، مع مختلف شعوب الأرض وخاصة الجماعة العربية والاسلامية ...

فكانت زيارة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر للجمهورية التركية في ربيع سنة ١٩٨٥ ، تدعيما لتلك الفلسفة ، وإحياء للعلاقات الأخوية بين شعبين مسلمين ، على طريق النهضة والأخذ بالأسباب لإقالة شيء من عثار هذه الأمة .

وعقب تلك الزيارة الكريمة ، أهدت السفارة التركية بالدوحة — مشكورة — مجموعة من المؤلفات العلمية القيمة ، الى مكتبة متحف قطر الوطني ...

وكان من بين ما أهدى ، رقعة من خريطة للعالم ، رسمها ضابط بحار تركي سنة



جزء من خريطة « بيري رايس » يبين المحيط الأطلنطي بشاطئيه . لاحظ الكتابة التركية بالحروف العربية

١٥١٣م ، تشتمل على منطقة المحيط الأطلنطي بشاطئيه ، الأفريقي الأوروبي ، والأمريكي ، مرسومة بطريقة علمية . أجمع الباحثون والمدققون في وثائق التاريخ ، على أنها ، غير مسبوقة . وأنها تمتاز عن كل ماسبقها بالدقة المتناهية وصحة القياسات . وأن ذلك البحار التركي المسلم الشاب ، محيي الدين بيرى بن الحاج محمد . والذى اشتهر فيما بعد باسم (بيرى رايس) كان بلا منازع ، أبرع أهل زمانه في رسم الخرائط..

ولد محيي الدين بيرى رايس بن الحاج محمد في (غاليبولى) فيما بين سنة ١٤٦٥ و سنة ١٤٧٠ ...

وأهل غاليبولو ، التي يسميها الأوروبيون (غاليبولى) إثر هزيمة الحلفاء المنكرة فيها في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) يتشأون في الماء كالتماسيح ، مهودهم السفن والقوارب . لاينام الطفل منهم إلا بعد أن يشهد هذه الأمواج وتملأ أذنيه بأنغامها ، فلا غرابة أن يكون منهم بحار يرسم أول خريطة دقيقة للعالم..

التحق محيي الدين بالعمل البحرى مع خاله (كمال رايس) فأخذ اسمه بعد أن ثبتت جدارته . وكان التحاقه وهو في سن الثانية عشرة . وظل يعمل تحت إمرة خاله القائد البطل زهاء أربعة عشر عاما متصلة ، جاب فيها كل المعروف من الطرق البحرية في زمانه ، وألف كتابه عن (البحرية) ورسم خريطة العالم من حصيلة أعماله الشخصية في التخريط ، وماجمعه من أعمال من سبقه من مشاهير رواد البحار السبعة ..

ولعل ظهور رجل مثل (بيرى رايس) دليل لكل ذى عقل ولب ، على أن الدولة العثمانية لم تكن مجرد دولة سيف وحرب وغزو ، بل انها بكل تأكيد كانت دولة حضارة ، تأخذ بالأسباب ، وتقدر العلم حق قدره ، وتشجع المعرفة ، وتتيح الفرصة لكل إنجاز علمي أو تقني أو فني ، حتى اذا اعتراها مايعترى الدول والامبراطوريات من شيخوخة وهرم ومؤامرات ، انتهت ... فنحن نعلم أن الدولة العثمانية قامت لتحمل لواء المسلمين على أثر ما أصاب دولة السلاجقة من تدهور ، وأنها خلال ستة قرون من الزمان مرت في أربعة أطوار ، لكل طور مايميزه..

الأول : طور الانشاء والتكوين فيما بين سنة ١٢٩٩ ، ١٤٥٣م ، وهو عام فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح رحمه الله رحمة واسعة ..

الثانى : طور النمو والازدهار فيما بين سنة ١٤٥٣ ، عام فتح استانبول ، ١٥٧٩ وفي غضون هذا الطور ظهر (بيرى رايس) صاحب أول خريطة (صحيحة) للعالم ببحاره السبعة ، بما فيها المحيط الأطلنطي (بحر الظلمات) بشاطئيه ...

الثالث : طور الاضمحلال والترهل ، بسبب الترف والإفساد والنزاعات الداخلية والمؤامرات الخارجية والانكماش الفكرى ، فيما بين سنة ١٥٧٩ ، ١٧٩٢ ...

الرابع : طور التحلل والنهاية ، فيما بين سنة ١٧٩٢ ، ١٩٢٠ ...

والذى يدلك على روعة الطور الثانى ، طور الازدهار ، أن بيرى رايس أهدى خريطته عندما فرغ من إنجازها الى رأس الدولة ، سلطان البرّين وخاقان البحرين ، السلطان سليم سنة ١٥١٧ ، كما أهدى مؤلفه الموسوعى (البحرية) الجامع لعلوم البحار وفنون الملاحة ، الى السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٢٨ ، ولاقى من كل منهما كل مايلقاه العلماء الممتازون من الحكام المستنيرين العظماء ، على مر التاريخ ، من تبجيل وتقدير واحترام...

ويرجع الفضل في اكتشاف خريطة بيرى رايس سنة ١٩٢٩ الى الأستاذ خليل ايلديم ، مدير المتاحف الأثرية بتركيا ، عندما كلفته حكومة الجمهورية بتحويل (قصر توبكابو) الى متحف..

وتصادف وجود الأستاذ (بول كاله) الذى كان أستاذا للاستشراق في جامعة بون الألمانية ، والذى كان أول من حقق هذه الخريطة علميا في مؤتمر للمستشرقين في

أقدم خريطة للبحار السبعة

سبتمبر سنة ١٩٣١ بمدينة لايدن الهولندية .. وكتب عنها الأستاذ كاله تحقيقا علميا ثانيا سنة ١٩٣٢ ، وتبعه الأستاذ الألماني دايزمان بتحقيق أعم وأشمل في برلين سنة ١٩٣٣ .

ولقد رفعت بيري رايس جدارته وعلمه في رتب البحرية العثمانية حتى أصبح (أمير البحر) أو الأدميرال القائد للأساطيل العثمانية في البحر الأحمر والبحر العربي الجنوبي وخليج عمان ...

لوّن بيري ريس خريطته ، بعد أن رسمها على الرق (جلد الغزال المدبوغ) وكتب عليها ملاحظاته ، وجملها بالرسوم ، التي كانت مألوفة في زمانه على الخرائط فيقول في كتابه البحرية ، إنه بعد أن حول مقاس الرسم للخرائط التي سبقت زمانه الى مقياس رسم واحد ــ وهذا يدل على سعة علمه في الرياضيات والفلك ــ اتخذ ما اصطلح عليه الناس في زمانه من رسم المدن والقلاع باللون الأحمر ، والأماكن الخالية من الناس بخطوط أو نقاط سوداء ، والشواطيء والبحار الضحلة بنقاط حمراء ، والصخور التي تحت سطح الماء بعلامات مصلبة ... ومن الغريب الملفت للنظر في خريطة بيري رايس ، أن كثيرا من الأماكن على الساحل الأفريقي للأطلنطي تحمل أسماء تركية من مثل (اكبورون) أو الرأس الأبيض و (يزلـبورون) أو الرأس الأخضر و (كيزيلبورون) أو الرأس الأحمر وغيرها ...

كتب بيري رايس في ملاحظاته على خريطته :

« هذه الخريطة رسمها بيري بن الحاج محمد وابن أخت كمال رايس في غاليبولو في شهر محرم سنة ٩١٩ هـ ، أي فيما بين ٣/٩ ، ٤/٧ سنة ١٥١٣ م » .

وكتب في ملاحظاته على الشاطيء الأمريكي الجنوبي مايلي :

« هذه السواحل أكتشفت سنة ٨٩٦هـ (١٤٩٢م) واكتشفها أحد (الكفار) من جنوا . وكان اسمه (كولومبو) . وكان قد وقع في يده كتاب قديم مكتوب فيه أن هنالك في آخر البحر الغربي (الاطلنطي) من الغرب توجد سواحل وجزر زاخرة بكل أصناف المعادن والأحجار الكريمة . ولما استوعب هذا الرجل مافي ذلك الكتاب جيدا ذهب الى أمير جنوا ومعاونيه وطلب منهم تجهيز سفينتين ليذهب الى تلك البلاد الغنية فقالوا له : أيها الرجل المجنون ان البحر الغربي ليس له نهاية وان أبخرته مليئة بالظلمات . فلما يئس كولومبو من معونة أهل جنوا ذهب الى ملك أسبانيا وشرح له ماعلم من الكتاب القديم . ولكن الملك لم يستجب له بادىء الأمر . ولكنه ظل يلح عليه حتى وافق وجهز له سفينتين قائلا : ياكولومبو . اذا كان ماتقول صحيحا فلسوف أجعلك (قبودانا) على تلك البلاد . وكان الغازي كمال رايس (خال بيري) قد أسر بحارا اسبانيا ممن رافقوا كولومبو في رحلات ثلاث . وقال ذلك الأسير إن الرحلة بدأت من جبل طارق في اتجاه جنوبي غربي لمسافة أربعة آلاف (ميل) فشاهدنا جزيرة في مواجهتنا وكان البحر هادئا . وكان النجم القطبي الشمالي يختفي رويدا رويدا ، وبدأت تظهر لنا مجموعات من النجوم لم نعرفها من قبل ورسونا على شاطيء الجزيرة تلك فجاء أهلها وأمطرونا بوابل من السهام ومنعونا من النزول الى البر . وكان الرجال والنساء يتعاونون في قذفنا بالسهام وكانت رءوس سهامهم مصنوعة من عظام الأسماك ، وكانوا كلهم عراة . فأبحرنا صوب الشاطيء الآخر للجزيرة حيث وجدنا قاربا . كان أصحابه قد فروا منه عندما شاهدوا سفينتنا الضخمة فأخذنا ذلك القارب . فوجدنا فيه لحم آدميين . فعرفنا أن أصحاب القارب من الناس الذين يتصيدون البشر ليأكلوا لحومهم . وشاهد كولومبو جزيرة أخرى فاقتربنا منها حيث وجدنا ثعابين هائلة فلم نجرؤ على النزول الى البر . وظللنا في سفينتنا راسين حوالي سبعة عشر يوما . فلما شعر أهل الجزيرة أننا لانريد بهم سوءا جاءونا بكمية من السمك اصطادوها بقوارب لهم صغيرة . فأعطيناهم بعض (الخرز) الزجاجي ثمنا له . وكان كولومبو قد قرأ في الكتاب القديم أن أهل تلك الأصقاع مغرمون بالخرز . وواظب السكان على مدنا بالأسماك نظير الخرز . وفي يوم شاهدنا سوارا من الذهب مع امرأة فأعطيناها بضع خرزات وأعطتنا ذلك السوار . ففرح الناس وعادوا لنا بكميات من الذهب ليأخذوا بدله الخرز ، فاستدللنا على أن جبالهم غنية بمعدن الذهب . وفي يوم آخر رأينا مع أحد الأهالي بعض اللؤلؤ فاستبدلناه منه بشيء من الخرز أيضا فسر سرورا بالغا وتكاثر علينا من يستبدلون اللؤلؤ الثمين بالخرز الزجاجي !!! واكتشفنا أن محار اللؤلؤ يوجد بكثرة في مياه ضحلة حول تلك الجزيرة !!! وأحضر الأهالي لنا أيضا كمية من الأخشاب الفاخرة ، وكنا نفهم لغتهم فكنا نتفاهم بالاشارات ، وحملنا كل ماأخذناه الى الملك في اسبانيا . وأرسل الملك معنا في الرحلة الأخرى نفرا من القساوسة والشعير . وكان الناس هنالك بلا دين ويمشون عراة وينامون كالبهائم . وقد أطلق كولومبو أسماء مختلفة على الأماكن هنالك ، ... ولما كان كولومبو من الخبراء المرموقين في القياسات الفلكية . فلقد أخذت عنه في خريطتي هذه مواقع السواحل والجزر المختلفة ...

صورة الصفحة الأولى من كتاب « البحرية » الذي كتبه « بيري رايس » في القرن السادس عشر الميلادي .

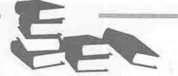
وبذلك يؤكد بيري رايس أمانته العلمية ، ويعطي كل ذي حق حقه .. كما أنه لم ينس أن يذكر بعض الخرافات متهكما مما وجده على خرائط للبحارة البرتغاليين حيث يصفون الغيلان والثيران ذوات القرون الستة والثعابين التي لامثيل لها والحيوانات وحيدة القرون !!!

ثم يختم ملاحظاته فيقول :

« في هذا القرن (يقصد أوائل القرن ١٦ الميلادي) لاتوجد خريطة كهذه في العالم . ولقد رسمتها يد هذا العبد الفقير وتمت بحمدالله . ولقد استقيتها عن حوالي عشرين مصدرا ابتداء من (المابا موندي) المنسوبة للاسكندر ذي القرنين الى مارسمه البحارة العرب الأفذاذ و (الكفار) البرتغاليون كمارسمه كولومبوس للشاطيء الغربي للبحر الغربي » ...

وأعجب مافي خريطة (بيري رايس) حتى الآن هو أن المسافات عليها تطابق أحدث الخرائط المعروفة في أيامنا هذه ... والمطلوب الآن التحري والتدقيق لمعرفة ماهو الكتاب الذي ذكر بيري رايس أن كولومبوس قد استدل بقراءته على سر وجود أمريكا وماحول شواطئها جنوبا وشمالا من الجزر . لأنه ليس من المعقول أن يظل العرب زهاء سبعة قرون في الأندلس دون أن يحركوا سفنهم لسبر أعماق ونهاية المحيط الأطلنطي . بحر الظلمات . وأن اكتشاف الدنيا الجديدة سنة ١٤٩٢م (وهي سنة اندحار العرب من الأندلس) هكذا صدفة . فلابد وأن كولومبوس قد أخذ شيئا من تراثنا لم نتعرف عليه بعد !!!

درويش مصطفى الفار



بقلم : الدكتور محمد البهي



الروح

• يرى بعض المفسرين أن كلمة « الروح » ترد فى بعض آيات القرآن الكريم بمعنى : « النفس » أو القوة الخفية فى الانسان ، التى تقابل البدن ، ويعطى هذا البعض من المفسرين .. المثل على ذلك : فيما جاء فى سورة الاسراء فى قول الله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » (الاسراء : ٨٥) .

ولكن اذا استعرضنا مفهوم : « الروح » فى آيات الذكر الحكيم ... نرى أنه لا يعطى هذا المعنى الذى ذهب إليه بعض المفسرين من أنه : القوة الخفية فى الانسان والمدبرة لبدنه ؛ لأنه معنى جاء به الفكر الاغريقى وعرف استعماله بين المسلمين ، بعد القرن الثالث الهجرى . وإنما يعطى هذا المفهوم — الروح — فى الكثير الغالب .. معنى : الوحى ، أو معنى : الملك الخاص الذى أرسل بالوحى ، وهو : جبريل .

• ففى الآية السابقة : « ويسألونك عن الروح ... » .. يراد بالروح : الوحى . إذ بقية هذه الآية ، وكذلك مابعدها من آيات ثلاث ، تفيد : أن الروح هنا هى وحى الله بالقرآن الكريم . نقرأ — لتوضيح ذلك — قوله تعالى : « ... قل : الروح من أمر ربى . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك . ثم لاتجد لك به علينا وكيلا (أى لاتجد لك من يقوم وكيلا ونائبا عنا فى شأن الوحى واستعادته بعد أن نذهب به ونمحوه) . إلا رحمة من ربك . إن فضله (أى بالوحى بالقرآن اليك وتثبيته فى نفسك) كان عليك كبيرا . قل : لئن اجتمعت الانس والجن (أى القوى الظاهرية والمرئية ، والأخرى الخفية التى لاتعرف فى الوجود) على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (أى سندا وساعدا) ... » (الاسراء : ٨٥ — ٨٨) .

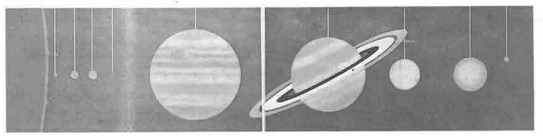
فالتنصيص على أن الروح من أمر الله ، واقتران ذلك بالحديث عن علم الانسان وأنه قليل بالقياس الى علم الله ، ومصاحبة هذا وذاك ، لذكر فضل الله بالوحى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإعلان تحدى كل القوى فى الوجود فى أن تأتي بمثل القرآن الموحى به ، مهما تساندت واشتركت متعاونة فيما بين بعضها بعضا ، هذا كله يرجح فى وضوح : أن المعنى بالروح هنا ، هو : الوحى بالقرآن الكريم .

ونظير ذلك قوله تعالى : « ينزل الملائكة بالروح من أمره (أى بالوحى) على من يشاء من عباده : أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون . خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون » (النحل : ٢ ، ٣) . وقوله : « ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم (يخاطب المشركين الماديين فى يوم الجزاء) وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير . هو الذى يريكم آياته ، وينزل لكم من السماء رزقا . وما يتذكر إلا من ينيب . فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، رفيع الدرجات ، ذو العرش ، يلقي الروح من أمره (أى يلقى الوحى وينزله) على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ... » (غافر : ١٢ — ١٥) وقوله : « وآتينا عيسى بن مريم البينات (أى الآيات والأمارات الدالة على رسالته) وأيدناه بروح القدس (أى بالوحى بالانجيل) ... » (البقرة : ٨٧) .

• وتأتي « الروح » أيضا بمعنى : الملك ، ويقصد به جبريل عليه السلام . على نحو ماورد فى قول الله تعالى : « نزل به الروح الأمين (أى الملك جبريل) على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » (الشعراء : ١٩٣ — ١٩٥) .

وفى قوله : « يوم يقوم الروح (أى جبريل) والملائكة صفا ، لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال : صوابا . ذلك اليوم الحق . فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا » .. (النبأ : ٣٨ — ٣٩) . وفى قوله : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر (أى أنزلنا القرآن) . وماأدراك ماليلة القدر؟ ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح (أى جبريل) فيها بإذن ربهم من كل أمر (القدر : ١ — ٤) ... » وفى قوله « فاتخذت (أى مريم) من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا (أى جبريل) فتمثل لها بشرا سويا . قالت : إنى أعوذ بالرحمن منك ، إن كنت تقيا (أى متخفيا) قال إنما أنا رسول ربك ، لأهب لك غلاما زكيا (يعنى به عيسى عليه السلام) ... » (مريم : ١٧ — ١٩) .

... وهكذا يتردد معنى : « الروح » فى آيات القرآن الكريم بين : الوحى بالكتاب ، وملك الوحى ورسوله ، وهو جبريل ؛ إذ الحديث عن الروح بمعنى النفس أو القوة المدبرة للبدن لا شأن له بالهداية الإلهية حتى يكون من تعاليم القرآن . إنما هو من شأن الانسان عندما يفتش فى ذاته . ويختلف فى تحديد عناصر الذات . حسب ثقافته ومدى إدراكه .



رسم توضيحي لكواكب المجموعة الشمسية ، يعطي فكرة مقارنة عن أحجامها وعن ابعادها من الشمس



تصور القدامى النجوم المتقاربة مثل لبن مسكوب على الأرض تلمع قطراته فسموها بالطريق اللبني .

مجرتان في أعماق الكون

الإنسان يتطلع إلى .. أعماق الكون

بقلم : المهندس سعد شعبان

منذ تطلع القدامى إلى السماء ، وأجرامها ، وهم يستشعرون أنها تحوي كثيراً من الأسرار ، لأن أعماقها الغائرة بعيدة عن الأنظار تسرح حولها الخيالات ولا يعرف الإنسان عنها إلا القليل . ولذلك ارتبطت في الماضي أشكال أجرام السماء بالأساطير والقصص الخيالية . لكن في كل العصور إهتم بالتطلع إلى أعماق الكون العقلاء والحكماء ، وسرحوا بفكرهم في أصلها وتكوينها ونهايتها .

● جهود علمية خارقة لمعرفة أسرار الكون

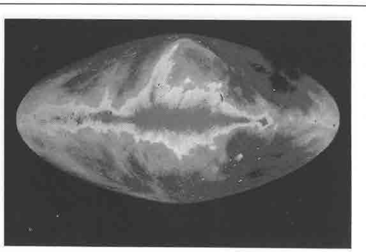
● رسالة من البشر إلى سكان المريخ لغتها الرسم والإشارة

● أول تلسكوب للفضاء ينطلق سنة ١٩٨٦

ورغم أن الاسلام حرك أفكار المسلمين إلى حقائق كثيرة إلا أن هذه الشحنة من الحقائق لم يقيض لها الانتشار السريع في أوربا المسيحية ، حتى ظهر إلى الوجود في القرون الوسطى أعلام حركوا الفكر الانساني باكتشافاتهم ونظرياتهم فبدلوا كل الأفكار التي كانت سابحة مع الأوهام عن حركة الأجرام الكونية وارتباط الأرض بها والظواهر الفلكية التي نراها من الأرض . ونخص بالذكر منهم الفلكي البولندي « كوبرنيكس » الذي نفى في عام ١٥٤٣ ميلادية أن تكون الأرض مركزاً للكون ، كما كان يشاع من قبله . ونفى أن تكون الشمس والسيارات الأخرى في حركة دائرية حول الأرض ، بل عكس الفكرة وقال بأن الأرض تدور هي والسيارات الأخرى حول الشمس ، فعرفت من بعده « المنظومة الشمسية » وعلى هذه الأسس الجديدة عرفت قوانين حركة الكواكب .

وأتى من بعده بسنوات قليلة « تيخو براهي » الفلكي الدانمركي الذي تحول بعلم الفلك من الخيالات إلى احترام الحقائق التي تعتمد على الرصد والقياس والاحصائيات وظل يتابع الرصد عمراً طويلاً بلغ ٣٥ عاماً حتى توفي عام ١٦٠١ ميلادية . وتبعه تلميذه الرياضي الألماني « كبلر » الذي استنتج من قياسات سابقة أدق القوانين عن حركة السيارات ، وحصرها في ثلاثة قوانين تحدد معالم هذه الحركة ، فأطاح بكل الأفكار الخاطئة عن دوران الكواكب وكان أهم ما توصل إليه أن السيارات تدور حول الشمس في مدارات بيضاوية وليست دائرية ، وأن سرعاتها على هذه المدارات ليست منتظمة ، بل تتغير بتغير قرب أو بعد الكوكب عن الشمس وما زالت قوانين « كبلر » الذي توفي عام ١٦٣٠ ميلادية راسخة وثابتة بلا تبديل ولا تعديل حتى الآن .

وكان العالم الفيزيائي الايطالي « جاليليو » قد توصل عام ١٦١٠ ميلادية إلى صناعة المنظار المقرب باستخدام العدسات والمرايا واستطاع أن ينفذ به إلى رصد القمر فأكد عدم استواء سطحه ، ووجهه إلى الكواكب المعروفة آنذاك وكانت عطارد والزهرة والمريخ وزحل والمشترى . فاكتشف أن حول بعض هذه الكواكب أقمار أصغر منها حجماً وأن كوكب زحل يتمنطق بحزامين يبعدان عنه قليلاً كما رصد للقمر وجهاً واحداً ، وقال بأن الآخر لا يمكن أن يظهر لأهل الأرض نتيجة لدورانه حول محوره . ونتيجة جرأته في إعلان أفكاره على مجمع كرادلة روما فقد زج به في السجن حتى كف بصره وتوفي عام ١٦٤٢ ميلادية ، وظل يردد قبل موته « وستظل الأرض رغماً عن ذلك تدور » فقد كان الاعتقاد حتى ذلك الحين



الطريق اللبني مجمعة بالأشعة اللاسلكية على مدى خمسة عشر عاماً



أدى اكتشاف « حزامي فان آلن » إلى أثر عميق في تفسير كثير من الظواهر العلمية تفسيراً صحيحاً

ولقد عبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى « إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار » .

ولم تخل حضارة من الحضارات من تصور القبة الكونية المحيطة بأرضنا . فعلى سبيل المثال تصور قدماء المصريين السماء على هيئة المعبود « نوت » وهو ينحني على الأرض التي يمثلها معبودهم « سب » ويفصل بينهما سيد النور والهواء « شو » .

وعلى هذا النحو عاش القدامى في حيرة وتخبط يرصدون أجرام الكون ويربطون حياتهم بدوران ما يظهر منها وهم لا يدرون من أمرها إلا القليل . ولذلك ارتبطت دراسة علم الفلك على مدى عصور طويلة بأفكار كهنوتية وحرمت على غير رجال الدين في أغلب الدول التي انتشرت فيها المسيحية .

الانسان يتطلع إلى..

أعماق الكون

أن الأرض لا تدور ، ولكن الشمس هي التي تدور حولها .

وأتى من بعده « نيوتن » الذي أثرى الحياة بنظرياته عن الجاذبية الأرضية والتجاذب بين السيارات . فأرسى قواعد دوران السيارات حول الشمس ، حتى توفي عام ١٧٢٧ .

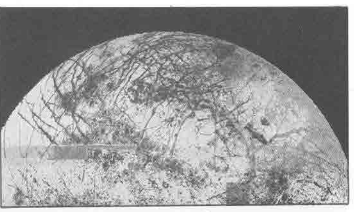
وخلف نيوتن الفلكي الألماني « هرشل » الذي عني بتجويد صناعة العدسات الزجاجية والتدقيق في صقلها ، ولقد كشف هرشل عام ١٧٨١ ميلادية عن وجود كوكب جديد لم يكن معروفاً من قبله أطلق عليه « أورانوس » فكان أول السيارات العليا . وكشف هرشل عن مزيد من الأقمار حول الكواكب . غير أنه فتح باباً في الاكتشافات الفلكية لم يغلق بعد . وهو أن « النجوم » التي نراها من الأرض ليست ثابتة كما كان يظنها سابقوه ولكنها تتحرك في الفضاء نحو هدف بعيد مجهول وبسرعة كبيرة . وكشف أن ذلك يتم داخل إطار المجرة أو الجزيرة الكونية التي تعيش فيها ، وقد خلف هرشل بعد وفاته عام ١٨٢٢ ميلادية ثروة علمية كبيرة .

كل هؤلاء العلماء كونوا مسيرة علم الفلك والرصد الفلكي فأضاؤوا بنور العلم على الدنيا ما بدد ظلمات الجهل وأطاحوا بالمعتقدات الخاطئة من ارتباط الفلك بالتنجيم وحظوظ الناس وفضوا الاشتباك الذي كان قائماً بين الفلك والخرافات ، وجعلوا منه علماً مجرداً يعتمد على الحقائق والقياس .

رحلة في أعماق الكون

لكي يمكننا النفاذ بفكرنا إلى أعماق الكون للتعرف على أسراره ومكوناته فلنتصور أنفسنا في رحلة عبر أجرام الكون ، وعندما نريد أن نبدأ الرحلة من الأرض . فلابد أن نحدد لأنفسنا وجهة لنعرف نهاية رحلتنا ، ولكن الحقيقة أننا سننفذ في أعماق الكون قدماً ، حتى الحد الذي لا يمكننا بعده التقدم ، فلا يكون أمامنا إلا التوقف . ذلك أن غايتنا هي أن نتعرف على حافة الكون ونعرف أين نهايته .

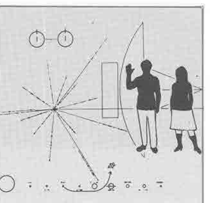
والحقيقة أننا لو بارحنا سطح الأرض ، صعوداً في السماء فسنجد أن محطتنا الأولى هي القمر فهو أقرب الأجرام الكونية إلينا ، وهو بمثابة الباب على الفضاء الشاسع . فبعده عنا لا يزيد عن (٣٩٠) ألف كيلو متر وهو بعد متواضع كما سنرى بالنسبة لأبعاد الأجرام الكونية الأخرى . وسنجد أن الغلاف الجوي



الشقوق والأخاديد على سطح المريخ

المحيط بكرتنا الأرضية هو النعمة التي تحفظ على أهلها الحياة ففيه غاز الاوكسجين وهو بمثابة الأكسير الذي بدونه تتوقف الحياة البشرية بعد دقائق معدودة . وفيه أيضاً بخار الماء الذي هو أصل الحياة مصداقاً لقوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي » ولا يمتد الغلاف الجوي فوق سطح الأرض كثيراً ، لأنه يتخلخل كلما زاد صعودنا الى أعلى ، وتبدأ جزئيات الهواء في التباعد عن بعضها البعض ، ويبدأ تدريجياً وجود الفضاء حيث لا يوجد شيء ، أو حيث لا يوجد إلا العدم تقريباً ، ومن ثم أطلق عليه اسم « الفضاء » . ويجب الا يسيطر علينا تفكير قاصر ونتصور أن هناك حداً فاصلاً بين الغلاف الجوي للأرض ، والذي يملؤه الهواء بمكوناته الغازية وبين هذا الفضاء ، لأن الحقيقة أن الفضاء يملأ الكون كله ويحيط بالغلاف الجوي للأرض من كل جوانبه . وفي الفضاء تتوزع الأجرام الكونية كلها ولا يشذ منها إلا بعض الكواكب ومنها الأرض فهي لحكمة إلهية تحتفظ حولها بغلاف جوي له تكوين خاص . ولو واصلنا الرحلة عبر هذا الفضاء صعداً فسنجد أن « قمر » الأرض ليس إلا جرماً صغيراً لا يزيد قطره إلا قليلاً عن (ربع) قطر الأرض . لكنه يدين بولاء الجاذبية لأمه الأرض ، ويدور حولها وكأنه طفل صغير في وقت يعادل نفس وقت دورانه حول نفسه . فلا يستطيع أهل الأرض أن يروا منه إلا وجهاً واحداً وهو المقابل لهم . ولو واصلنا رحلتنا من القمر ميممين شطر الكواكب أخوات الأرض فسنجد أن كلاً منها يدور حول الشمس في مدار (اهليليجي) أي بيضاوي ، ولا بد أن تتملكنا الحيرة لأننا سنجد أن الكواكب الثمانية تتوزع على هذه المدارات في مواضع مختلفة ، لأنها تشكل أسرة غير متجانسة فبعضها قطره يقرب من قطر الأرض لكن بعضها الآخر يزيد قطره عشرات أو مئات المرات . وكلها مشدودة إلى الشمس التي تمثل بينها دور الأم التي يلتف حولها أفراد الأسرة ولذلك اطلقوا عليها اسم « المنظومة الشمسية » ، وسنجد أن الاختلاف بين الكواكب لا يتمثل في الحجم فحسب ، بل يتضح أيضاً في البعد عن الشمس وسنجد أن الأرض تحتل المركز الثالث في تسلسل هذه الأبعاد عن الشمس إذ يسبقها قرباً كوكبا عطارد والزهرة ثم يلي الأرض كواكب المريخ والمشترى وزحل وهي الكواكب التي عرفها القدامى باسم السيارات السفلى . ويليها ثلاثة كواكب أخرى اكتشفت في العصر الحديث هي « أورانوس » « ونبتون » « وبلوتو » الذي اكتشف عام ١٩٣٠ . ويبلغ متوسط بعد عطارد أقرب هذه الكواكب من الشمس (٥٧,٩) مليون كيلو متراً . بينما أبعدها وهو بلوتو متوسط بعده عنها (٥٨٩٩) مليون . وتختلف أعداد الأقمار التابعة لكل كوكب . بل نجد أن الأرض أفقرها في هذا المضمار فالمشترى له اثنا عشر قمراً وزحل له تسعة أقمار بينما أورانوس له خمسة وكل من المريخ ونبتون له قمران .

ولو واصلنا رحلتنا وتركنا حلبة « المنظومة الشمسية » فسنجد أننا يمكن أن نستهدف محطات أخرى . يمكن أن نعتبرها مماثلة . فكما تعتبر الشمس واسطة العقد في منظومتنا . فالنجوم هي بمثابة شموس أخرى ، لكن الأبعاد بيننا وبينها شاسعة . وهي لفرط بعدها نراها دقيقة وصغيرة لا تكاد تزيد عن رؤوس الدبابيس وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في بلاغة بقوله تعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » . وربما يكون حول كل نجم منها أسرة كأسرة الشمس لكننا لا نستطيع أن نراها . غير أن كثيراً من هذه النجوم تفوق نجمنا (الشمس) في الحجم مئات أو آلاف أو ملايين المرات . ولو تخيرنا أقربها إلينا وشرعنا في التطلع إليه لنجعل منه



رسالة من أهل الأرض إلى سكان المشترى

محطتنا التالية في رحلتنا فسنجد أنه نجم «الأقرب القنطوري» كما سماه العرب أو «القا سنتورس» كما حرف الاثينيون اسمه من بعدهم. وسنجد أن بعده عن الأرض يبلغ ٢٥ مليون مليون ميل، ولو ترجمنا هذا البعد فسنجد أن بعد هذا النجم يزيد ٣٠٠,٠٠٠ مرة عن بعد أرضنا عن الشمس. ولهول كبر هذه المسافات وعدد الأصفار الكثيرة التي يضطر الفلكيون لاستخدامها في قياساتهم فقد أوجدوا لأنفسهم وحدة فلكية للمسافات أسموها «السنة الضوئية» وهي المسافة التي يقطعها شعاع الضوء خلال سنة كاملة، ولما كانت سرعة الضوء أكبر سرعة تعرف على الأرض وتعادل ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية الواحدة، فان السنة الضوئية تعادل ٣٠٠,٠٠٠ × ٣٦٥يوما × ٢٤ ساعة × ٦٠ دقيقة × ٦٠ ثانية = ٦ مليون مليون ميل = ١٠ مليون مليون كيلومتر تقريبا)

وبهذه الوحدة للمسافات نجد أن محطتنا التالية وهي نجم «الأقرب القنطوري» تقع على بعد ٤.٢ سنة ضوئية من الأرض أي ٤٢ مليون مليون كيلومتر تقريباً! ترى أي مسافات يشغلها الفضاء حولنا. ولو تطلعنا الى غيره من النجوم فسنجد أن بعضها موغل في البعد أضعاف أضعاف ذلك وسنلاحظ أن أغلبها يحمل أسماء عربية مثل «الطائر» الذي يبعد عنا (١٤.٥) سنة ضوئية «النسر» الذي بعده (٣٠) سنة ضوئية ونجم «السماك» الذي بعده (٥٠) أما نجم «الشعري اليمانية» وهو ألمع نجوم السماء ويطلق عليه الغربيون اسم «سيرس» (**Sirus**) فيعده تسع سنوات ضوئية فقط. ولو قارنا ذلك بالشمس فسنجد أن شعاع الضوء يصل الى الأرض منها خلال ثماني دقائق وثلث دقيقة فقط. ولو حاولنا أن نحصي نجوم السماء فسنعجز، لأنها لا تعد بالآلاف ولكن بالملايين. غير أننا

● أقرب محطة فضائية إلينا هي القمر

● القمر يبعد عن الأرض ٣٩٠ ألف كيلومتر

سنجد أنها تتوزع في مجموعات كما تتوزع القرى والمدن على الأرض فتتكون منها المحافظات أو الأقاليم، ولذلك فقد اعتاد الفلكيون على القول بأنها تتقارب في «مدن نجمية». ولقد تخيل القدامى أشكال المدن النجمية على هيئة حيوانات وطيور وأبطال الأساطير التي كانت شائعة وقتهم ونسجوا من ذلك القصص الخيالية. وما ذلك إلا أشكال وهمية للربط بين مواقع النجوم وأبعادها بالنسبة لبعضها البعض. ولذلك تحمل المدن النجمية أو الكواكب أسماء حيوانات أو حشرات كالجدي والسرطان والدب والأسد والفرس والعقرب والثور والدجاجة والحوت أو أسماء أساطير كهرقل وأوريون وفرساوس.

المجرة وحافة الكون

عند هذه المرحلة من رحلتنا يمكن أن نتصور آلاف المدن النجمية التي حولنا والتي تضم ملايين الملايين من النجوم ونتعرف الى أنها تقع كلها داخل «جزيرة كونية» واحدة أطلق عليها الفلكيون اسم «المجرة».

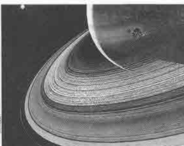
ولقد تعرف القدامى على حواف المجرة من ملاحظة الحشد من النجوم الدقيقة الحجم والمتقاربة والتي تبدو لشدة تقاربها كوشاح لامع وكأنه يلفع بعض أرجاء السماء ولكي نحيط بمدى اتساع جزيرتنا الكونية المجرة. فقد قاس العلماء الأبعاد بين طرفيها. لأنها كحبة العدس مفلطحة في طولها قصيرة في سمكها ولذلك فان لها محورين، فمحورها الطولي بين طرفيها طوله ١٠٠ مليون سنة ضوئية. أما محورها الرأسي وطوله ١٠ مليون سنة ضوئية. ولا تقع شمسنا في مركز المجرة بل تبعد عنه بما يقسم محورها الطولي بنسبة ١ : ٤ فهي تقع قرب أحد طرفيها.

لذلك فإن أهل الأرض عندما ينظرون إلى الحافة الأخرى البعيدة عنهم، فانهم يشاهدون ازدحاماً في النجوم التي يقع بعضها من خلف بعض. ولقد ظهرت النجوم المتقاربة لأجدادنا فتصورها الشرقيون كحبات التبن التي تتناثر على الأرض فتلمع في ظلام الليل، فأسموها «سكة التبانة». بينما تصورها الغربيون كلبن انسكب على الأرض فلمعت قطراته عند سقوط الضوء عليها. ولذلك أطلقوا عليه اسم «الطريق اللبنية». ولقد ظن القدامى أن وشاح «درب التبانة» يمثل نهاية الكون لأن عدسات المراصد الأرضية لم تكن تستطيع رصد النجوم من خلفه. ولذلك خلق الرياضيون في القرن الماضي زعم «اللانهاية» التي كانت تعبر عن عجزهم عن تصور وجود نهاية ما للكون، ولذلك أطلقوا هذه الوحدة المبهمة «اللانهاية» كما فسر الحائرون الماء بعد الجهد بالماء! وكم شغل الرياضيون أنفسهم لعدة قرون بوهم اللانهاية وتصوروها تمتد خلف درب التبانة بغير ماحد. ولكن زاد وهم اللانهاية وزادت حيرة العلماء عندما قويت عدسات المراصد واستطاعت الكشف عن وجود عدد من النجوم الأخرى خارج مجرتنا. وتمخضت الحقيقة سافرة عن وجود مجرات ومجرات. وأن خارج «جزيرتنا الكونية» جزرا أخرى في كل اتجاه، وكل منها تحوي ملايين النجوم. ولك أن تتصور عمق الفضاء المترامي بين المجرات عند معرفة أن أقرب المجرات الخارجية إلى مجرتنا وهي تلك الموجودة بمحاذاة المجموعة النجمية المسماة «المرآة المسلسة» تبعد عنا (٧٠٠,٠٠٠) سبعمائة ألف سنة ضوئية.

وتتوزع في كل اتجاه مجرات أخرى بل تتعدد في الاتجاه الواحد. فمثلاً توجد مجرات في اتجاه المجموعة النجمية المسماة «ذات الشعور» قدر عددها بأنه (٣٠٠) مجرة رغم أن ما نراه من هذه المنطقة من السماء لا يزيد عن قطر القمر. وزادت حيرة العلماء وعجزوا عن تصور وجود يمكن أن يكون «حافة الكون»، أو تصور كيف يكون المحتوى الذي يضم هذه المكونات التي تعد بالبلايين. وكثيرون منهم أمام عظمة هذا الخلق، آمنوا بقصور العقل البشري أمام دقة القدرة الخالقة وأيقنوا أن سمة الإنسان الأولى ضعفه وصدقوا بما قاله رب العالمين «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

وظل التخبط سائداً حتى أعلن العالم المبرز «اينشتين» نظريته عن النسبية الخاصة والعامة في عام ١٩١٦، ١٩٢٥ وربط بين المفهوم القديم للمادة والطاقة، وأضاف الى الوجود بعداً أسقطه العلماء من حساباتهم السابقة في غفلة هو بعد «الزمن». وكان أروع ما توصل إليه إينشتين بمعادلات رياضية بسيطة، أن الكون ليس له نهاية لأنه ليس له

أعماق الكون





حلقات زحل

بداية. لذلك فلابد أن يكون محدودباً على نفسه كالكرة تنثني وتتكور على نفسها. فلو سرت عليها في خط مستقيم فستعود حتماً الى حيث بدأت. وكذلك الملاحة عبر الكون، فأنت لو انطلقت عبر أجرامه في اتجاه ثابت، فلابد لك من عود إلى حيث بدأت. وصدق الله العظيم «هو الأول والآخر والظاهر والباطن. وهو بكل شيء عليم» وقوله «الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير».

سفن الفضاء تكشف الأسرار

اعتمد الكشف عن أسرار الكون على علم الرصد الفلكي بواسطة العدسات أي المناظير المقربة «التلسكوبات» المستخدمة في المراصد الأرضية والتي تنفذ الى الأجرام الكونية من خلال «نافذة الضوء» أي بالرؤية البصرية. ولقد كبرت عدسات المراصد حتى بلغ بعضها أكثر من ٦٠ متراً. وأقيمت المراصد الفلكية في كل أرجاء الكرة الأرضية لتكشف عن مزيد من النجوم والمجرات. لكن كانت نافذة التطلع الى أعماق الكون مشوبة بالقصور لأن ظلام الليل كانت تبدده أضواء المدن القريبة من المراصد فتحد فعاليتها. والرؤية كانت تتوقف عند تلبد السماء بالغيوم. وتتعرض العدسات لقصور الانكسار والزغللة البصرية.

حتى فتحت نافذة تطلع جديدة على أسرار الكون عام ١٩٣٣ تمثلت في استقبال اشارات لاسلكية من الكون الخارجي ونشأ علم «الفلك الراديوي» (Radio Astronomy) الذي يستخدم هوائيات أرضية كبيرة الحجم لتستقبل الاذاعات الكونية التي تصل من العالم الخارجي. ومن خلالها أمكن رصد أحداث الفضاء الخارجي كانفجار بعض النجوم. أو اصطدام المجرات ببعضها. ولأن ما يصلنا من أصوات يعبر في الفضاء مسافات شاسعة وترتحل إلينا بسرعة الضوء. فإنها تعبر عن أشياء حدثت في الماضي البعيد. وعلى سبيل المثال فانه في عام ١٩٥١ إستقبلت بعض المراصد الفلكية أصواتاً تنبىء عن حدوث صدام بين مجرتين على بعد ٢٧٠ مليون سنة ضوئية.

وعندما بدأ عصر الفضاء عام ١٩٥٧ بدأت الأقمار الصناعية دورها في الكشف عن مزيد من أسرار الكون. ولذلك أطلق عليها الاسم العلمي «مجسات الفضاء» (Space Probes) ولقد لعبت الأقمار الصناعية في فجر عصر الفضاء دوراً هاماً في الكشف عن المجهول لدى العلماء. وكان أروع الاكتشافات التي تحققت عام ١٩٥٨ بواسطة القمر الصناعي الأمريكي الأول «اكسبلورر ـ ١» أو (الكاشف) كشفه عن وجود تركيز شديد في الأشعة الكونية في طبقات الفضاء العليا.

● بخار الماء والأوكسيجين في الغلاف الجوي هما سر الحياة على الأرض

● السنة الضوئية الواحدة تساوي عشرة بلايين كيلومتر

وتتمثل في حزامين منفصلين ينحنيان حول الكرة الأرضية أطلق عليهما اسم «حزامي فان آلن» الداخلي منهما يبدأ على ارتفاع ٢١٠٠ كيلومتر ويمتد بعمق ٤٨٠٠ كيلو متر بينما يبدأ الحزام الخارجي على ارتفاع ١٣٠٠٠ كيلو متر ويمتد بعمق ٦٥٠٠ كيلو متر. وكان لاكتشاف وجود هذين الحزامين من الأشعة الكونية التي هي في كنهها قذائف ذرية ضعيفة وما يصاحبها من اشعاعات. آثار عميقة في تفسير كثير من الظواهر العلمية تفسيراً صحيحاً. وأعقب ذلك تصوير السوفييت للوجه المختفي للقمر بواسطة «القمر» لونيك ـ٣» عام ١٩٥٩. وبواسطة تكنولوجيا الفضاء المبهرة توالي الكشف عن مزيد من أسرار الكون الخاصة بعد أن تعدد إطلاق «سفن الفضاء». فقد تركزت البحوث على معرفة المزيد من المعلومات عن الكواكب. ولقد كانت المعلومات قد توافرت عن القمر بعد أن تم الهبوط عليه في برنامج أبوللو الأمريكي سبع مرات بدءاً من يوليو حتى ديسمبر ١٩٧٣. وتفنن الأمريكيون في جعل سيارات قمرية تقطع مسافات طويلة على سطحه. كما أرسل السوفييت المركبة «لونخود» لتتحرك على سطحه بتحكم من الأرض. ولذلك أمكن القول بأن المعلومات توافرت عن القمر بقدر كاف وبدأت الأنظار تتجه إلى الكواكب. غير أن استراتيجية الدولتين الكبيرتين روسيا وأمريكا اختلفتا في هذا المضمار إذ اهتم السوفييت بغزو كوكب الزهرة باعتباره أقرب الكواكب من الأرض. بينما ركز الأمريكيون إهتمامهم على كوكب المريخ باعتباره يستأثر بأغلب الاحتمالات عن وجود لون من ألوان الحياة العاقلة عليه نظراً للتأكد من وجود مياه على سطحه واحتفاظه بغلاف جوي حوله. وتأكد ذلك في وجود طواقي من الثلج الأبيض قرب قطبيه ولقد ظهرت أجيال متعاقبة من سلاسل سفن الفضاء من طراز «مارينر» الأمريكية لغزو المريخ والزهرة بدأت منذ عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٧٣ مثل سلسلة سفن «فينوس» (Venus) الغربية التي وجهت الى كوكب الزهرة بدءاً من

عام ١٩٦١ حتى ١٩٧٣ ثم عمد الأمريكيون الى إطلاق محطة الفضاء الكبيرة « فايكنج » (Viking) الى المريخ فهبطت عليه برفق عام ١٩٧٦ وعمدت الى اقتباس عينة من تربته بواسطة ذراع آلية وقامت بتحليلها كيماويا داخل معمل على ظهر السفينة نفسها . ولقد عمدت روسيا الى اطلاق سلسلة سفن « فينرا » الى كوكب الزهرة . كما عمدت الولايات المتحدة الى اطلاق سلسلة سفن « بيونير » بدءا من عام ١٩٧٣ نحو كواكب الزهرة والمشترى . وانفصلت منها قرب سطحه مظلة حملت لوحة معدنية تحمل رسالة بلغة الرسم موجهة الى أي عقلاء قد يكونوا عليه . وتشير الى ان هذه الرسالة قادمة من كوكب الأرض الذي ترتيبه الثالث من حيث البعد عن الشمس نحو الكوكب ذي الترتيب الخامس . وأن الحياة على الأرض تتألف من ذكر وانثى .

وأعقبت ذلك اطلاق سفينة أمريكية أخرى هى « فواياجير » أو « الرحالة » التى أطلقت فى أغسطس عام ١٩٧٧ وكانت مهمتها الاقتراب من أربعة كواكب هى زحل والمشترى واورانوس ونبتون . لكى تصور سطوحها وتجرى القياسات فى الفضاء القريب منها . ومازالت هذه السفينة تواصل رحلتها حتى اليوم . وعمد الاتحاد السوفيتى مؤخرا فى عام ١٩٨٤ الى اطلاق سفينتين من طراز « فيجا » لتصورا سطح الزهرة وانزال مظلة تحط على سطحه برفق . وفى نفس الوقت تتوجهان لتصوير مذنب هالى عام ١٩٨٦ .

والجدير بالذكر أن الصور المستقبلة من سفن الفضاء السوفيتية والأمريكية قد كشفت عن أسرار كونية وفلكية لم تكن معروفة من قبل من أهمها :

• أن عدد الحلقات حول كوكب « زحل » ليست ثلاثا بل تسعا إذ لم تكن المراصد الفلكية الأرضية قادرة على تصوير الفواصل الدقيقة بينها .

• أن عدد الاقمار التابعة لكوكب « المشترى » ليست (١٢) قمرا بل (١٥) .

• أن الخطوط المتقاطعة على سطح كوكب « المريخ » ليست قنوات وترع كما كان يظن من قبل . بل هى شقوق داخلية وأن سطحه ملىء بالفجوات والقنوات وفوهات البراكين الخامدة . كما أن له جوا تثور فيه الرياح وتسقط فيه الأمطار وتلعب فيه عوامل التعرية دورا . وتعمم طواقى الثلج الأبيض منطقتيه القطبيتين .

• أن سطح كوكب « أورانوس » يغلب عليه اللون الأخضر وأن درجة حرارته باردة .

من كل ذلك تجمع لدى العلماء ثروة علمية عن الكواكب . أهلت العلماء لبلورة فكرة واضحة عن تكوين المنظومة الشمسية ونشأتها من أصل واحد . حتى أخذت خطوة جديدة فى مجال كشف أسرار الكون بإطلاق معمل الفضاء الأمريكى « سكاى لاب » عام ١٩٧٣ وهو يحمل على متنه مرصدا فلكيا ضخما كان يمكنه التطلع منه الى أعماق الكون بواسطة ثمانى عدسات . والتقطت بواسطته آلاف الصور من الفضاء على ارتفاع ٤٣٥ كيلو مترا حيث يسود ظلام متصل . وحيث لا ليل ولا نهار وحيث تنعدم السحب والظواهر الطبيعية المعروفة كانكسار الضوء . وخلال هذه العدسات أمكن رصد مذنب كان يقترب من الأرض هو « كهوتيك » .

وفى حقبة الثمانينات توالت رحلات مكوك الفضاء الأمريكى . وفى رحلتين من رحلاته خلال عامي ١٩٨٤ . ١٩٨٥ حمل معمل الفضاء الاوروبى (Space Lab) الذى تضافرت فى صنعه جهود علماء سبع دول أوروبية تحت لواء منظمة أبحاث الفضاء الاوروبية « ايسا » (ESA) . وقد حوى المعمل عددا كبيرا من الأجهزة العلمية الدقيقة . منها أجهزة لقياس وتصوير المجرات بوسائل مستحدثة منها الأشعة السينية . والرادار وتجميع الصور بالحواسب الالكترونية . وكان يصاحب المعمل اثنان من العلماء ولم يكلف بمهام فضائية بل كانت مهمتهما تشغيل الأجهزة وإجراء المقاسات العلمية . ولقد أصبح لدى علماء الأرض ثروة تتألف من ملايين الصور عن أجرام الكون القريبة . وتصور أكثر وضوحا عن المكونات البعيدة وتكشف الأمر عن رؤية مزيد ومزيد من المجرات .

وفى نفس المضمار أعلنت الولايات المتحدة أنها بصدد اطلاق تلسكوب للفضاء فى النصف الثانى من عام ١٩٨٦ . ليكون أول مرصد فضائى يسبح فى الفضاء شأنه شأن سفن الفضاء . ولاشك أن صوره ستثرى البحث العلمى فى هذا المجال . لأن قدرته على النفاذ الى أعماق الكون ستكون أكبر من قدرة المراصد الفلكية الأرضية عشر مرات تقريبا .

سعد شعبان

هامش

انظر « الدوحة » (١٢٠) ديسمبر ١٩٨٥ .

تلسكوب الفضاء الذي سيطلق في صيف عام ١٩٨٦



الدم .. ينطق شعراً..

دعني مِنَ الحُزْنِ الذي ،
يغتالُ ذاكرتي ، وينزفُ في الوريدْ
دعني من الصَّمْتِ المُؤَرقِ ،
وامنح الأرق المُتيَّم شرفةً ممتدَّةً ما بين وجهكَ والقمر
واصعد دمي
يا أيُّهـا العَطَشُ المُوَلَّـهُ ... ،
مثلما صعـد الشَّجر
حين احتواهُ البرقُ أجفانَ المطر
وافتح كتاب فمـي ،
تُثرثـر بالهوى شفتـي ...
وتعرفُ ما أُريد

* * *

أمتدُّ فيكَ ،
وفي سفوح المقلتين غدي يُسافر للبعيد
لا ينتهي سفري ،
يطولُ الدَّرْبُ ،
أين ستنتهي هذي المسافةُ
بين عينيكَ المؤرقتين والقمر الشَّهيد ؟
يا أيُّها الأرق المعربد في جذوري ،
أيَها الأرق المعربد في ضميري ،
خُـذْ دمـي
واكتبْ بـهِ
شعراً على الشَّجر العنيد

* * *

يا أيَّهـا الأرقُ المعربدُ ،
رُدَّ عن شفتـي رمادَ الحُـزْنِ ،
كيفَ يُحاصِرُ الشَّفَـةَ المُتَيَّمَةَ الرَّمـادُ ؟
وكيف ينطفِىء الضِيَّاءُ أمامَ عيني ،
حين ينهمر السَّوادُ ؟
وكيف يُذبح ثغر عصفورٍ يُغنّي ؟
حين ينهمرُ الشَّذى مِنْ صَوْتِهِ ،
تقف البـلادُ ،
تضـجُّ ،
ينفجر الحماسُ بها ، ويصطخب النَّشيد
وأرى الحجارَة تنتشي فرحاً ،
تُهرِّب فوق أجنحة العصافير الصغيرة عشقها حجراً حجر
وتهزُّ يُمناها المدى ،
فيهبُّ ، ينفض ما تناثر من وقارٍ في عباءة صمتهِ
ويخوض تجربة الغناءِ ،
فتسكرُ الدُّنيا
وينتفض القدر
وغداة دبَّ بِـهِ الحَماسُ ،
بكى ، وأوغلَ في البكاء ، وما شعر
حين استفزَّ دمَ الطُّغاة بشعرهِ
ثـاروا عليـهِ ،
وصادروا جُرح الصَّـدى في ثغـرهِ
وكما يذوبُ الثلجُ ذابـوا ،
لحظـةَ انهمرِ الصَّهيلُ على الوتر.

* * *

مَرُّوا على الجَسَـدِ المُمَـزَّقِ فانفجـرْ
هذا هو الجسـد المقاتـلُ ،
يسقطـون كما الذُّبـاب إذا عبر

* * *

يا أيُّهـا الأرقُ المعربـدُ ،
رُدَّ عن شفتـي رَمادَ الحُزْنِ ،
يذبحنـي على الشَّفـةِ الرَّمـادُ ،
وما يُطيق الثغـرُ قيداً ،
عندما يعلو صداه إلى السَّمـاءِ ،
تذلُّ أعنـاقُ السَّنابل للصَّدى
وغداة ينسكب النّدى ،
تَثِبُ السَّنابلُ ،
يستفيق النَّهـرُ ،
ينتفض احتجاجـاً ،
حين يمنعه الجليد عن التدفّقِ ،
حين يرغمـه الجليد على التمزّقِ ،



شعر: محمود حامد

حين يقهره الجليدُ
يا أيُّها الأرقُ المعربدُ في جذوري ،
خذ دمي ، واكتب بـه
شعراً على الشّجر العنيد

* * *

قل للنّوى : طال البعـادُ
وما هوى هذا العنادُ ،
أمـام جمر المستحيل
يمشي وترتطم السّلاسلُ بالسّلاسلِ ،
تنـزف القدمان ،
ترتجف الأصابع حين تلتصق البلاد
بلحمها ،
وغداة يضحك طائرُ الذكرى على باب
الجليل
ويهبُ من عطش الثرى جسد المُقاتل ،
ثمّ يُنشد للوطن
يقف الحمام عن الغنـاء مدى الزّمن
وتغادر العنقاء ساحتها ،
يغادرنا عذابُ النَّفـي ،
لا يبقى للون الجرح في أعماقنا أبداً أثر
والصّدر ينفض صمت غربته المريرة ،
تضحك الشّفة القتيلة كبرياءً ،
حين تنكسر القيودُ ،
علـى القيـودِ ،
وحين تنهمر الرّعـودُ ،
يجـيءُ صوتـي غاضبـاً مثل الرُّعـودِ ،
وصاخبـاً مثل الرُّعـودِ ،
ويلبس الجسد الممـزّق برقهُ النّاريَّ ،
تنتفض الدّمـاءُ ،
تفور ، تصهل في الدّمـاء هنا الجيادُ ،
فكيف يلبسنـي حداد الذكريات ؟
وقد تناثر تحت نَعْلَـيَّ الحِـدادُ ،
غـداة كنت أهـمّ يوماً بالسَّفـر .

* * *

يا من أحبّـكَ ،
لا أحبّـك مترعـاً باليأس ،
مُلتحفَ الرَّدى
وزماننـا زمن التحدّي ،
أن نكـون ، وفي الذرى هاماتنا ،
أوْ لا نكـونْ
فاخلع ضباب الليل عن جسدي ،
وأشعله الطريقَ أمام عيني ،
كي يَمُرَّ دمي الى وطنـي فأول خطـوةٍ ،
هـي حين يجتاز البصر
حقلاً من الألغام مندسّـاً بأوردة الهواء ،
ومائلاً في الرّيح ، ممتزجاً بلون الماء ، ثُمَّ
محاصراً كلَّ العيون
يا أيُّها الجبل المُعانق شَهْقَةَ البَرْقِ ،
انتفض ، وإليك خُذْنـي
حين تغسلني الرّياحُ على جبينك ،
والمطـر
سيهبُّ من جسـدي رمـادي
ثمّ ينفجر الصَّهيلُ على السُّكون

* * *

بُثَّ الحمـاسَ بكبريائـي ،
ها أنا مازلت أبعث في الذين أحبّهم
وهجي ،
وما مات الذي صلبوه فوق المشرحة
وعلـى المـدى ،
أشرعتُ كلَّ نوافذي ،
يا مُستحِمّـاً بالشُّموس ،
أما دريتَ بأنهـا
من نزف حنجرتي تجيءُ ،
وأنّهـــــا
أبداً على مـدّ السّمـاء ملوّحة
وهي النّسـور ، إذا مضيتُ لهـا أغنّـي ،
من صبابتهـا تعانقنـي ،
وتحملني الى الفردوس فوق الأجنحـة

* * *

وطنـي يُجـاور مقلتيكَ ،
وأنت نهر العشق يحفر في العظام مصَبّـهُ
ويغوص في لحمـي هنا ،
وأحبُّـــــهُ
ويظلُّ يشعلني ويقتلني ويذبحني هوى ،
وأحبُّــــهُ
وكما تغلغـل في دمـي
ومضى يُذَوِّبُ نبضَ قلبي في هواهُ ،
فإنّنـي وجْداً أموت غداة أُشعل قلبَهُ

* * *

جرحي يناضل في الخنادق ،
قل : هل الصوت المقاتل كان أقوى
أم هـوالصّخب الذي حشروه في عقب البنادق؟
إن صوتي سوف يبقى
والذي قبلي ، مشـى قبلي ،
وبعدي من يجيء ،
فسـوف يمضي ،
والذي يبقـى ، أنا
جيلٌ تقاسـم والدّهـور خلودها ،
والبدء دوماً من هنـا .

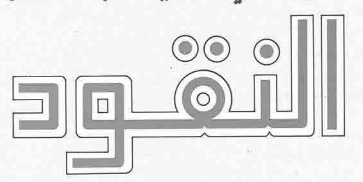
* * *

أرَخْ على شفـة العواصف ،
أن صدراً كان مستعر العواطف ،
لا يمـــــوتُ ،
وأن نبضاً مثلما أعطى صباه لعشقـهِ
أعطـى صباه لساحـهِ
وكما ينزُّ دم علـى هذا الثرى
يُذكي لهيب جراحـهِ
فهناك نبض هوى يثورُ ،
كما اللَّظـى في عرقـهِ
وكلاهما :
نـزق الشّمـوس على جبين صباحـهِ

* * *

الـريـاض

قصـــة الأوراق التي تملأحياتنــا بالسـعادة والخوف



كيف نشـأت العُملة الورقيَّـة ، وكيف تـتم حمايتــها من التـزويـر .. وماهي الصور والرسومات التي تستخدمها الحكومات المختلفـة .. وماهي أقـدم عُملة ورقيـة .. وماهي أكبر عُـملة ؟

بقلم : عبـــود عطيـــة

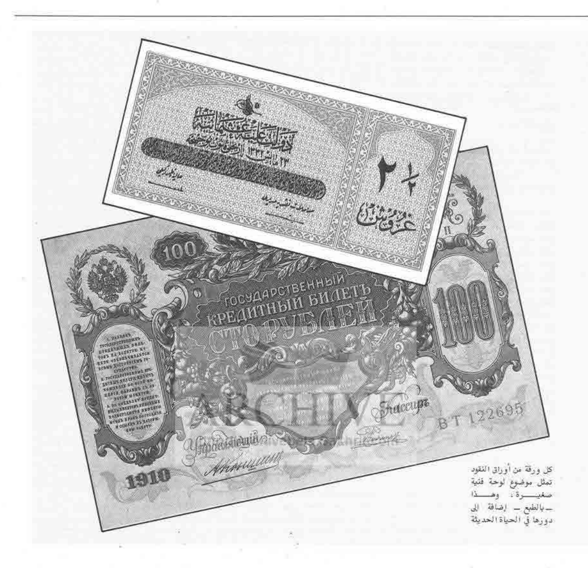
إننا نمسك بها ، نعطيها ونأخذها ، نضعها في جيوبنا ونسقها بعناية في محافظنا ، إنها الأوراق النقدية التي باتت تشكل جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية ، ومع ذلك فإننا نجهل عنها كل شيء . إذ باستثناء القدرة الشرائية التي تحملها ، فاننا لا نعرف شيئاً عن هذه الأوراق الصغيرة الملونة التي باتت محرك الحياة الحديثة ووقودها ، والقادرة على دفع الانسان إلى ارتكاب أكثر الأعمال جنوناً .

يبدأ عالم الأوراق النقدية عادة في المصارف المركزية التي تحدد مواصفات القطع التي تنوي اصدارها ، وقيمتها الاسمية ، وشكلها ومقاييسها ، والرسم الذي يجب أن تحمله . وتضع المصارف المركزية دفاتر تحوي شروطها وتتعلق بالمسائل التقنية مثل نوعية الورق وسماكته ومدى الضمانة المطلوبة ضد التزوير ... الخ . وبعد أن ينجز فنانو الحفر الكليشيه حسب المواصفات المطلوبة ، وبعد أن يحصل الكليشيه على موافقة المصرف المركزي والمطبعة ، يتم طبع الأوراق النقدية على ملازم تتضمن الواحدة منها ٣٢ قطعة نقدية . وتدور آلات الطبع بسرعة كبيرة تصل إلى حدود طبع ما يتراوح بين ٥٠٠٠ و ٩٠٠٠ ملزمة في الساعة الواحدة وذلك تحت ضغط عالٍ يسمح بنقل كل التفاصيل الصغيرة الموجودة على الكليشيه إلى الورق .

> ● ســـنة ١٩٣٤ تــمّ إصــدار ورقـــة نقــديـــة قيـمتـهاألفــ دولار

قيمة الأوراق النقدية

لكل ورقة نقدية قيمة محددة . وهذه القيمة تتراوح ما بين حد أدنى وحد أقصى . وبشكل عام تضم مجموعة الأوراق النقدية في كل دولة ما بين ٤ و ٦ فئات . وباستثناء الولايات المتحدة التي تضم مجموعتها ١٠ فئات ، فان الدول التي تتداول أكثر من ٨ فئات من الأوراق النقدية تعتبر من الدول التي تعاني من حالة تضخم كبيرة كالأرجنتين مثلاً



كل ورقة من أوراق النقود تمثل موضوع لوحة فنية صغيرة ؛ وهذا ـ بالطبع ـ إضافة إلى دورها في الحياة الحديثة

حيث كان يتم تداول أوراق تتراوح فئاتها ما بين البيزوس الواحد والمليون بيزوس . وهنا تجدر الاشارة الى أن القطع الصغيرة من هذه الفئات لم تكن تحمل أية قوة شرائية الأمر الذي دفع الأرجنتين مؤخراً إلى استبدال البيزوس بعملة جديدة هي « الأوسترال » .

أما أثمن ورقة نقدية تم طبعها حتى الآن فهي من فئة مئة الف دولار أمريكي تم اصدارها سنة ١٩٣٤ ؛ إلا أن تداولها بقي محصوراً على المصارف الاتحادية في أمريكا .

وأما أكبر الأوراق النقدية التي تم تداولها فهي أمريكية أيضا من فئات ١٠٠٠ و ٥٠٠٠ و ١٠,٠٠٠ دولار . وعلى الرغم من أن اصدار هذه الأوراق قد توقف في ١٤ تموز « يوليو »

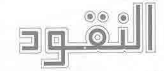
● كانت بعض الحكومات تقوم بتزوير النقود لهدم اقتصاد الأعداء

١٩٦٩ . فانها ما تزال تحتفظ بقيمتها ويتداولها الناس . إلا أنها في كل مرة تقع في أيدي المصارف الاتحادية ، يتم سحبها من التداول واتلافها .

المساحة والشكل

لقد تغيرت مقاييس الاوراق النقدية باستمرار . وكان هذا التغيير يتجه في معظم الأحيان من المقاييس الكبيرة نحو المقاييس الصغيرة .

فأقدم ورقة نقدية معروفة اليوم هي ورقة صينية من عهد الأسرة مينغ وقيمتها ألف « سابيك » ، وهي أكبر قطعة معروفة من



حيث المقاييس اذ يبلغ طولها ٣٤.٤ سم وعرضها ٢٣ سم. وفي أوربا وبعدما كانت المقاييس الكبيرة سائدة في مطلع القرن ، بدأت تصغر تدريجيا . وذلك لأسباب عديدة منها أن الأوراق الكبيرة الحجم تفرض طيها عدة مرات مما يعجل في اتلافها . إضافة إلى أن الطيات المتتالية قد تحجب الأرقام التي تشير إلى قيمة الورقة الإسمية وتسمح بالتالي بالوقوع في الأخطاء خلال التداول . كما أن تطور نوعية الورق وازدياد تقنيات الطبع تعقيداً رفعا سعر كلفة اصدار الأوراق بشكل كبير . مما فرض تصغير مقاييس القطع للسماح بطبع عدد أكبر من القطع على الملزمة الواحدة .

وبشكل عام يمكن القول إن هناك ثلاثة أنواع من المقاييس المعتمدة حالياً وهي :

ـ المقاييس الموحدة .

ـ المقاييس التي تكبر أحجامها تدريجيا ، أي تكبر مع ارتفاع قيمة القطعة .

ـ المقاييس التي تبقى نفسها من ناحية العرض ، إلا أنها تكبر بالطول .

وإن كانت معظم دول العالم قد اعتمدت المجموعات التي تكبرمقاييسها تدريجياً فذلك يعود إلى سببين :

أولا : تلافي الوقوع في أخطاء خلال تداول الأوراق وعدم الخلط بين الفئات المختلفة .

ثانياً : أن الأوراق الكبيرة في هذه الحالة تتميز بكبر مساحتها التي تسمح باضافة الكثير من التعقيدات الطباعية والعقبات التقنية في وجه المزورين .

الموضوع

لكل قطعة من هذه اللوحات الفنية الصغيرة موضوع . وحتى مطلع الثلاثينات . كانت أوراق النقد الأوربية تحمل رسوماً رمزية تمثل التجارة . الفنون ، العلوم ، الزراعة ، العمل وما شابه ... وهذا النمط كان قد رأى النور في أواخر القرن التاسع عشر واستمر حتى منتصف القرن العشرين ولكن . وتدريجياً ، تغيرت الأذواق والأفكار ، وتغيرت بالتالي مواضيع الأوراق النقدية . وهكذا . وفي النصف الثامن من القرن العشرين تبنت معظم الدول الغربية صور الشخصيات الكبيرة التي لعبت في وقت من الأوقات أدواراً مهمة في تاريخها . قد تكون هذه الشخصيات رؤساء جمهوريات كما هي الحال على الدولارات الأمريكية . أو رجال علم وفن وأدب كما هي الحال على الأوراق الفرنسية والايطالية والانكليزية والسويسرية وغيرها .

وبصورة عامة ، تقوم الدول التي حصلت على استقلالها حديثا بطبع صور زعماء حروبها التحريرية ، وحتى رؤساء جمهوريتها الذين يصرون على الظهور على الأوراق النقدية (وفي بعض الأحيان لاضفاء مزيد من الشرعية على سلطاتهم) وهذه هي حال عدد كبير من الدول الافريقية مثل أنغولا ، بوتسوانا ، سيراليون ، كينيا ، زائير ، تانزانيا أو الدول التي يحكمها ديكتاتوريون كما كانت الحال في أوغندا ، وأفريقيا الوسطى . ولكن يجب الاعتراف أن هذا التيار بدأ بالاختفاء تدريجياً في السنوات الأخيرة ، وذلك بسبب عدم استقرار الأنظمة السياسية في هذه البلدان . والتكاليف الكبيرة لعمليات استبدال الأوراق النقدية بأخرى . ففي السنوات الثلاث الأخيرة لم تظهر على الأوراق النقدية الأفريقية أية شخصية سياسية معاصرة . بل مجرد رسوم تمثل الفن الأفريقي والثقافة الأفريقية والتطور الصناعي والتجاري .

أما بلدان شرق أوروبا فيبدو أنها تميل إلى المشاهد التي تمثل فضائل العمل والجهود التي يبذلها الحكام في ميادين التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وهكذا نرى على أوراقها عمالاً وعاملات يمارسون مهنهم في شتى الحقول . وهذه هي حال الصين وعدد كبير من الدول الافريقية واللاتينية . وهناك دول تزين أوراقها بصور أبطال نهجها السياسي ، ودول تعرض مصادر ثروتها الوطنية وأسباب نهضتها الاقتصادية كما هي الحال بالنسبة للعراق والمملكة العربية السعودية .

أما البلدان التي لها ماض ثقافي وحضاري عريق ، فتنكشف صور العظماء عن أوراقها النقدية أمام مشاهد الآثار المشهورة كما هي الحال على الأوراق المصرية واللبنانية والأردنية التي نرى عليها صور آثار وخرائب باقية من العصور الغابرة ، أو تايلاند التي تفضل تكريم معابدها المشهورة .

وأخيراً هناك البلدان التي ليس عندها ما تعتز به أكثر من طبيعتها الجغرافية ، والتي تتطلع إلى السياحة كصناعة وطنية أولى والأوراق النقدية في هذه البلدان تحمل مناظر طبيعية تبدو وكأنها التقطت في الفردوس : عصافير ، أزهار ، حيوانات ، أشجار ... وهذه هي حال دول البحر الكاريبي والباهاماس وسري لانكا ونيوزيلانده وسينغافورة ..

● أقدم ورقة نقدية معروفة هي ورقة صينية طولها ٣٤ سنتيمتراً

الرسم الضوئي

إضافة إلى الرسم الملون الذي تحدثنا عنه ، هناك رسم آخر . فعندما ينتابنا الشك أمام ورقة نقدية في ما إذا كانت مزورة ، فأول ما نقوم به هو تعريض الورقة إلى النور والتطلع إلى الرسم الضوئي .

يتم انجاز الرسم الضوئي بواسطة تغيير كثافة الورق وسماكته في بقعة معينة . وهناك أربعة أنماط من الرسم الضوئي : الرسم الذي يمثل حيواناً أو زهرة . أو الذي يمثل شعار البلاد صاحبة الاصدار ، أو الذي يمثل شخصية رمزية أو أسطورية ، أو الذي يمثل شخصية معروفة ، وفي معظم الأحيان تكون صورة هذه الشخصية مرسومة بالألوان في مكان آخر من القطعة النقدية أو على قطعة أخرى .

وعلى الرغم من أن توفير الضمانات ضد التزوير يعتبر من مهمات الرسامين وصانعي الحبر ، والحفارين ، ومصانع الورق الذين يقومون جميعاً بانتاج القطعة النقدية ، فان الرسم الضوئي ما يزال يشكل حتى الآن أكبر ضمانة ضد التزوير . وعلى الأقل من وجهة نظر الانتربول . في أواخر الحرب العالمية الثانية ، كانت ٦٠ بالمائة من دول العالم تستعمل أوراقاً نقدية مزودة برسم ضوئي ، وارتفعت هذه النسبة في الوقت الحاضر إلى حوالي ٧٨ بالمائة .

خيط الأمان

بعد الرسم الضوئي تمكنت مصانع الورق من اكتشاف وسائل جديدة توفر ضمانات إضافية مثل « خيط الأمان » . وهو خيط رفيع كان أصلاً من الفضة ابتكره صانع الورق الانكليزي بورتان بعد الحرب العالمية الثانية بناء على طلب الحكومة البريطانية التي رغبت في وسيلة تسمح لها برصد الأوراق النقدية التي كانت تهرب ضمن الرسائل البريدية . ولكن الخيط الفضي تسبب في مشاكل كبيرة خلال عملية الطباعة إذ كان يتسبب في تمزيق الأوراق ، وفي تخريب الكليشيه الذي كان يمر عليه . وتدريجياً تم استبداله بخيط من البلاستيك الذي يمكن ملاحظته على معظم الأوراق المتداولة اليوم .

الورق : سميك ورقيق

أما الورق الذي تطبع عليه الأوراق النقدية فينقسم إلى نوعين : سميك ويستعمل في البلدان الانكلوساكسونية وفي الدول التي تعرف تقلبات مناخية كبيرة . ورقيق ويستعمل في بعض



هذه الورقة النقدية وغيرها من النقود في العالم لابد أن تتوفر لها الضمانات الكافية ضد التزوير

الدول مثل فرنسا وبعض دول أفريقيا الغربية.

وفي الواقع، فإن الورق الرقيق يتمتع بدرجة عالية من الشفافية مما يسمح بمراقبة سهلة، واكتشاف عمليات التزوير. وقد ثبت في السنوات الأخيرة أن الورق الرقيق يوفر للأوراق النقدية ضمانات أكبر ضد التزوير. وهو في الوقت نفسه متين بما فيه الكفاية ليحتمل آلات المطابع السريعة جداً. إلا أن سلبيته الرئيسية تكمن في صعوبة استعماله وتعرضه للتلف بسرعة:

التزوير

كل حديث عن الأوراق النقدية غير كامل ما لم يتم التطرق إلى موضوع التزوير.

وفي الواقع، فإن العملة المزورة تعتبر توأما للعملة الصحيحة وذلك منذ أقدم العصور وحتى اليوم. فالتاريخ ينقل إلينا أن بوليقراطيس اليوناني خدع الاسبارطيين سنة ٥٤٠ ق. م. بنقود ذهبية مزورة. وكان ظهور الأوراق النقدية دافعاً «شجع» المزورين على المضي في مهمتهم. في القرن الثالث قبل الميلاد، حملت الأوراق النقدية الصينية تحذيراً للمزورين جاء فيه: «يتم تداول الورقة النقدية الثمينة مينغ العظيم إلى جانب النقود البرونزية. المزورون يعدمون. وكل من يقدم معلومات تؤدي إلى توقيف المزورين وادانتهم يحصل على مكافأة مقدارها ٢٥٠ مكيال من الفضة إضافة إلى أملاك المجرم».

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وعندما شاع استعمال الأوراق النقدية، وشاع تزويرها أيضاً، تداعى عدد من الدول الأوربية للبحث في كيفية معالجة هذه الآفة. وتقرر في العام ١٨٨٨ وضع مشروع يسمح بضبط التزوير ومكافحته. إلا أن هذا المشروع لم ير النور إلا في ٢٠ نيسان ١٩٢٩ عندما تقرر انشاء «المكتب الدولي للشرطة الجنائية» أي «الانتربول». أما العقوبة التي كانت تنزل بالمزورين فكانت حتى مطلع القرن العشرين الاعدام. وبقيت العقوبة نفسها في البلدان الاشتراكية حتى يومنا الحاضر، أما في دول الغرب فقد استبدلت هذه العقوبة بالسجن المؤبد.

ويعتمد المزورون بشكل رئيسي في عملهم على جهل الناس للتفاصيل الموجودة على الأوراق النقدية التي يتداولونها حتى أن الكثيرين منا لا يستطيعون أن يتذكروا الوضع الموجود على الأوراق التي يتعاملون بها يومياً. وتعتبر الأوراق من ذوات القيمة المتوسطة كالعشرين دولار الأمريكية غالية على قلوب المزورين لأن القطع الصغيرة تقلل من الأرباح، والقطع الكبيرة جداً قد تلفت الأنظار.

ولئن كانت هناك أوراق نقدية مزورة يسهل اكتشافها فوراً. فهناك أوراق تكاد تطابق الأوراق الصحيحة مثل تلك التي طبعها بارزارسكي سنة ١٩٦٠ والتي حيرت مصرف فرنسا حيث رفض المسؤولون فيه في البدء الاعتراف أن الأوراق التي طبعها هذا الرجل كانت مزورة. واليوم، يقدر عدد القطع النقدية المزورة المتداولة حالياً في الدول الصناعية بقطعة واحدة مقابل كل مئة ألف قطعة صحيحة. وبشكل عام، فإن الاوراق النقدية التي تزورها عصابات لا يمكنها أن تشكل خطراً على عملة دولة. ولكن التزوير الذي يحظى بدعم الحكومات التي تملك التقنيات اللازمة، يمكنه أن يشكل سلاحاً خطراً لجأت إليه في الماضي العديد من الحكومات لتدمير اقتصاد أعدائها.

● قصة خيط الأمان الذي يكشف عمليات التزوير في النقود

عمر الأوراق النقدية

للأسف الشديد، لا تعيش الأوراق النقدية طويلاً، وعمرها مرتبط بتداولها. في الولايات المتحدة على سبيل المثال تعيش الأوراق من فئة دولار و خمسة دولارات حوالي ١٨ شهراً فقط. أما الأوراق من فئات ١٠ و ٢٠ و ٥٠ دولاراً فتعيش ما بين سنتين وثلاث. أما ورقة المائة دولار فتعيش حوالي ٦ سنوات.

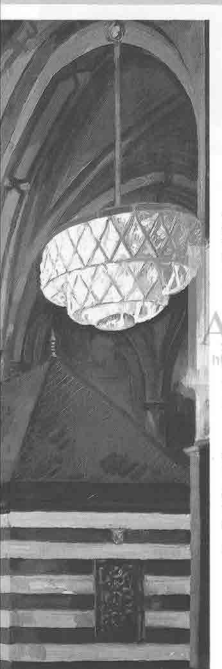
وفي الغرب مراقبة شديدة على نظافة الأوراق. وخاصة في بريطانيا وألمانيا الاتحادية وفرنسا. وتستهلك كل من هذه الدول حوالي ٦٠ طناً من الورق سنوياً لطبع أوراق جديدة تحل محل القديمة. وفي الولايات المتحدة يتم طبع ١٦ مليون قطعة نقدية كل يوم لاحلالها محل الأوراق القديمة.

في كل مرة يتلقى مصرف ما مبلغاً من المال يقوم بفرز القطع الممزقة أو القذرة أو ما شابه ويسلمها إلى المصرف المركزي الذي يقوم باتلافها. ومهما طالت مدة استعمال الأوراق النقدية. فاسباب استبدالها هي عادة نفسها أينما كان في بريطانيا والبلاد العربية وأوربا وأفريقيا. فهناك ٨١ بالمائة من الأوراق التي تستبدل لانها قذرة، و٩ بالمائة لانها ممزقة، و٥ بالمائة لان ورقها تعرض للاهتراء. و٤ بالمائة لأن الأوراق تحمل كتابات يدوية.

الأوراق باقية

عندما ظهرت الشيكات وبطاقات الاقتراض، اعتقد الكثيرون أنها ستلغي الأوراق النقدية، أو ستضعف من حجم تداولها. ولكن ما حصل كان عكس ذلك. فالولايات المتحدة. الأولى في العالم من حيث تطور نظام الشيكات وبطاقات الاقتراض، تزيد من عدد القطع النقدية التي تتداولها حوالي ٦ أو ٧ بالمائة سنوياً. ومنذ العام ١٩١٤. وحتى اليوم. تضاعف عدد الأوراق النقدية المستعملة في العالم ٢٩ مرة. وفي سنة ١٩٥٠ استهلك العالم ٦٠٠٠ طن من الورق لطبع العملة. وفي العام ١٩٨٠ ارتفعت هذه الكمية إلى ١٥,٠٠٠ طن. كل هذا يؤكد أن هذه الأوراق الصغيرة الملونة، وهذه الأعمال الفنية الصغيرة التي لا يرفضها ناقد ستبقى موجودة ما بين أيدينا وفي جيوبنا وخزائننا حتى وقت طويل.

عبود عطية — بيروت



الحَرَم الأبراهيمي

« إذا كان المسجد الأقصى بالقدس الشريف ثالث مكان إسلامي مقدس على سطح المعمورة ، بعد كل من بيت الله الحرام في مكة المكرمة ، والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة ، فلا ريب أن الحرم الابراهيمي بالخليل المحتلة هو من أهم المساجد التي يجب أن تنال اهتمام المسلمين في كل بقاع الأرض .

وقد كرّم الله صفيه وخليله ابراهيم بأن جعله أبا الأنبياء وأول المؤمنين .. وثمة ، ـ في اعتقادي المتواضع ـ أكثر من داع فقهي إسلامي لأن نزلزل نهائياً بعض قناعتنا الراكدة ، الخاملة ، والمقبوسة أساساً عن أساطير التوراة الوضعية ، المؤلفة بشرياً بمزاعم اليهود عن الخليل ابراهيم وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » ..

كما أن الآيات البينات توضح دين أنبياء الله في قوله تعالى :

« ووصى بها إبراهيم بنيه ، ويعقوب (أي هو الذي وصى بنيه أيضا) . يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت . إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي . قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم ، واسماعيل ، واسحق ، إلهاً واحداً ، ونحن له مسلمون .. البقرة ١٣٣/١٣٢ » .

على أية حال ، تقوم الديانة اليهودية ، من أساسها على مبدأ انتحال نسبتها العرقية ، وبنوتها الروحية أيضاً ، لابراهيم ، واسحق ، ويعقوب ، عليهم السلام .. ومن هذا المدخل يجأر الصهيونيون المعاصرون ، ويتشدقون ، بدعواهم التاريخية الباطلة في فلسطين كوطن ، وفي مقدساتها الاسلامية العريقة في غور الزمان منذ عهد ابراهيم ، كمواقع دينية ذات أصول يهودية ، فهل الذين يزعمون أنهم يهود اليوم ينتسبون إلى نبي الله يعقوب ؟ ..

أما وأن الغزاة اليهود المعاصرين لا يترددون مطلقاً في الجهر بعزمهم على تهويد الحرم القدسي الشريف ـ أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ـ بزعم أنه ينهض على موقع الهيكل السليماني الذي ما من أية قرينة علمية ، آثارية ، تدل على حقيقة حجمه ، أو موقعه حتى الآن ، فإن هؤلاء الغزاة الكفرة القتلة ، سفكة الدماء ، قد قاموا بعدة حفريات أثرية ، شكلية ، عند أساسات المسجد الأقصى ، وهم موقنون سلفاً بأنهم لن يصادفوا أية لقية أثرية تشير الى هيكلهم السليماني المزعوم من قريب أو بعيد ، وإنما لمجرد اختبار وقياس ردة الفعل العربية والاسلامية إن هم أقدموا أخيراً على اقتراف جريمتهم المروعة ، والمتوقعة أيضاً ، بهدم الأقصى ، أو بتحويله الى كنيس يهودي ، ما دام الحال العربي على هذا المنوال !! ..

وفي هذا المجال الاختباري أيضاً ، تدرج الغزاة الصهيونيون في تهويدهم للحرم الابراهيمي بالخليل ، خطوة ، إثر خطوة ، منذ أن احتلوه في نكبة حزيران الأسود عام ١٩٦٧ ، وتحت ستار رهيب من الصمت والتغاضي العربي والاسلامي ، كأن شيئاً لم يكن على الاطلاق !! ..

فألف معذرة ، عزيزي قارئ « الدوحة » الغراء ..

فإن هذا المشهد ، على يسار الكلام ، يفترض فيه أنه من أهم المساجد في أرض الله ، وقد تستطيع أن ترى فيه منبر صلاح الدين الأيوبي الذي نقله إليه من عسقلان .. إلا أنك ، عزيزي ، قد تعلم ، أو لا تعلم ، أنه لم يعد كذلك الآن ..

فلقد أصبح كنيساً يهودياً خالصاً .. والسلام !! ..

بقلم: يوسف الخطيب





هذا مكاني

شعر
عيد صالح

وكنتُ
أحاول شد انتباهك ..
بالصمت حينا
وبالضجة المستعارة حينا
أحاصر عينيك ..
أضْربُ حولك سورا
وأزأر حين يمدُّون نحوك طرفا
يفرون يأسا وخوفا

وكنتُ
أراك تحثين خطوك ..
ترتبكين
فيسقط منديلك الأرجوانيّ ..
ألقطه مسرعا بالحنايا
أمدّ عيوني إليك
أراني خلف العيون
برغم التجاهل والكبرياء المزيف
.. والضحكة العصبية

وكنتِ
تروغين
ـ تنْشقّ أرضٌ وتخفيك عني ـ
فأحفر في الأرض طولا وعرضا
أقيم الحواجز في الطرقات
وأعلن عن جائزة
لمن قد رآك

وكنتِ وحيدة
تمدين عبر زجاج القطار عيونك
فيهرب سرب الطيور.. النخيل
قطيع المواشي
نساء القرى يغترفْنَ مياها رواكد
وأعمدة البرق تجري
تسابق ظل السحاب ..
السماء القريبة تسقط ..
عند التلال

وكنتِ وحيدة
برغم الزحام المسافرِ
بكاء الصغار.. الوجوه الكليلة ..
ضجة بعض الرجال ..
ـ هذا مكاني
ـ ولكنه مقعدٌ وعجوز
ويقطع عنف الحوار
زئير القطار.



سباعيّتان

شعر: حسن طلب

(١)

عندما كنت أمارس
مهنة التعليم في إحدى المدارس
وقفت تلميذة تسأل في نبرة يائس
كيف صار الشهر عاماً ؟ ثم عامين ؟ وهذا العام سادس ؟!
فتبادلنا سكوت المتخارس
وبحثنا في الفهارس
عن جواد صادق العينين .. عن سيف وفارس

(٢)

عندما استلقيت منهوك القوى فوق الحشائش
حام من حولي غراب قال : ما حالك ؟ غمغمت : الذي لم يخترمه الموت عائش
فاصطفاني .. حط كالسهم على صدري .. وأهوى بين عَيْنَيَّ بمنقار شديد البطش طائش
فاقشعر الجلد مني .. وهوى منكمشاً قلبي .. تأوهت بصوت خافت النبرة راعش
وهوى كل على صاحبه .. حتى سقطنا بين منهوش وناهش
فبحثنا في الهوامش
عن جراح لم تزل تنزف همًّا .. عن دم ما زال في الشريان جائش

اتجاهات الفن التشكيلي في قطر

● نظرة نقدية في المعرض السنوي الأخير للجمعية القطرية للفنون التشكيلية

بقلم
صبحي الشاروني

لم أتردد في قبول دعوة الجمعية القطرية للفنون التشكيلية لزيارة مدينة الدوحة بمناسبة معرضها السنوي الخاص ، خلال النصف الثاني من شهر ديسمبر الماضي .. فقد اعتبرت هذه الدعوة تقديراً عملياً وملموساً لما أنشره في مجلة « الدوحة » من دراسات حول الفنانين وأعمالهم .

واعتذرت عن كل ما ارتبطت به من مواعيد في تلك الفترة .. وبعد أقل من أسبوع من ابلاغي بهذه الدعوة حملت حقيبتي وسافرت ، لأشاهد هذا المعرض وأعيش بين ٦١ عملاً تمثل آخر ما أبدعه ٢٨ فناناً قطرياً .

ولأن المعرض أقيم في نفس الفندق الذي نزلت به ، فقد عشت مع هذه الأعمال أسبوعاً كاملاً أراها كل يوم صباحاً ومساء ، أتأملها وأناقشها مع أصحابها ، أسجل ملاحظاتي ،أستمع وأتحدث وأسأل وأحاضر عن الفنون الجميلة .. لقد كان أسبوعاً من العمل الممتع ؛ أحسست خلاله أنني أفدت واستفدت .

كان لقائي الأول بالحركة الفنية القطرية عام ١٩٧٤ ، عندما شاهدت أعمال عدد محدود من فناني قطر في معرض السنتين العربي الأول (البينالي) الذي أقيم في بغداد عام ١٩٧٤ وقد نظمه اتحاد الفنانين التشكيليين العرب .

وكان اللقاء الثاني عام ١٩٧٧ من خلال الكتاب الذي أصدره في ذلك التاريخ الفنان الراحل جمال السجيني بعنوان الفن التشكيلي في قطر وقدم عشرة فنانين فقط حتى بدا لي أنهم كل فناني قطر في ذلك الوقت .

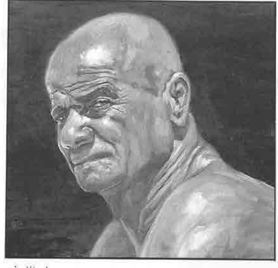
أما اللقاء الثالث فكان من خلال تقرير أعده تفتيش التربية الفنية بوزارة التربية والتعليم عن الفنون التشكيلية في دولة قطر مقدم الى مؤتمر الفنون التشكيلية في الوطن العربي الذي عقد في دمشق عام ١٩٧٥ وصدر في كتاب عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة عام ١٩٧٩ يضم التقارير المقدمة لهذا المؤتمر من مختلف الأقطار العربية .

أما اللقاء الرابع فكان عام ١٩٨٤ في صالون الفن العربي (بينالي القاهرة) وقد شارك في هذا المعرض عشرة فنانين قطريين .

كان الانطباع الذي تركته هذه اللقاءات الأربعة غير محدد الملامح ، حيث احتلت الحركة التشكيلية في قطر موقعاً متواضعاً بين الحركات الفنية الأكبر سناً والأكثر أعضاءاً والأوسع شهرة في أقطار عربية أخرى حتى كان لقائي الخامس في شهر ديسمبر الماضي ، لأعيش متفرغاً مع الفن القطري عام ١٩٨٥ .. فتعرفت عن قرب على عدد أكبر من الفنانين وعدد أكبر من الأعمال ، واستوعبت صورة تكاد تكون كاملة عن الفنون الجميلة القطرية . لا ينقصها إلا التعرف على البدايات واستيعابها عند كل فنان من حيث تطوره السابق ومسار انتاجه الفني .. وقد تحقق هذا الأمر أيضاً بالنسبة لفنانين أو ثلاثة .

تعدد الأساليب

من الملاحظات الملفتة للنظر فى هذا المعرض تعدد الأساليب .. وأنا لا أقصد تنوع أساليب الرسم عند الفنانين القطريين فهذا أمر منطقي فى معرض عام يضم نماذج من أعمال ٢٨ فناناً . بل ان التنوع أمر ايجابي ودليل خصب الحركة الفنية وثرائها .. ولكن الملاحظة التي لفتت نظري هي تعدد الأساليب لدى الفنان الواحد في لوحاته المعروضة والتي رسمت في نفس المرحلة وتحمل كلها تاريخ ١٩٨٥ ..



يوسف الشريف



علي حسن



سنان المسلماني



عيسى الغانم

حتى تحسبها لفنانين مختلفين لشدة التباين في طرق الرسم ..

تنطبق هذه الملاحظات على لوحات الفنانين : سلمان المالكي ، ووفيقة سلطان سيف ، وسلطان السليطي ، وحسن الملا ، وأحمد السبيعي ، وسنان المسلماني ، وخولة المناعي ، ووفاء الحمد ، ويوسف الشريف .

الاتجاه التسجيلي

الاتجاه التسجيلي هو الاتجاه الغالب في المرحلة الحالية على فناني قطر . وأقصد بالاتجاه التسجيلي الاهتمام بتسجيل البيئة وتأكيد الملامح الخليجية عن طريق تصوير عناصر موجودة في الطبيعة أو كانت موجودة ثم اندثرت . في هذه اللوحات نحس ما يختلج في وجدان الفنانين من أسى على ضياع ما اندثر من الماضي تحت وطأة المدنية الحديثة .. فهناك اهتمام عام بتسجيل التراث القديم والبيئة الفطرية عندما كانت المهنة الرئيسية للسكان هي صيد اللؤلؤ .

وانني أعتقد أن هذا الطابع العام المميز لاهتمامات الفنانين القطريين يمثل الطريق السليم لتطبيق أسلوب خاص وطابع مميز لفناني قطر ، وربما كل فناني الخليج .

كما أن هذا الاتجاه يلقى تأييداً وتشجيعاً من الجمهور ومن المسئولين الذين يرحبون بالطابع الخليجي . فنجد أن أكبر لوحات المعرض مساحة تدخل في هذا الاتجاه ، وعلى رأسها لوحة الفنان سلطان الغانم التي تصور الجامع الكبير ذي القباب الذي اندثر ، ولوحة محمد الجيدة الصيد باستخدام الصقور .

اتجاهات الفن التشكيلي في قطر

سلمان المالكي

ولوحتا سلمان المالكي وأعمال وفيقة سلطان سيف وسلطان السليطي وأحمد هلال ويوسف الشريف ، وحتى لوحات أحمد عبدالله التي تصور وجه اعرابي مع جماله هي من هذا الاتجاه وإن كان الفنان قد استخدم الأسلوب التأثيري الذي يهتم بالأضواء والظلال وانعكاسات الألوان ليعالج بها موضوعه التسجيلي .

وتدخل في هذا الاتجاه أيضاً لوحات الفنانة سلوى شريم ، وأحمد زيني وأحمد الملا ، وأمينة المناعي ، وسيف الكواري .

كما تمثل لوحة الفنان عيسى الغانم تسجيلاً للأزياء الوطنية ولكن بطريقة فيها تبسيط شديد ، تتميز بلمسات القرشاة الحرة وطزاجة الألوان وخشونة الرسم مما يعطي حيوية شديدة للموضوع .

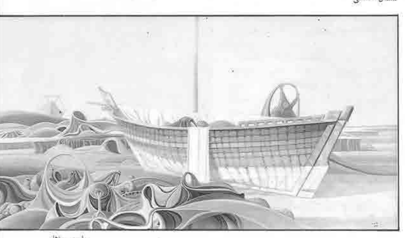
وتجدر الاشارة هنا الى أن الرسم بالأسلوب التأثيري يمكن استخدامه في لوحات تسجيلية الموضوع وليس شرطاً أن تكون اللوحات التسجيلية مرسومة بأسلوب أكاديمي طبيعي . فالاهتمام بالاضاءة في اللوحة والانعكاسات الناتجة عن الظل والنور ليست هي موضوع العمل الفني وإنما هي اسسلوب في الرسم لابراز موضوع معين كتسجيل مشهد طبيعي أو منظر داخل الجدران أو وجه رجل قوي التعبير كوجه الغواص المعبر عن التحدي للفنان يوسف الشريف .

فن البورتريه

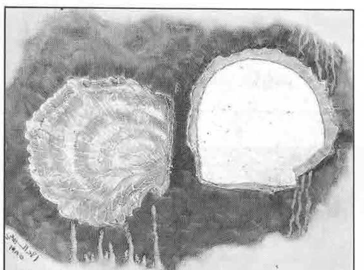
يندرج تحت هذا الاتجاه فنانان اهتما بتسجيل ملامح الوجوه (فن البورتريه) ، الأول هو فرج دهام الذي يعرض خمس لوحات قوية التعبير كلها تصور وجه امرأة سمراء ، يخيل للمشاهد أنها لوحات افريقية ، ثم لا تلبث أن تكتشف طابعها القطري . فبمهارة واضحة أوحى للمشاهد بالتجسيم من خلال المناطق المضيئة اللامعة حتى في الشعر ، بينما الخلفية الداكنة أبرزت الوجوه وجعلتها تبدو كالنحت البارز ، وكأنها خارجة من الجدار .

أما الفنان الثاني فهو ابراهيم خلفان الذي عرض لوحتين لوجهين في أوضاع معبرة ، أحدهما منهمك في اصلاح شيء ما والثاني يلتفت نحونا محتجاً صارخاً .

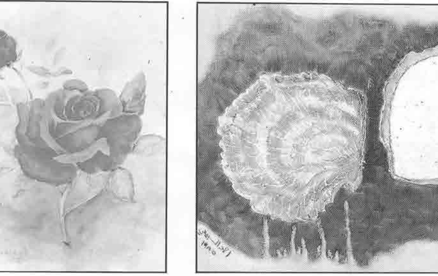
ولاشك أن لوحة الغواص أو التحدي ليوسف الشريف تشترك معهما في تسجيل ملامح الوجه المعبرة (أي فن البورتريه) .



ماجد هلال



أحمد السبيعي



وفاء الحمد



سلوى شريم

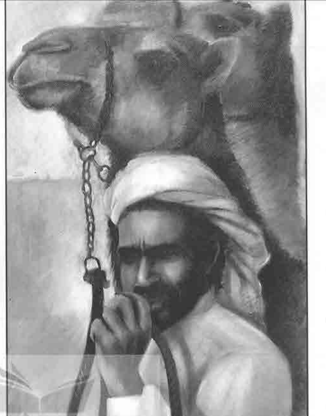
وفيقة سلطان

الاتجاه الزخرفي

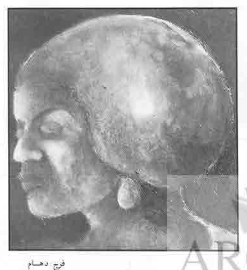
الاتجاه التالي الذي يحتل مساحة كبيرة على خارطة الفن القطري هو الاتجاه الزخرفي الذي يبرز بوضوح في لوحة الفنانة بدرية الكبيسي التي تمتلئ لوحتها بالدوائر الملونة بألوان ساخنة هي الأصفر والأحمر والبرتقالي ، وتبرز من بين هذه الدوائر حروف جملة ، من جدّ وجد ، بألوان باردة هي الأزرق والبنفسجي .. وتنضوي تحت هذا الاتجاه الزخرفي تماثيل الفنان سيف الكواري الذي يحور الأشكال ويبسطها ويلخصها حتى تبدو تماثيله الخشبية كعناصر جمالية مجردة ، ولن لم تفقد صلتها بالشكل الأصلي الذي تعبر عنه ، فهو يحتفظ بالقيمة الزخرفية محترماً خصائص خامة الخشب التي ينحت فيها تماثيله .

تدخل أيضاً تحت هذا الاتجاه لوحة الفنانة خولة المناعي المرسومة بالحبر الأسود وبها تماثل واضح بين نصفي اللوحة ، إنها تصور عيون امرأة مبرقعة ، وتحمل فوق رأسها ما يشبه قارباً أو مركباً وتحيط بهذا الوجه خطوط زخرفية ربما تمثل شعر تلك المرأة أو زينتها .

اتجاهات الفن التشكيلي في قطر



أحمد عبد الله



فرج دهـام

هناك أيضاً لوحات وفيقة سلطان الزخرفية للبيوت القطرية القديمة وهي لوحات ناجحة وموضوعها تسجيلي وإن كان الطابع الزخرفي جعلها تلح تماماً كعناصر ديكورية .

الاتجاه الحروفي

وأقصد بهذا الاتجاه استخدام حروف اللغة « العربية » في إقامة تشكيل ملون تجريدي المظهر ، ويقف على رأس هذا الاتجاه الفنان علي حسن الذي تفصح لوحاته الخمس عن خبرة طويلة في كتابة الخط العربي التقليدي قبل أن يتجه إلى تشكيل لوحاته ذات الجماليات المطلقة من حروف الخط الفارسي ، وهو يستخدم أساليب الجرافيك لطباعة عدة نسخ فنية من بعض تكويناته ذات المظهر التجريدي .

تدخل في هذا الاتجاه أعمال الفنان يوسف أحمد التجريدية التي قامت في أصلها على خبرات في اللوحات الحروفية .. لكنها في أعماله التي شارك بها في هذا المعرض وأصبحت أشكالاً تجريدية مطلقة ، لا تظهر قيمتها إلا إذا استخدمت تطبيقياً في الطباعة على غلاف كتاب أو ورق حائط أو غير ذلك .

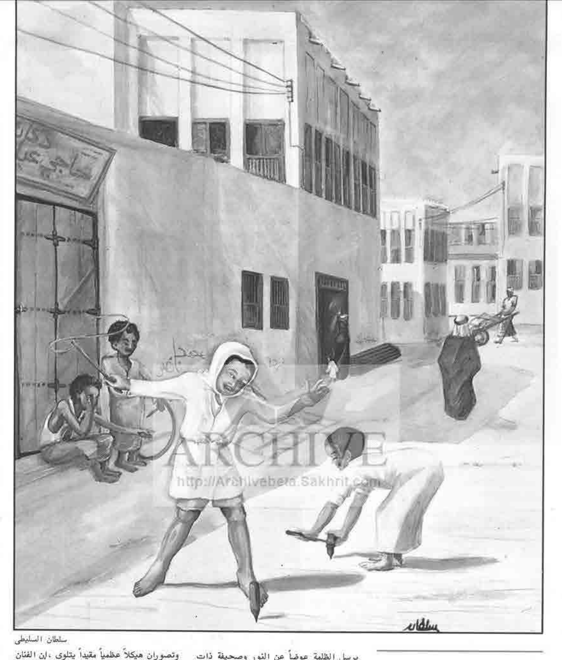


أحمد المـلا

الاتجاه الخيالي

هو اتجاه ينطلق فيه الفنان مع خياله فيرتب العناصر ترتيباً خيالياً يتميز بالرقة والألوان المبهجة ، كالمشاهد التي تعرضها أفلام الرسوم المتحركة ، على رأس الأعمال التي تسير في هذا الاتجاه لوحة للفنان سلمان المالكي التي تضم عناصر زخرفية من التراث الخليجي مع فرسين في بؤرة اللوحة يؤكدان الأصالة العربية والفروسية . وهناك لوحتان للفنان سلطان السليطي رغم صغر حجمهما إلا أن الفانتازيا والرومانسية تشعان منهما ، ثم لوحة أحمد السبيعي التي تصور قباباً في أوضاع خيالية .

ويتربع على رأس هذا الاتجاه الفنان ماجد هلال ، فأعماله الخيالية تشعرنا بالتلافيف المعقدة وكأننا على كوكب آخر ، وفي نفس الوقت قد توحي هذه التراكيب اللينة بأنها شعر امرأة مسترسل .



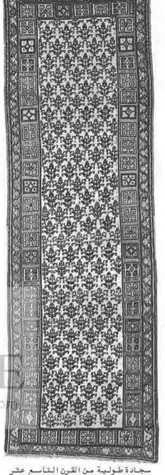
سلطان السليطي

الموضوعات السياسية

لم يخل المعرض من أعمال تعرض بشكل مباشر للأحداث السياسية وتأثيرها على الفنان المرهف الحساسية في هذه المنطقة الساخنة من العالم ، على رأس هذه الأعمال لوحة جاسم زيني عن حرب ناقلات البترول في الخليج ، وهو يستخدم الرموز المباشرة في التعبير عن موضوعه مثل الكرة الأرضية والمصباح الذي يرسل الظلمة عوضاً عن النور وصحيفة ذات عنوان مثير فضلاً عن مشهد الطائرات والناقلات المشتعلة .. إنها من اللوحات الكبيرة الهامة في هذا المعرض . وفي نفس هذا الاتجاه قدم حسن الملا لوحة تصور ثلاثة أشخاص يقفون على تل يضيئه وهج القنابل ، بينما قصاصات الصحف في مقدمة اللوحة وعنوان ضخم : « الدول العربية تستنكر » إنها من اللوحات السياسية المباشرة الواضحة الهدف .

بقيت لوحتا الفنان محمد علي عبدالله وتصوران هيكلاً عظمياً مقيداً يتلوى ، إن الفنان يعبر بأسلوب مسرحي عن مأساة باطنية .. حتى أن المشاهد الحساس لهاتين اللوحتين يمكن أن يذرف الدموع لشدة تعبيرهما المبالغ فيه عن التعذيب ، وهو بلا شك رمز غير مباشر للعذاب النفسي وتعبير عن العجز أمام الأحداث الكبرى التي لا يملك الانسان الفرد أن يغير مسارها .

صبحي الشاروني



سجادة طولية من القرن التاسع عشر مازال صوفها محتفظا بلونه الطبيعي



سجادة من منطقة « قاشان » بإيران ، وفي وسطها تصوير للصيد بالصقور ، وعلى حافاتها كتبت قصة الصيد كاملة



كتاب الشهر

السجاد الإسلامي

لوحات من الفن الرفيع بهرت الدنيا

عرض وتقديم : حسني شحادة



سجادة نادرة من النوع المعروف بذات الزهريات وتعود الى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى

سجادة من الحرير الخالص من جنوب القوقاز تعود الى بداية القرن الثامن عشر

تفتقر المكتبة العربية إلى تغطية علمية شاملة للفنون الاسلامية . التي شهدت ازدهاراً ، أعطى لتلك العصور ، صور العبقرية العربية الاسلامية ، التي تجلت في كافة علوم المعرفة ، في وقت كان الجهل سائداً ، والظلام دامساً ، في البلاد التي لم يشرق عليها الاسلام بنوره ، هادياً ومعلماً . وعندما انفتحت تلك البلاد على بلاد المسلمين ، انبهروا بما حققه علماء المسلمين من إنجازات إبداعية ، فانكبوا ينهلون من هذا السلسبيل العذب ، في الوقت الذي أصاب الوهن دولة الخلافةالاسلامية ، فظهرت طائفة من علماء الغرب ، حاولت إنصاف الحضارة العربية الاسلامية . فصدرت دراسات رصينة عن وجوه ومناحي الحضارة الاسلامية ، وكان منها هذا الكتاب الذي نقدمه ، وهوكتاب « السجاد الاسلامي » لمؤلفه « فريدرش سبهلر » مدير متحف الفن الاسلامي ببرلين ، والذي يلقي الضوء على هذا الفن الاسلامي العريق .



السجاد الاسلامي



سجادة من شمال غرب ايران

سجادة اسلامية محلاة بآيات قرآنية

السجاد من الصناعات الفنية المحببة الممتعة ، فصناعته لها ماض معروف ، وعراقة في التاريخ البشري . فكما أن فن العمارة يمكن أن يوصف بأنه تاريخ مكتوب على الأحجار ، ففن السجاد ، تاريخ مدون على الصوف .

نشأت صناعة السجاد عندما احتاج الإنسان القديم لغطاء يحفظه من الحرارة والرطوبة أثناء نومه وملامسته الأرض ، واتقاء لما ينتابه من علل ، من خشونة الأرض وصلابتها ، مما جعله يفكر في صنع فراش ودثار ، وغطاء يحمي به جسمه .

لقد أمدنا التاريخ بقصص كثيرة نستمد منها عراقة هذه الصناعة ، فمقبرة « سيروس » (١) ، مؤسس المملكة الفارسية القديمة ، كانت مفروشة بسجادة بابلية رائعة ، وذكرت هذه القصص أيضاً ، أنهم حملوا « كليوبترا » ملفوفة بسجادة نفيسة في حضور القيصر ، وهناك امرأة من وراء عصور التاريخ تقول : نسجت فراشي من العقاد ، وغطيته بنسيج مزركش من مصر »

ودلت الأبحاث أن الأقدمين استعملوا الكليم قبل السجاد ، وذكر أنهم كانوا يثبتون مفروشاتهم بأوتاد خشبية أو حديدية ، وهذا الوصف ينطبق على الكليم لخفة وزنه ، ولكن حاجة الانسان الى مفروشات ثقيلة ، لا يعبث بها الهواء ، وتحتفظ في المكان المفروشة فيه ، جعلته يفكر في إضافة بعض العقد إلى هذا النسيج ، حتى تؤدي الغرض المنشود من ناحية ثقل الوزن ، كما أن العقد تتيح له الفرصة لعمل نقوش جميلة ذات ألوان متعددة .

الرواد الأوائل

• المصريون : تقول بعض المصادر ان المصريين القدماء ، توصلوا في عام ٢٤٠٠ قبل الميلاد ، إلى صناعة أنوال السجاد ، ونسجوا عليها حصراً من نبات البردي ، إذ كانت تضطرهم الحالة الى تغطية أرض معابدهم ، ويدلنا على ذلك ما وجد محفوراً على مقابر « بني حسن » ، يمثل نساء تنسج السجاد على أنوال شبيهة إلى حد كبير بالأنوال الموجودة في الشرق في الوقت الحاضر .

• الصينيون : تقول المصادر ان الصينيين هم أول شعب صنع السجاد ، وأخذ عنهم البابليون ، ثم الفرس ، وقد كانت الصين هي المركز العام لهذه الصناعة ، فأصبح الشرق قبلة الوافدين والباحثين عن السجاد .

إن تفوق الشرق في هذه الصناعة ، يرجع لأسباب كثيرة ، أهمها طبيعة الأرض التي تكثر فيها المراعي ، فتوجد الحيوانات التي يوجد من شعرها ووبرها الخامات التي يصنع منها السجاد ، كما ساعد على ذلك عادات السكان ، الذين يجيدون الصناعات اليدوية ، بالخامات المتوفرة لديهم . وقد انتشرت هذه الصناعة بين النساء والأطفال ، وتسابقوا لانتاج نماذج جديدة ، تفننوا فيها في أساليب الابتكار ، حيث كان الاشراف والأغنياء يعجبون باقتناء التحف ويدفعون فيها الكثير .

السجاد الاسلامي

كان إنتاج المنسوجات الاسلامية ، من أهم مميزات الفنون الجميلة الاسلامية ، واشتهرت بذلك مصر والشام ، وايران ، وبلاد الأناضول ،



سجادة مغولية تتميز بتصوير الطبيعة

جزء من سجادة يبرز نقوشاً بالذهب على ستان أخضر

والهند، وغيرها. وقد كان اهتمام الخلفاء(٢) بصناعة النسيج عظيماً. فكانت وظيفة «صاحب الطراز» لا يتولاها إلا أحد كبار المقربين النابهين. وكان لانشاء دور الطراز(٣) في جميع ولايات دولة الخلافة الاسلامية. أهمية في العصر الأموي والعباسي وما تلاهما من العصور.

وجدت صناعة السجاد في الأقاليم والولايات الاسلامية منذ القرن الثاني الهجري في مصر وايران وأرمنيا.

وقد نهج المؤلف في تقسيم كتابه الى ستة أبواب. عارضاً التطور القديم، وهو الباب الأول. ثم تلاه السجاد في بلاد الاناضول إبان الدولة العثمانية، ثم ايران، ثم المغول فالقوقاز.

والمعروف أن بلاد الأناضول، بلاد وفيرة المراعي، يجود فيها الصوف لجوها البارد، وأرضها الجبلية، ومياهها عذبة خالية من الأملاح. إذا غسل فيها الصوف جادت صباغته.

نسج السجاد في آسيا الصغرى قديم، فقد أشار الرحالة «ماركوبولو» في القرن الثالث عشر الميلادي، إلى السجاجيد السلجوقية القديمة الجميلة. وذكرها «ابن بطوطة»(٤) في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، ولا تزال ثلاث سجاجيد تركية قديمة في متحف الأوقاف باستانبول. ترجع الى عهد السلاجقة، صنعت في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي.

للسجاد التركي ميزات وسمات خاصة، حيث توجد ساحة متوسطة في السجادة، عليها الرسم الرئيسي. ويحيط بها إطار به أشرطة يختلف عددها حسب حجم السجادة، أما النسيج، فهو غليظ سميك بعض الشيء، أما تنسيق الألوان الحمراء والزرقاء والصفراء، فيشهد على مهارة فنية، وذوق رفيع.

أما المنطقة الرئيسية لنسج السجاد في تركيا، فهي منطقة النجاد الواقعة في الأناضول على مسافة غير بعيدة عن شاطئ البحر الأبيض المتوسط. فلا تزال مناطق «عشاق» و«كوردهس» و«قولا»، تنتج كمية كبيرة من السجاد التركي، وأصبحت أزمير منذ القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، قاعدة هامة لتصدير تلك الطنافس الى أوروبا. فقصور المدن الايطالية، وكنائسها، تحتوي حتى يومنا هذا. على تحف ثمينة من السجاد التركي القديم. وقد رسم كثير من الفنانين الايطاليين، والهولنديين، لوحات فنية، لتلك الطنافس التركية، أمثال «جيوتو» و«دوميكودي بارتولو» و«فراانجلكو» و«هولباين» و«فان ايك» و«مملنج».

سجاجيد الصلاة التركية، ذات شهرة رائعة، وأبدعها تلك التي صنعت في المناطق الجبلية من الأناضول، في القرن الحادي عشر والثاني عشر للهجرة. فنسيجها دقيق، وأرضيتها حمراء، أو زرقاء، أو بيضاء، ومساحتها صغيرة في أغلب الأحيان، ويمتاز معظمها برسم يمثل محراباً في أرض السجادة. وقد تكون له أعمدة، وربما حل محلها بعض الزخارف. أما رسوم المحاريب، فمختلفة. فمنها ما له قوس مدبب، ومنها ما له قوس فارسي، وتتناسب رسوم الأعمدة مع المحاريب. فقد تكون سلاسل، وقد تكون زخارف من الزهور والنباتات، والإطار غالباً ما يكون من أشرطة رفيعة فيها رسوم زهور ووريقات محرفة من الطبيعة، ومكررة في نظام دقيق.



سجادة عثمانية نادرة

سجادة صلاة، نادرة للغاية، من منطقة «عشاق» بالأناضول

إن معظم سجاجيد الصلاة التركية النفيسة، تنسب إلى مدينة «كوردهس» أو «جوردس» و«قولا» أو «كولا». كما ينسب البعض الآخر إلى «لاذريق» من أعمال قونية. أو إلى «نيلاس» و«مودجور» و«يرغمة». ولكل بلد من هذه البلدان، أسلوبه الخاص في صناعة وزخرفة تلك السجاجيد.

فلا عجب فقد كان السجاد التركي يصدر بكميات كبيرة إلى مختلف بلاد العالم. وكانت بعض ضروبه من أبدع السجاجيد الشرقية.

السجاد في مصر

وقد كشفت دار الآثار العربية في حفائرها بالفسطاط قطعاً من السجاد، جميل الصنعة، زاهي الالوان، ومن بينها قطعة عليها بقية تاريخ يرجح أنه «ست ومائتين بعد الهجرة» حوالى ٨٢١ م (٥). وفي المتاحف قطع من السجاد تشهد أن صناعة السجاد كانت معروفة في مصر في القرن الثالث الهجرى، التاسع الميلادى.

ازدهرت صناعة السجاد في مصر الفاطمية، وقد أشار «المقريزى» (٦) الى شهرة مدينة «أسيوط» في صنع السجاد، كما ذكر «اليعقوبى» (٧) ذلك في تاريخه قبل ذلك بعدة قرون.

وقد أشار الرحالة الاوروبيون الذين زاروا مصر في أواخر عهد المماليك. وأوائل العصر العثماني، الى وجود مصانع لنسج السجاد في القاهرة، كما أن المؤرخين العثمانيين الأتراك كتبوا أن صناعاً من الاختصاصيين في صناعة السجاد قد نقلوا من مصر الى استانبول لتطوير صناعة السجاد العثمانى.

ويمتاز السجاد المصرى، بأرضية حمراء، فيها اللون الأخضر الناصع. ومواضع قليلة موشاة باللون الأزرق، ولها صوف لامع، معقود على سداة من الحرير، وقد كانت بعض هذه السجاجيد مصنوعة أيضا من الحرير.

أما قوام زخرفة السجاجيد المصرية، فأشكال مختلفة، تضم رسوماً هندسية تارة، ورسوم أزهار، وأشجار، محورة من الطبيعة، وهذه الزخارف ذات شبه كبير بالرسوم الموجودة على كثير من التحف التى ترجع الى عصر المماليك، ولاسيما على جلود الكتب، وعلى القسيفساء الرخامية. وهذا ماحسم الخلاف بين بعض مؤرخي الفنون الاسلامية، عندما نسبوا صناعة بعض هذه السجاجيد الى دمشق، تارة، والى مراكش تارة أخرى.

السجاد في إيران

ترجع شهرة إيران في صناعة السجاد الى العصور القديمة، فقد كانت تصدره الى بلاد الاغريق، ثم الى الامبراطورية البيزنطية ثم الى بلاد الغرب.

وتكمن شهرة السجاد الايراني وجماله، الى بديع ألوانه، وتناسقها، وحسن توزيعها من جهة، وإلى متانة صناعتها من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة الى العناية بالصوف. حتى أن الغنم كانت تربى خصيصاً لتلك الصناعة حيث يُعنى بنظافة صوفها لينسج منها السجاد. وكثيراً ماكانت تدخل خيوط الحرير، وخيوط الذهب والفضة في صناعة السجاجيد الشاهانية النفيسة.

وأهم مراكز صناعة السجاد في إيران: مدن أصفهان، وقاشان وتبريز، وكرمان، وهراة، وشيراز، وهمذان، ويزد.

وأهم أنواع السجاجيد الايرانية، السجاجيد ذات الصّرة، وكانت تصنع في شمالى إيران، ولاسيما في «تبريز» وفي «قاشان»، وأحسن هذه

السجاجيد من هذا النوع ، ترجع إلى القرن العاشر الهجري ، وتتكون زخارفها من « صرة » أو « جامة » في الوسط ، ذات أشكال مختلفة وقد يمتد من طرفي الصّرة أو الجامة العلوي والسفلي ، موضوع زخرفي ، وتكون الأرضية من رسوم الأزهار وفروع النبات ، واستعملت فيها الألوان الحمراء والزرقاء والصفراء والرمادي والأبيض .

ومن أبدع السجاجيد المشهورة من هذا النوع سجادتان شهيرتان ، إحداهما محفوظة في متحف « فينا » والأخرى في متحف الفنون الزخرفية في باريس .

ويلاحظ في سجاجيد « هراة » ، المصنوعة في القرن الحادي عشر الهجري ، أن رسوم المراوح النخيلية فيها أكبر حجماً ، وأنها تحتوي فضلاً عن الزخارف المعروفة ، على وريقات طويلة .

وهناك نوع من السجاجيد الايرانية ، مزخرفة بفروع نباتية ملتوية ، ومتثنية تتكرر ، فتضفي على السجادة رونقاً وشكلاً بديعاً ، فتغطي مساحة السجادة كلها ، ومن أمثلة هذا النوع سجادة محفوظة في القسم الاسلامي من متحف برلين ، وهي من صناعة شمال إيران ، وأرضيتها زرقاء .
ومن أجمل أنواع السجاجيد الايرانية ، السجاجيد ذات الزهريات ، والراجح أنها كانت تصنع في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة أي السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، ولا سيما في الاقاليم الوسطى من إيران ، وتمتاز هذه السجاجيد بمتانتها ، ودقة صناعتها ، وكثافة وبرها ، وضيق إطارها ، وأرضيتها الزرقاء والحمراء . أما حجمها فيمتاز بأن طولها يزيد على عرضها ، فقد يبلغ الطول ثلاثة أمثال العرض .

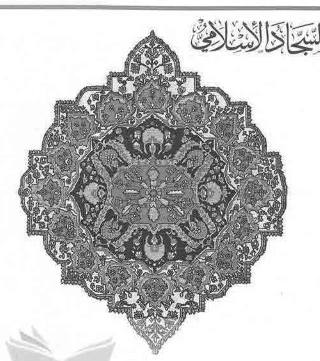
ومن السجاجيد الايرانية ماتظهر فيه رسوم الأشجار ، وقد تكون رسوم الأشجار هي العنصر الغالب في زخرفة السجادة ، ويرى ذلك في سجادة محفوظة في القسم الاسلامي من متحف برلين ، ومساحتها ١٣٠ في ١٩٧ سم ، وأرضيتها حمراء ، وقوام الزخرفة فيها ، أربعة صفوف أفقية من رسوم الأشجار ، وترجع الى القرن السابع عشر الميلادي .

وهناك نوع نفيس من السجاجيد الايرانية ، مصنوعة من الحرير ، ومحلاة بخيوط من الذهب ، ومن الفضة ، وقد غلب عليها اسم السجاجيد البولندية ، لأنها كانت تصنع في بولندا حيناً من الزمن . ولكن الراجح أنها من منتجات مصانع البلاط بأصفهان ، في حوالى نهاية القرن العاشر الهجري . أما زخارفها ، فخليط من الزخارف النباتية المستعملة في أنواع السجاد الايراني ، وفي اكثر الاحيان لاتكون الأرضية كلها ذات لون واحد ، بل تكون السجادة ذات أرضيات مختلفة ، وأهم الألوان المستعملة في هذا النوع ، الأصفر ، والأخضر ، والبرتقالي ، والأزرق ، والفيروزي ، والأحمر القرمزي . ومن أقدم هذه السجاجيد ، واحدة بين الكنوز الفنية المحفوظة في كاتدرائية « سان مارك » بمدينة البندقية في



نموذج للسجاد الذي يعود إلى بداية صناعة السجاد على أيدي القبائل البدوية

السجاد الإسلامي



زخرفة هندسية رائعة في وسط السجادة

ايطاليا . أهداها سفير الشاه عباس الى الدوق حاكم البندقية سنه ١٦٠٣ م .

أما سجاجيد الصلاة فقد كانت تصنع في شمال غرب ايران ، ولاسيما تبريز ، وقد امتازت بالآيات القرآنية المكتوبة بخط النسخ ، أو الخط الكوفي . ويتوسط السجادة عقد يمثل المحراب ، ومن أبدع السجاجيد المعروفة من هذا النوع ، سجادة حريرية ، محلاة بخيوط من الفضة ، وترجع الى نهاية القرن العاشر الهجري ، وهي موجودة في مجموعة السيدة « بارافنشيني » الايطالية .

السجاجيد المغولية

قامت صناعة السجاد المغولي أو الهندي الاسلامي ، على أكتاف صناع من الايرانيين (٨) ، فقد أقبل الأباطرة المغول منذ عصر الامبراطور أكبر ، على استقدام أولئك الصناع ، وتشجيعهم على الاستقرار في الهند . لذلك كانت السجاجيد المغولية في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة ، متأثرة بزخارف السجاجيد الايرانية وألوانها ، حتى أنها كانت تحسب خطأ من السجاجيد الايرانية . ولكنها كانت تمتاز بلون برتقالي ، وبلون بني مائل الى الحمرة .

وبعد لأي استطاع الصناع المغول التحرر من التأثيرات الايرانية ، وأقبلوا على رسم صور الطيور والحيوانات والزهور على السجاد ، ولكن رسوم الاطار لا تزال تحتفظ ببعض الموضوعات الزخرفية المشابهة للسجاد والمنسوجات في العصر الصفوي .

أما الصفة المميزة في السجاجيد المغولية ، فهي في رسومها الأقرب الى صدق تمثيل الطبيعة ، ويلاحظ ذلك جلياً ، في السجاجيد المغولية الهندية المصنوعة من الصوف في عصر « شاه جيهان » ، فإن وبرها من الدقة والنعومة بحيث تبدو وكأنها صنعت من الحرير . أما نسجها فدقيق ، وعقدها متلاصقة ، بحيث تبدو وكأنها مصنوعة من المخمل . ويقال إن إحدى هذه السجاجيد بها ٢٥٥٢ عقدة في البوصة المربعة الواحده .

سجاجيد القوقاز

أقبلت القبائل الرحل في بلاد القوقاز ، على نسج السجاد منذ قرون طويلة ، ولعل أهم السجاجيد القديمة في بلاد القوقاز تنسب الى أرمينيا ، وأحياناً الى إقليم « كوبا » (٩) جنوبي شرقي القوقاز ، وتعرف باسم سجاجيد « التنين » ، نسبة الى الرسوم الرئيسية في زخارفها . وقوام هذه الزخارف رسوم معينات من أوراق الشجر الكبير ، المحورة عن الطبيعة ، وتضم أيضاً رسوماً نباتية ، ومراوح نخيلية ، محورة عن الطبيعة ، في أسلوب تخطيطي ذي زوايا ، تشبه المعين . أما ألوانها فبراقة ، وهذا مايزيد في مظهرها الزخرفي ، الذي يميزها عن غيرها من السجاجيد .

ويمكن تقسيم السجاجيد القوقازيه الى عدة أنواع ، حسب المراكز التي صنعت فيها ، ومن أهم هذه الأنواع ، سجاجيد « كازاك » ، تلك التي صنعت في الجزء الجنوبي الغربي من القوقاز ، ومنها سجاجيد داغستان ، وتمتاز بألوانها البراقة ، وزخارفها الهندسية الكبيرة ، ووبرها اللامع ، ومعظم هذه السجاجيد سميكة ، ويغلب عليها اللون الأحمر والأزرق ، كما أن هناك نوعاً ثالثاً من السجاجيد القوقازية ، تنسب الى « شروان ذكويا » أما سجاجيد شروان ، فوبرتها قصيرة ، وصوفها قليل اللمعان ، والأحمر والازرق هما اللونان السائدان ، وقد يرى فيها اللون البنفسجي ، أما زخارفها النباتية ، فهي محورة عن الطبيعة تحويرا كبيراً ، ويلاحظ أن إطارها ، قوامه زخارف شبه كتابية .

وهناك نوع آخر يصنع في شرقي القوقاز ، في « دربند » ، وهو سجاد بغير وبر ، ويعرف باسم « سوماك » ، ومن فروعه سجاجيد تعرف باسم « سيلي » ، وتمتاز بزخارفها الملونة .

كلمة أخيرة

لعل كتاب السجاد الاسلامي ، من الكتب النادرة التي تلقي الأضواء على هذا الفن الاسلامي العريق ، وقد زين بلوحات من صور السجاد في العصور الاسلامية ، والبلاد الاسلامية ، تأخذ بالألباب ، صنعة ، وجمالاً ، وذوقاً ، فهو كتاب جدير بالمطالعة وحري بالترجمة الى العربية ، ليسد فراغاً في المكتبة العربية ، وليضفي جديداً ، ويكون في متناول أيدي الأجيال العربية الآتية .

حسني شحادة

هوامش

(١) فن السجاد اليدوي لأحمد فؤاد نور الدين ص ٨
(٢) الاسلام في حضارته ونظمه لأنور الرفاعي ص ٤٦١
(٣) الفنون الجميلة في العصور الاسلامية لعمر رضا كحاله ص ٢٥٠
(٤) كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاشعار المعروف برحلة ابن بطوطة
(٥) فنون الاسلام جـ٣ لزكي حسن
(٦) كتابه الخطط المقريزية
(٧) كتابه تاريخ اليعقوبي
(٨) فنون الاسلام جـ٣ زكي حسن ص ٤٣٩
(٩) كوبا وتقع جنوب شرقي القوقاز

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● العِـزّة ●● تراثنا العربي القديم .. ما يجب لتنظيم إحيائه

لو وضعت أنا « قائمة » الأخلاق مرتبة حسب أهميتها للمسلمين لوضعت في أعلاها « العزة » ولأخذت من الأخلاق ما يبعث القوة والاعتداد بالنفس والرجولة والأنفة والحمية ، ولا قللت جدا من الكلام في التواضع والزهد والخوف وما إلى ذلك .

العِزّة

بقلم :
أحمد أمين



استعملت العرب كلمة « العزة » في مقابل « الذلة » فقالوا رجل عزيز ورجل ذليل . وجاء استعمال « العزيز والذليل » في القرآن متقابلين ، فقال تعالى : « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » . وحكى عن المنافقين أنهم قالوا في حرب الغزوات : « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » ، وهي كلمة قالها ابن أبيّ ، ويريد بالأعزة نفسه وصحبه ، وبالأذلة محمداً ﷺ وصحبه ، فرد عليهم الله بقوله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » . وقد تصدى بعض المسلمين لابن أبيّ وسل سيفه عليه ومنعه من دخول المدينة ، وقال : والله لا أغمده حتى تقول : « محمد الأعز وأنا الأذل » فقالها . والسبب في كل هذا أن العرب في الجاهلية كانوا يفهمون العزة في المال والجاه والرياسة والولد ونحو ذلك ، فجعلها الاسلام في الدين الحق ، وأداء الواجب للناس ولله .

وأكثر العرب من استعمال هذه الكلمة في الجاهلية والاسلام ، فكان أبو جهل يقول : «أنا أعز أهل هذا الوادي وأمنعهم» ، وقال الشاعر :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم
في كل نائبة عزاز الآنف

وفسر الراغب الأصفهاني «العزة» بأنها حالة مانعة للانسان من أن يُغلب ، وجعل اشتقاقها من قولهم أرض عزاز أي صلبة ، وتعزز لحم الناقة اشتد وصلب.

والحق أن تحديد معنى العزة في منتهى الصعوبة ، وأصعب ما في ذلك رسم الحد الفاصل بين العزة والكبر ، وبين الذل والتواضع ، وقديماً حاول الناس أن يفرقوا بينهما ، فقد روي أن رجلاً قال للحسن بن علي : «إن الناس يزعمون أن فيك تيهاً» ، فقال : «ليس بتيه ولكنه عزة» ، وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال : «اخشوشنوا وتمعززوا» ، كأنه خشي إذا أمر الناس بالخشونة أن يلجئهم ذلك إلى احتقار النفس وذلها فاستدرك ذلك بطلب المحافظة على العزة.

وحاول السهروردي أن يفرق بين العزة والكبر فقال : «العزة غير الكبر لأن العزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه وإكرامها ، كما أن الكبر جهل الانسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها» .

ولست أدري لم أهمل علماء الأخلاق من المسلمين هذا الخلق فلم يكثروا الكلام فيه إكثارهم في غيره من الصدق والعدل والكرم والتواضع .

ولو وضعت أنا «قائمة» الأخلاق مرتبة حسب أهميتها للمسلمين لوضعت في أعلاها «العزة» ، ولاخترت من الأخلاق ما يبعث القوة والاعتداد بالنفس والرجولة والأنفة والحمية ، ولأقللت جداً من الكلام في التواضع والزهد والخوف ونحو ذلك ، لأن قائمة الأخلاق يجب أن تخضع في ترتيبها وتقويمها لعاملين : روح العصر ، وموقف الأمة إزاء بقية الشعوب ، بل أحياناً تنقلب الفضيلة إلى رذيلة ، ويكون الحث على هذا النوع من الفضائل داعية إلى الاجرام . فاذا أفرطت أمة في التواضع كانت الدعوة إليه إجراماً ، وإذا أفرطت أمة في الزهد كانت دعوة الأخلاقيين إليه دعوة إلى الموت والفناء .

- كنت زمناً قاضياً في «الواحات الخارجة» وهي بلاد في منتهى الفقر والبؤس ، أغناهم من ملك نخيلات وسويعات في عين من عيون الماء ، بؤس شامل ، وجهل شائع ، وضنك يستذرف الدمع ، ويستوجب الرحمة . ذهبت يوماً إلى صلاة الجمعة في مسجدها البائس الفقير أيضاً .. فما كان أشد عجبي من خطيب يخطب من ديوان مطبوع يستحث الناس على ألا يقضوا صيفهم في أوروبا ، وأنا على يقين أن الخطيب والسامعين لم يعرفوا أوروبا ، ولم يفهموا لها إلا معنى غامضاً ، ولم تحدث أحداً منهم نفسه بالسفر إلى مصر فضلاً عن أوروبا .

وأؤكد أن أكثر المتكلمين في الأخلاق من المسلمين في مثل حال هذا الخطيب ، لا يعرفون زمانهم ، ولا يعرفون أمتهم ، ولا يعرفون موقف أمتهم من زمانهم ، يرونهم أذلة فيدعون إلى الذلة ، ويرونهم متواضعين فيلحون في طلب التواضع ، ويرونهم زهاداً بالطبيعة لا يجدون الكفاف من العيش فيمعنون في طلب الزهد فان هم تلطفوا قليلاً طلبوا منهم الرضا بالبؤس وألصقوه بالقدر ، وجعلوا ذلك كله ضرباً من التقوى والايمان ، وهم بذلك يداوون جوعاً بجوع ، وجرحاً بجرح ، وسماً بسم ، وكان يجب أن يداووا جوعاً بشبع ، وجرحاً بضماد ، وسماً بترياق .

تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا ندعوا إلى خلق يزيد الأمة ضعفاً ، فلا ندعوها إلى الرضا بالقليل وفي إمكانها الكثير ، ولا ندعوها إلى الاستسلام للقدر وفي وسعها مكافحة الصعاب ومواجهة الشدائد ، ولا ندعوها إلى الذلة وفي استطاعتها أن تعز . والواقع أن أبيات العزة وأدب العزة وأمثال العزة وقصص العزة إنما تكثر في الأمة أيام عزتها وتختفي أيام بؤسها : فلما كان العالم الاسلامي عزيزاً أنطقتهم بالعزة رماحهم ، ثم غلبوا على أمرهم فنطقوا بالتواضع ، وتواسوا بالاستكانة ، وألفت الكتب والخطب من ذلك الحين تروّح على البائسين حتى لا يشعروا ببؤسهم ولا يملوا شقاءهم ، وما زال الحال على هذا المنوال حتى صار الداء صحة والدواء مرضاً .

وليس غريباً أن يسير الناس على هذه الخطة ، ولكن غريباً أن يسير القادة عليها ، وكان المفروض أن يكونوا أبعد نظراً ، وأطهر قلباً ، وأعرف بحقائق الأمور .

* * *

أريد بالعزة أن يشعر كل إنسان بكرامة نفسه ويشعر بما لها من حقوق ، فلا يسمح لمخلوق كائناً من كان أن ينال منها مثقال ذرة ، كما يشعر بما عليه من واجبات فلا يسمح لنفسه أن يعتدي على حقوق الناس مثقال ذرة أيضاً .

وللعزة مظاهر متعددة ووسائل مختلفة ، فالناس كثيراً ما يتطلبون الغنى وسيلة من وسائل العزة ، وآخرون يطلبون المنصب الحكومي أو العضوية البرلمانية أو العضوية في الجمعيات الراقية أو صداقة العظماء أو حسن الملبس على أنها وسائل للعزة ، والمتعلمون يطلبون العزة من طريق الشهادات من ليسانس ودكتوراه ودبلوم ونحو ذلك ، وهذه كلها عزة شخصية ، وهناك عزة أخرى قومية وهي اعتزاز الفرد بنسبته إلى أمته كاعتزاز الانجليزي بانجليزيته والفرنسوي بفرنسيته والألماني بألمانيته ، ولهذه كذلك مظاهر متعددة كاحترام كل أمة أعلامها والمحافظة على بعض تقاليدها والافتخار بلغتها والفخر بآثارها ونحو ذلك ، وليس يهمني الآن هذا ولا ذاك ، إنما يهمني نوع من الشعور يتملك المرء ويشعر منه بأنه إنسان في الحياة لا يمتاز عنه أحد في الوجود في انسانيته . قد يمتاز الناس عنه في المال أو في الجاه أو في المنصب ولكن لا يمتاز عليه أحد في أنه انسان ، فسائق السيارة وصاحب السيارة سيان في احترامهما أنفسهما وشعورهما بحقوقهما وواجباتهما .

ويسوءني أن أرى الشرقي لا يشعر بالعزة الشعور الواجب ، ولا ينزل هذه الفضيلة من نفسه المنزلة التي تستحقها ، وأكبر ما يؤلمني في ذلك مظهران :

الأول : استخذاء الشرقي أمام الأجنبي الأوربي وشعوره في أعماق نفسه كأنه خلق من غير طينته ، وكأن الطبيعة جعلت أحدهما سيداً والآخر عبداً ، ترى هذا الشعور في المصالح الحكومية وفي الحوانيت التجارية وفي المجتمعات وفي الشوارع ، وفي كل معاملة وفي كل خطوة. بالأمس كنت في محطة السكة الحديدية فذهبت إلى شباك التذاكر وسألت الموظف — في أدب — هل هنا محل صرف التذاكر إلى بلدة كذا ؟ فلم يجب ، وأعدت السؤال فلم يجب . فتولاني شعور ممتزج من غضب وخجل واحتمال لبرودة السؤال وغير ذلك ، وما لبث أن جاء أجنبي فسأل مثل هذا السؤال بلغته الأجنبية . فترك الموظف ما في يده وأقبل عليه بكله ، وأجابه إجابة فيها كل معنى التبجيل والتعظيم ، واختتم كل جملة من جمله بكلمة « سيدي » ! فدهشت من هذا الحال وثارت نفسي ، وتجمع الدم في وجهي ، ونلت من الموظف بقدر ما نال مني ، ولم أكسب من ذلك كله إلا أن أكتب هذا المقال

وموقف هذا الموظف تقفه كل الأوساط على اختلاف في مقدار اللباقة والكياسة ولكن الجوهر واحد . فذلك هو الشأن في الأوساط العلمية والتجارية والسياسية . يتكلم الأجنبي كلمة عادية فتكون المثل ، وتكون الحكمة ، وتكون القول الفصل . ويبدي الرأي فيكون الرأي الناضج والقول الحكيم والغاية التي ليس وراءها غاية . ويطلب الطلب فلابد أن يجاب . وإذا لم يمكن فالاعتذار الحار والوعد بإجابته في ظرف آخر . ويدخل المحل التجاري أو يركب القطار أو يدخل النادي فموضع رعاية خاصة . ويعمل العمل فيقدر التقدير الغالي في قيمته الأدبية ومكافأته المادية إلى ما يطول شرحه .

وفي هذا من غير شك مذلة للشعور وكبت للنفس واستعباد للمواطن ، ومع هذا يطالبنا السادة الأخلاقيون بالتواضع ! لابد أن يفهم الناس في كل مناسبة وفي كل الظروف أن القوم أناس مثلنا لهم مالنا وعليهم ما علينا ، وأن هؤلاء القوم على أحسن تقدير ضيوفنا لا سادتنا ، ومن لحم ودم كلحمنا ودمنا ، ولهم عقل ولكن كعقلنا ، وسلوك في الأخلاق

● لابُدّ من فهم العِزّة بمعناها الدّقيق وهو احترام نفسك في غير احتقار أحد

● ليس من حقّك أن تنادي بائع الجرائد بـ"ولد".. ولا خادمك بأحقر الأسماء ولا فرّاش المصلحة بما يُشعِرُه باحتقاره

كسلوكنا ، وتصدر منهم الفضيلة والرذيلة كما تصدر عنا ، وأنهم ككل البشر يتذللون من أذل نفسه ، وأن واجبنا أن نحترمهم في غير مذلة ، ونحترمهم لا على حساب احتقار المواطن ، وأننا نبادلهم احتراماً باحترام واحتقاراً باحتقار ، وأنه إذا حدثتهم أنفسهم بالاعتداء علينا لم تمكنهم ، وأن الحكم بيننا وبينهم دائماً أن لنا حقوقاً وعلينا واجبات كحقوقهم وواجباتهم . فإذا طلبوا المساواة فالسمع والطاعة ، وإذا طلبوا الاذلال قلنا « لا » بملء أفواهنا .

والأمر الثاني من مظاهر الذلة الذي لا يقل خطراً عن هذا ، فهم الرئيس لمعنى الرياسة . فهو يفهمها على أنها غطرسة من جانبه ، وذلة من جانب مرءوسه ، وإلا لم يكن المرءوس مؤدباً . فرئيس المصلحة ليس لأحد رأي بجانب رأيه . لا لوكيله ولا لمديري إدارته ، عليهم أن يسمعوا في ذلة والعزة له وحده ، ثم يتكرر تمثيل هذا الدور من أعلى فنازلاً ، فكل من بعد الرئيس الأعلى رئيس من جانب ومرءوس من جانب ، فهو كمرءوس حاله ما بينا ، وهو كرئيس يقلد تقليداً تاماً رئيسه في اعتزازه وإذلاله . وهكذا دواليك . حتى يصل الأمر إلى ما ترى من الباعة في الشارع والجندي ، فمثلهم كالقاطرة تصدم العربة التي تقابلها ثم كل عربة تصدم ما بعدها إلى آخر القطار .

* * *

ليس لهذا من علاج إلا فهم العزة بمعناها الدقيق ، وهو احترام نفسك في غير احتقار أحد ، وأن تقف موقفاً له جانبان : فإن نظرت إلى من هو أعلى منك في المنصب والجاه والجنسية فلا تمكنه أن ينال من نفسك ولو ذرة ، ولا أن يتعدى حدوده ولو شعرة ، وإذا نظرت إلى من هو أسفل منك فلا تتعد حدودك ، وإذا شعرت باستخذائه وذلته فارفع مستواه ما استطعت حتى يصل إلى الحدود .

على أنه ليس هناك أسفل ولا أعلى إلا في مواضعات سخيفة ، فمن الذي قال إن كناس الشارع وضيع وفراش المصلحة وضيع ، والخادم في المنزل وضيع ؟ نعم إن الحالة الاجتماعية فرقت بين الناس في المرتب ونحوه ، ولكن القيمة الحقيقية للانسان وهي ما له من حقوق وواجبات قدر مشترك بين الجميع .

فليس من حقك أن تنادي بائع الجرائد « بولد » ولا خادمك بأحقر الأسماء ، ولا فراش المصلحة بما يشعره باحتقاره ، وهو مطالب بالأدب معك ، وأنت مطالب بالأدب معه ، وليس للجندي حق أن يرفع عصاه على بائع لم يتجاوز حدوده ، ولا لأي رئيس أن يخرج عن الأوضاع الأدبية في مخاطبته مرءوسه .

فإذا فرغ الرئيس والمرءوس من العمل ، وفرغ سائق السيارة ومالكها ، وفرغ الضابط والجندي والمعلم والتلميذ فكلهم سواء في الحياة الاجتماعية ، وكلهم سواء في الحقوق ، لا ذلة لأحد على أحد ، ولا اعتزاز من أحد على أحد « مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟! » .

أحمد أمين

١٩٣٦

إن الحق فى نشر أثارنا القديمة ملك للدولة . وهى الأمينة عليها ، ولا يجوز أن يكون هذا النشر بضاعة مبتذلة يستثمرها الجهلاء لغايات تجارية محضة



تراثنا العربى القديم
ما يجب لتنظيم إحيائه

بقلم: محمد عبد الله عنان

كان تراث العربية حتى أوائل القرن الماضى لايزال مغموراً محجوباً فى ظلمات المكتبات والمجموعات الخاصة . وكانت المطابع قد ظهرت فى أوربا منذ أواخر القرن الخامس عشر ، وطبعت فى رومة بعد ذلك بنحو قرن بعض الكتب والوثائق العربية . منها : مختصر كتاب « نزهة المشتاق » للشريف الادريسي (سنة ١٥٩٨) ، وفى القرن السابع عشر طبعت فى مدينة ليدن التى مازالت منذ أربعة قرون مركزا هاما لنشر الآثار العربية ، عدة مراجع عربية تاريخية ، منها : « تاريخ المسلمين » لابن العميد (المكين) (سنة ١٦٢٥) ، وكتاب « عجائب المقدور فى أخبار تيمور » : لابن عربشاه (سنة ١٦٣٦) ، وكتاب مختصر تاريخ الدول لابن العبرى (سنة ١٦٦٣) ، وظهرت هذه الكتب بالعربية لأول مرة مقرونة بتراجم لاتينية كانت منذ ظهورها مستقى خصباً لمؤرخى الغرب .

ولم يظهر فى أوربا حتى أوائل القرن التاسع عشر من الكتب العربية سوى طائفة قليلة من الكتب قد لاتعدو عشرات ، وإلى أواخر القرن الثامن عشر لم تكن مصر قد عرفت المطبعة العربية . وقد عرفتها لأول مرة فى سنة ١٧٩٨ : حينما وفد نابليون على رأس حملته الفرنسية ، وحمل معه مطبعة عربية كاملة استعملت بالقاهرة لطبع البيانات والأوامر التى كانت تصدرها القيادة العليا ويصدرها الديوان الفرنسى لأهل مصر . وكان فى مقدمة الكتب التى أصدرتها هذه المطبعة كتاب عن محاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر يضم خلاصة التحقيقات والاجراءات بالعربية والتركية والفرنسية ، وذلك سنة ١٨٠٠ .

ولما بدأ محمد على فى تنفيذ برنامجه الاصلاحى لم تفته هذه الناحية الهامة من تعضيد الحركة الفكرية والثقافية ، فأنشأ فى سنة ١٨٢١ مطبعة بولاق الأميرية ، وعني باعدادها وتجهيزها عناية عظيمة ، فكانت أول وأعظم صرح للطباعة العربية فى الشرق . ولم تقتصر مطبعة بولاق على إخراج الجريدة الرسمية (الوقائع) التى أنشئت بعد ذلك ببضعة أعوام ، وإخراج الوثائق والمنشورات الرسمية ، بل أعدت منذ إنشائها لاخراج الكتب العربية . فطبعت فيها لأول عهدها عدة من الكتب التى ترجمها بعض أعضاء البعثات العلمية فى مختلف العلوم والفنون التى درسوها ، فكانت باكورة أعمالها فى نشر الكتب العربية .

على أن مطبعة بولاق لم تقف عند هذا الحد المتواضع فى إخراج الكتب العربية ، وكانت المطابع العربية الأوربية ــ ولاسيما فى ليدن وباريس ــ قد نشطت منذ أوائل القرن التاسع عشر لاخراج طائفة كبيرة من الآثار العربية النفيسة على يد جماعة من أعلام المستشرقين ، فاتجهت الأنظار فى مصر إلى العناية بهذه المهمة ، ونشطت مطبعة بولاق إلى إحياء التراث الاسلامى بهمة فائقة ، وعكفت طوال القرن التاسع عشر على نشر الموسوعات والآثار العربية الجليلة ، وأسدت فى ذلك أعظم الخدمات للآداب العربية والثقافة الاسلامية ، ونظرة واحدة إلى ثبت الآثار الحافلة التى أصدرتها مطبعة بولاق تدل على فداحة المهمة التى اضطلعت بها ، وإلى مدى التوفيق الباهر الذى حققته فى إنجازها .

وإلى جانب مطبعة بولاق ، قامت مطابع أهلية كثيرة ، ونشطت أيضاً إلى إخراج الكتب العربية ، وقد كان ميداناً جديدا يغرى بالكسب ، فأقبل الكثيرون على استثماره ، وأخرجت هذه المطابع الأهلية ، إلى جانب بولاق ، مئات من الكتب والآثار العربية الضخمة فى كل أنواع العلوم والفنون ، وأعادت طبع كثير مما نشرته بولاق فى طبعات رخيصة يسهل اقتناؤها ، وساهمت بذلك مساهمة قيمة فى إحياء الآداب العربية ونشرها .

وهذا مانريد أن نعرض إليه فى هذا المقال ، فقد انقطعت مطبعة بولاق منذ أوائل هذا القرن عن نشر الآثار العربية القديمة ، وحلت محلها فى ذلك دار الكتب المصرية ، ولكن دار الكتب تقوم فى هذا السبيل بمجهود بطيء جداً ، أما المطابع ودور النشر الأهلية فما زالت على نشاطها القديم فى إخراج الموسوعات والآثار العربية ، ومنها كثير لم ينشر من قبل ، ومن المحقق أنها مازالت تؤدى بذلك خدمات قيمة لاحياء الآداب العربية .

ولكن هذا النشاط إذا كان يحمد من بعض الوجوه . فانه يثير اليوم كثيراً من وجوه الاعتراض والمؤاخذة . وإذا كان قد ترك في الماضي حراً طليقاً من كل قيد ، فان الظروف تقضي اليوم بضبطه وتنظيمه وتوجيهه بطريقة تحقق الغاية منه .

بدأ هذا النشاط في أواخر القرن الماضي ، والحركة الأدبية الثقافية في مستهل نهضتها . فكان هذا النشاط في بعث الكتب العربية وإحيائها بالنشر والتداول من عوامل تعضيدها وتغذيتها ، ولم يكن من المستحسن يومئذ أن يعرض هذا النشاط لشيء من القيود التي يمكن أن تؤثر في سيره ونمائه ، وذلك رغم ماكان يعتوره من أوجه النقص سواء في اختيار الكتب التي يراد نشرها ، أو في الصور المزرية التي كانت تنشر بها ، ورق أصفر رديء ، وطباعة حقيرة ، وأخطاء علمية ومطبعية لاحصر لها .

أما الآن فقد تغيرت الظروف تغيراً واضحاً ، وازدهرت الحركة الفكرية ازدهاراً عظيما ، وظفرت مصر بطائفة كبيرة من المعاهد والمنشآت العلمية الراقية . وغصت بالشباب المتعلم ، وأضحى مما لا يلائم ذوق العصر وأحواله ، بل مما يضر بسير الحركة الفكرية ذاتها . أن يترك أمر نشر تراثنا العربي القديم فوضى دون ضابط ودون اشراف .

فهناك موسوعات وآثار قيمة سبق نشرها في طبعات جيدة وأضحت نادرة لقدم عهدها . وهناك بدار الكتب المصرية مئات الآثار المخطوطة التي لم تنشر من قبل ، وهذه جميعاً يقوم على نسخها ونشرها جماعة من الناشرين المحترفين العاطلين من كل مؤهلات علمية أو أدبية ، والذين لاهم لهم سوى الكسب الوفير . فيخرجونها في نفس الأثواب والصور المزرية التي ألفناها منذ القرن الماضي ، ويتقاضون فيها أثماناً فاحشة لا مبرر لها ، منتهزين فرصة ندرتها إن كانت مما نشر ، أو ظهورها لأول مرة إن كانت مما لم ينشر من قبل .

وقد اتسع نطاق هذه الحركة في العهد الأخير اتساعاً واضحاً . وألفى الناشرون المحترفون فيها سوقاً رابحة ، فكثر تهجمهم على الآثار النفيسة مخطوطة وغير مخطوطة ، وأخذوا ينشرونها في استهتار وجرأة ، ممسوخة مشوهة ، مشحونة بالأخطاء الشائنة لايتكلفون في إخراجها سوى الطباعة الرديئة ، ثم يبيعونها بأثمان فاحشة . كأنهم هم الذين ألفوها وأجهدوا أنفسهم في وضعها وكتابتها .

ولا يخفى مالهذا النشر المشوه لآثارنا القديمة من نتائج سيئة . فهو خلو من كل ضمانة أو غاية علمية أو أدبية ، ولاتحدوه سوى روح الكسب المجرد ، ومن ثم كانت الصور المثيرة المزرية التي تصدر بها أجل آثارنا الأدبية . والتي كثيرا ماتصد الشباب المتعلم عن تناولها . وهو من جهة أخرى عامل كبير في إحجام علمائنا وأدبائنا عن المساهمة في هذا المجهود مع رغبة الكثيرين منهم في القيام على نشر بعض الآثار القديمة التي توفروا على دراستها وتحقيقها . ذلك لأن جهودهم العلمية الغالية ، وحرصهم على نشر هذه الآثار في أثواب مقبولة لائقة . وماينفقونه في هذا السبيل من الجهد والمال . كل ذلك يقعد بهم عن مجاراة هذا النشاط التجاري المحض ، العاري عن كل درس وتحقيق .

ونحن نعرف مايتكبده العلماء المستشرقون من الجهود الفادحة في إخراج آثارنا القديمة ، والتوفر على دراستها وتحقيقها والتعليق عليها بدقة تثير الاعجاب . وإخراجها دائما في أثواب أنيقة محترمة .

ولهذا كله نرى أن الوقت قد حان لتعنى السلطات المختصة بالعمل على مراقبة حركة إحياء الآثار العربية القديمة ، وتوجيهها وتنظيمها تنظيما يتفق مع مالتراثنا القديم من كرامة علمية . ويلائم في نفس الوقت حاجات العصر وذوقه وروحه . ويلوح لنا أن دار الكتب المصرية . وهي وريثة بولاق في الاضطلاع بإحياء الآداب العربية ، هي أول سلطة أدبية يمكن أن تضطلع بمثل هذا الاشراف العلمي . ذلك أنها هي مستودع تلك الآثار الجليلة المخطوطة التي ترنو اليها أنظار الناشرين المحترفين من كل صوب ، فيقبلون عليها بالنسخ المحرف . والنشر المشوه ، لايتكلفون في ذلك شيئا . ولا يصدهم قيد أو إشراف . وقد تكون هذه الآثار مما حصلت عليه دار الكتب من الخارج بالتصوير ، وأنفقت في سبيله كثيرا من الجهد والمال .

ونحن لانطلب أن تقوم دار الكتب بمنع النسخ والنشر ، ولكننا نطلب اليها فقط أن تقوم بالاشراف عليها إشرافا فعلياً . وأن تضع لذلك نظاماً يكفل تحققها من وجود بعض الضمانات العلمية والمالية في الناشرين أنفسهم . فاذا لم تتوفر الضمانات العلمية — وهى غالبا غير متوفرة — اشترط أن يقوم بالاشراف على النشر شخص تتوفر فيه مثل هذه الضمانات . ويجب أن تمتد هذه الرقابة حتى صدور الكتاب ، وأن يراعى صدوره في ثوب لائق ، وأن يحدد ثمنه بعد صدوره بنسبة معقولة من تكاليفه . ويصح أن تتولى دار الكتب الاشراف العلمي على الكتاب ذاته لقاء أجر معين ، ويصح لها أن ترفض التصريح بالنسخ والنشر إذا لم تتوفر مثل هذه الضمانات ، ويجب على أي حال أن يشمل هذا الاشراف كل أثر مخطوط ينشر في مصر ، سواء استنسخ من دار الكتب ذاتها ، أو من أي مكتبة أخرى عامة أو خاصة ، في الداخل أو الخارج ، لأن الغرض هو الاشراف العلمي على حركة إحياء الآداب العربية في مصر ، ويجب أن يكون هذا الاشراف كاملاً شاملاً .

ويمكن من جهة أخرى أن تتعاون المعاهد العلمية مع دار الكتب في هذه المهمة ، فتشترك الجامعة المصرية والأزهر في تنظيم هذا الاشراف .

هذا ولا بأس أن تفرض الحكومة ضريبة معينة على نسخ الكتب المخطوطة التي لم تنشر من قبل ، وعلى نشرها إذا كان النشر لغاية تجارية . وتقدر هذه الضريبة بحسب حجم الكتاب أو أهميته ، ويعفى العلماء من أدائها في جميع الأحوال . ويرصد دخلها لتوسيع حركة إحياء الآداب العربية التي تقوم بها دار الكتب .

إن الحق في نشر آثارنا القديمة ملك للدولة ، وهي الأمينة عليها ، وإذا كان مما يرغب فيه دائما أن يشجع الاقدام على نشر هذه الآثار ، فان مما يرغب فيه أيضاً ألا يكون هذا النشر بضاعة مبتذلة يستثمرها الجهلاء لغايات تجارية محضة ، وألا يحاط بكل الضمانات المعقولة التي تكفل تحقيقه على الوجه اللائق المرضي .

هذه ملاحظات واعتبارات حان الوقت لبحثها ، وقد أصبح من واجب السلطات المختصة أن تنشط لحماية تراثنا الأدبي من تلك الفوضى المثيرة ، أن تعمل لصونه من ذلك الابتذال الشائن ، وأن تقوم أخيراً على تنظيم نشره ، وتوجيهه بطرق موقرة مستنيرة .

محمد عبدالله عنان

١٩٣٦

محمد عبد الملك

من الواقعيّة النقديّة إلى التعبيريّة والرّمزيّة

بقلم: أحمد محمد عطية



محمد عبد الملك
قصاص البحرين الكبير

محمد عبد الملك هو قصاص البحرين. فهو كاتب شعبي فى البحرين، يتابع القراء قصصه وكتاباته بشغف وحب لأنهم يجدون فيها أنفسهم وقضاياهم وأشواقهم وتطلعاتهم.. إن عالمه القصصي هو عالمهم. إنه يتحدث إليهم ببساطة وعفوية ومهارة دون حذلقة أو تعالي المثقفين. لذا فمحمد عبد الملك هو أكثر الكتاب حظوة لدى القراء فى البحرين. وبالرغم من وعيه الفكرى والقومى إلا أن قصصه لا تنطلق من أطر نظرية أو فكرية، بل تنبع من خبرة عميقة بواقع الحياة والناس، ومن حب غامر لبلده الجميل البحرين، ومن حسن توظيفه للتراث الشعبى والعربى عبر عن نهجه الفنى والموضوعى فى قصصه بتأكيده على ضرورة الوصول إلى القراء لا الكتاب وعلى المضمون وليس الشكل. فمحمد عبد الملك كاتب لديه خبرة عميقة بقضايا ومشكلات الرجل البسيط فى البحرين، ويتميز بوعى فكرى وحساسية فنية تجعله يجيد إبداع هذا الفن الأدبي، فن القصة القصيرة.

فقد استبعد عبد الملك المغامرة والبهرجة فى الشكل وركز على أهمية المضمون والوعى والعفوية فى الابداع، كما كتب فى شهادته لمجلة «كلمات» البحرينية قائلا: «الكثير من الكتاب الشباب العرب يعتنون بالشكل أكثر من المضمون.. الوقت، وقت انتشار هذه المغامرة الأدبية. سيىء أيضا ومثير للريبة.. وقت مرضي، انحسار سياسى رهيب.. تراجع بعد المد القومى العظيم.. حياة استهلاكية، ترف، نكبات، هزائم سياسية وعسكرية، وتصور أن كل ذلك فى غياب الوعي، وعي تاريخي بكل ما يحدث. إذن فقرارى فى اختيار الشكل والنمط لم يحدث بشكل عفوي.. العفوية لها لحظة واحدة فقط هى لحظات الابداع. وحتى هذه العفوية مشروطة بالوعي. الكتابة فعل وتأثير. لا أريد أن أكتب لزملائى الكتاب فقط، لذلك التركيز على المضمون عندى كبير. ولذلك لم أكترث للمغامرة فى الشكل كثيرا. ولم تكن هذه المغامرات بؤر ابهار ودهشة لى، تبدو لى هذه المغامرات كالألعاب النارية. والزمن أقاض فى اقتناعى. بدأت الحواجز تكبر بين القصة والقارئ. هنالك خطأ ما» (كلمات. العدد الأول خريف ١٩٨٣).

ومحمد عبد الملك هو رائد الواقعية فى القصة البحرينية. كما يجمع نقاد الأدب العربي فى البحرين. فهو «البداية الفعلية للقصة الواقعية». كما يقول الناقد البحرينى أحمد المناعي فى دراسته عن الحركة الأدبية فى البحرين. (مجلة «الكاتب العربي» دمشق، العدد الرابع ـ السنة الأولى ١٩٨٢). ويصفه الباحث البحرينى ابراهيم عبد الله غلوم. فى كتابه «القصة والمجتمع فى الخليج ـ البحرين والكويت» بأنه «أكثر كتاب القصة القصيرة تأصيلا للمقولات الجمالية فى الواقعية النقدية» (ص ٥٨٠) وكتب الشاعر البحرينى قاسم حداد: فى دراسته «عن واقع القصة القصيرة فى البحرين». قائلا: «إن محمد عبد الملك هو أول من كتب القصة الواقعية الجيدة فى البحرين». وأضاف قاسم حداد: «ومحمد عبد الملك يعتبر من أنشط كتاب القصة فى البحرين وأكثرهم قلقا فى مجال الفن الذي يمارسه». (مجلة الأقلام: بغداد: عدد إبريل ١٩٧٥).

إنتاج غزير

ومحمد عبد الملك هو أغزر أدباء البحرين المحدثين إنتاجا فى مجاله القصصى، فله خمس مجموعات قصصية تشكل عالمه القصصى المتميز، هى: «موت صاحب العربة» (١٩٧٢)، «نحن نحب الشمس» (١٩٧٥)، «ثقوب فى رئة المدينة» (١٩٧٩)، «السياج» (١٩٨٢)، و«النهر يجرى» (١٩٨٤)، مع رواية «الجذوة» (١٩٨٠)، بالإضافة إلى عدد كبير من الدراسات النقدية والمقالات الأدبية نشرت بالصحف الخليجية والدوريات العربية. وسأقتصر فى هذه الدراسة على عالمه القصصى كما تجسد فى مجموعاته القصصية الخمس، مؤجلا الحديث عن روايته الوحيدة إلى دراسة مستقلة عن الرواية فى البحرين، حسبما يسمح المجال.

وقد تقدم محمد عبد الملك بالقصة البحرينية من الحكاية التقليدية والخطابية والسرد التقريرى والرومانسية إلى الواقعية النقدية والتعبيرية والرمزية. وقد تطورت

واقعيته النقدية من الواقعية التقليدية في مجموعاته القصصية الأولى إلى الواقعية الجديدة والتعبيرية والرمزية في أحدث مجموعاته القصصية .

نشر محمد عبد الملك أولى قصصه بعنوان «رحلة الصقور» بجريدة «الأضواء» البحرينية في آخر مارس ١٩٦٧ ، ولكنه لم يضمها لمجموعته القصصية الأولى «موت صاحب العربة» أو لأي من مجموعاته التالية . وهي تصور رحلة إحدى السفن للغوص على اللؤلؤ وتستخدم تراث البحر الشعبي ومواويل البحر القديمة في تصوير المرحلة الماضية من تاريخ البحرين ، في حياة البحر والغوص على اللؤلؤ قبل كساد تجارته وظهور النفط . ولكن يبدو أنه استبعدها لأنها من قصص البدايات الضعيفة فنيا ، فقد سيطرت عليها «الغنائية» وافتقرت لكثير من الضرورات الفنية في بناء الحدث الفني للقصة وتحريكه مع حركة الشخصية ونموها .. » كما يذكر الناقد ابراهيم غلوم في كتابه «القصة والمجتمع في الخليج ..» (ص ٣٨٠ و٣٨١) .

أما قصص مجموعته الأولى «موت صاحب العربة» ، فتغص بالسرد التقريري والوصف الخارجي والشخصيات المسطحة . غير أنها تجمع بين واقعية الحدث والتعبير عن الشخصيات المعذبة والمطحونة التي تستعين على حل مشاكل حياتها بقواها الإيجابية وتراثها الشعبي والبحري والاسلامي والعربي . ومع ذلك فقد قدمت هذه القصص الأولى رؤية محمد عبد الملك الاجتماعية والسياسية ، واغتنت بخبرته الواقعية والتراثية ، وصورت مرحلة التحول الاجتماعي في البحرين من اقتصاد البحر إلى الاقتصاد المرتبط بظهور النفط وبيوت المال والتجارة . كما أنها بشرت بميلاد أديب واقعي صاحب رؤى وقضايا تلح عليه للكتابة ، وكاتب يمارس الكتابة كرسالة من أجل بث الوعي والتقدم بالحياة والناس والمجتمع نحو غد أفضل . لذا أهدى مجموعته الثانية «نحن نحب الشمس» إلى الذين يحملون مشعل الحب العظيم للناس » .

وفي مجموعته القصصية الثانية «نحن نحب الشمس» تقدم محمد عبد الملك بشخصياته ، النابعة من حوارى وأزقة وأحياء المنامة الشعبية ، صوب الهموم النفسية والروحية . ومن ثم تقلصت مساحة الوصف الخارجي والسرد التقريري في بعض القصص ، التي لجأ فيها الكاتب إلى استبطان شخصياته والجوس في أعماقها . وهي شخصيات معذبة أيضا ، ولكن عذابها روحي ونفسي ومعنوي ، كعذاب بطل قصته «الانتظار» الذي يعاني الوحدة بعد وفاة زوجته وغياب ابنه الوحيد . غير أن الكاتب لم يتخل عن تدخله بالتعليقات المباشرة كقوله : «وعجبت أي حزن مدمر يعيشه منذ حادث ابنه» (ص ١٣) .

وتضم مجموعته الثانية قصة ريفية منفردة تصور واقعة الاستيلاء على أراضي الفلاحين وتحولهم الى مزارعين أجراء في أراضيهم ، وذلك من خلال إبداعه لشخصية طريفة لفلاح عجوز قابل الأمر بالسخرية والضحك حتى ظنه أهل القرية الحزانى قد فقد عقله . أما هو فقد واجه «الحاج رضوان» مغتصب الأرض قائلا : «لن تحتاج إلا لخمسة أقدام من الأرض يا رضوان .. !!» (ص ٢٤) وعندما صفعه المغتصب بادره بضربة قاتلة بالمنجل . ويعلق الكاتب بتعليقاته المباشرة قائلا : «وكانت وجوه الفلاحين مشرقة .. كالشمس .. وكانت ابتسامة رضى .. كالهلال في السماء والمناجل في أيديهم تصعد وجوههم جميعا ..» (ص ٢٤) إنه ختام خطابي حقا ، ولكنه يوحي بإيجابية . وقد سبق أن تناولت بعض قصص مجموعتيه الأولى والثانية بالدراسة في مقال قصير بمجلة العربي عنوانه «الواقعية النقدية في عالم محمد عبد الملك القصصي» ، عدد مايو ١٩٨٥ .

حرص على التجويد

في سنة ١٩٧٥ أصدر محمد عبد الملك مجموعته القصصية الثالثة «ثقوب في رئة المدينة» ، فدل على مدى حرصه على التقدم بعالمه القصصي نحو التجويد في المفردات والعبارات الشعرية في إطار الواقعية النقدية ، نهجه الأصيل ، مغترفا من تراث البحر قصص الغوص على اللؤلؤ ومن شخصيات البحارة المعذبين من السادة النواخذة ربان السفن . فيصور عبد الملك أحد هؤلاء البحارة الجوعى «مرجان السعيد» في قصته «الرحلة» مسقطا الصراع القديم بين البحارة والنواخذة ، كصورة من صور الاستغلال لشقاء هؤلاء الرجال الأشداء الجوعى العراة الذين يغيبون في رحلات البحر إلى مغاصات اللؤلؤ . ويجسد القاص الفنان أزمتهم في إحدى رحلات صيد اللؤلؤ عندما لا تجود المغاصات باللؤلؤ المطلوب ، وينفد الطعام والماء ، ومع ذلك يصر السيد النوخذا على البقاء في البحر لمزيد من الغوص على اللؤلؤ مستعينا بمسدسه رابطا عنق أحد البحارة الجوعى رغم أنه محموم ومتعطش للماء .

ويصور الفنان هذه اللحظة بدقة وشاعرية قائلا : «ومنذ يومين كان أحدنا مصابا بالحمى ، ومنذ يومين دارت الحبال حول عنقه ، والصاري أضحى ثقيلا يحمل جسد إنسان يتألم ، ويئن ، ويقول ماء . وظل الرجل بلا زاد ، وقد خلفه عطش الظهيرة واليوم الثالث جسدا هزيلا . وكنا لا نملك حولا ولا قوة ، فالنوخذا سيد الجميع والنوخذا يحمل مسدسا ، ونحن بحارة عراة . وموسم الغوص انتهى منذ أيام ، ولم يخفق جناح طير فوق رؤوسنا ، وغادرت السفن كل المغاصات . كان حظنا من الصيد في تلك المرحلة بخيلا فأصر النوخذا على البقاء . وكففنا عن الغناء أياما ، وأرسل طير غريب من بعيد صوتا مشئوما ، وزحف الحزن على قلوبنا زحف الظلام . وكان القمر يرسل ضوءه ويدنو منا وقد غلبه الأسى» (ص ٨ و٩) .

وينهي القاص الحدث فيدفع بطله البحار «مرجان السعيد» إلى العمل الإيجابي ، فيشحذ خنجره ويضعه على رقبة السيد النوخذا ، ويجعله يأمر بفك الحبل عن رقبة زميله البحار المريض ، ويأمر البحارة بالعودة إلى الشاطيء . بهذا الفعل الايجابي يكشف محمد عبد الملك الامكانيات الايجابية في شخصياته البسيطة التي تتحرك في مواجهة الظلم والاستغلال والقهر . وفي نفس الوقت يعري موت البحار المحموم طابع الاستغلال البشع في عمليات الغوص على اللؤلؤ . هكذا يتقدم عالم محمد عبد الملك القصصي صوب توظيف الحدث وتنميته ومحدوديته ، متخليا عن التعليقات المباشرة والخطابية والتقريرية ، مكتفيا بدلالة الحدث ، مغترفا من تراث الغوص في البحرين .

وفي قصة «الطائر الأخضر» يصور محمد عبد الملك ، بشاعرية تتدفق في نسيج القصة وعباراتها وشخصياتها وأغنياتها الشعبية ، توق نساء البحارة وأهاليهم لعودتهم من رحلاتهم البحرية الطويلة الشاقة ، مجسدة ذلك في شخصية البحار «مختار القادري» الأخاذة الذي تفخر به الحارة وتترقب النساء والفتيات عودته ، عودة «الطائر الأخضر» . وحين يتأخر الطائر الأخضر عن العودة يهرع البحارة العجائز ورجال الحارة إلى الشاطيء يترقبون عودته من البحر وسماع زغاريد زوجته وأغاني الصبيان وشدو البنات . وعندما لا يحضر الطائر الأخضر يسود الحزن ويردد الأطفال على الشاطيء «غناء حزينا حزينا : ياطير لخضر وين بتبات الليلة ؟» (ص ٢٠) وتمضي الأيام والشهور حزينة حتى تجيء البشارة برسالة وصورة للقادري إيذانا بعودة الطائر الأخضر ، وشاع الخبر . وفتحت الشبابيك كل الشبابيك ، وفتحت الأبواب كل الأبواب ، وأضيئت المصابيح ، وخرج سرب الأطفال الحفاة في حارة الوفاء كالعصافير الصغيرة يغنون ويدورون في الزقاق ، والقمر يتفاخر معهم في الأعالي ويلف خصره الجميل . وكان غناء ، أروع غناء : ياطوير لخضر وين بتبات الليلة ، بابات عند أهلي .. والقمر بان

الليلة . قهقه البحارة نفس القهقهات التى هزموا بها كبرياء البحر فى شبابهم . أما البنات فعدن يتراشقن بالياسمين من النوافذ .. » (ص ٢١) .

فى هذه القصة الشاعرية الرقيقة ، التى تمثل نوعية التطور فى عالمه القصصى ، يجمع محمد عبد الملك بين الشاعرية والخبرة بعالم البحر والبحارة وبين التراث الشعبي . وقد كتب محمد عبدالملك عن توظيفه للتراث الشعبى فى هذه القصة ، وهو بصدد تحديد مفهومه للتراث ، فى مقال نشرته مجلة « كلمات » البحرينية (عدد سبتمبر ١٩٨١) بعنوان « التراث ظاهرة وسلوك وفعل » ، قائلا إن « الراوى الشعبى يعلمنا أن الانسان ناقص بالعلم وحده ! وليت يستفيد من هذه العبرة الكثير من المتعالين من الناس بعلمهم . نحن فى طبيعة التكوين الخيالى اللا منطقى للأسطورة والحكاية الشعبية ، وهذه الحالة هي مشابهة تماما لتكوين الأقصوصة أو الرواية أو الشعر . وفى الأفكار المزاوجة فى التكنيك بين الأثنين وربما حاولت ذلك فى أغنية « الطائر الأخضر » التى وظفت بها أغنية كنا نغنيها ونحن صغار فى ليالى رمضان :

يــاطـــويـــر لخضر ويـــن بـتـبـات الليلة
بـــايـــات عنـــد أهلي والقمـــر بـــان الليلة

أما التوظيف الأكبر للتراث فى الأدب فيكون فى نجاح الكاتب فى زرع القيم والأفكار والمثل القديمة الجديدة فى وجدان القارىء .

إن محمد عبد الملك يتألق عندما يبدع قصصه البحرية الشاعرية والتراثية . ففى هذه القصص يجيد عبد الملك توظيف تراث البحر والتراث الشعبى والطبيعة الساحرة لعالم البحر والشاطىء والنخل فى عالم البحرين الجميل ، وينتقى محمد عبد الملك شخصياته المعذبة من البحارة والحمالين والصيادين الأشداء بمقاومتهم للأنواء والأحمال والجوع والفقر ، مثل « مرزوق » الحمال بطل قصة « اللقمة » الذى أدركته الشيخوخة المبكرة فى سن الأربعين بسبب معاناته الشاقة فى حمل الأكياس من البواخر إلى شاطىء الميناء ، وصورت القصة لحظة حمله الأخير وإصراره على هذا الحمل الأخير .

فى سماء التحول

ومن أبدع قصص هذه المجموعة من القصص البحرية قصته « تحت سماء المدينة » التى تصور أزمة بطلها الصياد « جبران » فى لحظات التحول من اقتصاد البحر إلى اقتصاد النفط . من صراع الأمواج بفتوة ورجولة إلى الحياة فى مكاتب المدينة . غير أنه رفض الحياة المدنية الناعمة ، وفضل الالتحاق بالعمل الشاق « فجبران لم يجلس فوق مقعد قط فى حياته ، جسده لاصق الأرض ، ولاصق ماء البحر المالح ، وصدر السفينة . ثابتتين وظلت قدماه ثابتتين » (ص ٨٤) .

غير أنه إذا كان محمد عبد الملك قد تقدم بمجموعته القصصية الثالثة « ثقوب فى رئة المدينة » صوب الشاعرية وتوظيف الحدث والتراث الشعبي وتراث البحر والغوص ، إلا أن القصص افتقرت لمحدودية الزمن ، وظل طابع الحكاية الممتدة عبر الزمن هو الطابع الغالب على معظم القصص ، مثل قصص المجموعة الأخرى : « الفزاعة » و« القمر وجهه أزرق » ، وغيرها من قصص المجموعة الثالثة .

« السياج » هى رابع المجموعات فى عالم محمد عبد الملك القصصى . تستهل المجموعة بقصة « الحزين يغني » ، وهى قصة حب جميلة يبدعها قلم الأديب الفنان ويقدم فيها إحدى شخصياته الشعبية المعذبة المنتقاة من واقع الحياة المعاشة فى أحياء البحرين الشعبية ، ويمزج فيها مزجا بديعا موحيا بين معاناة بطله المغنى الشعبى « الحزين » المادية والروحية . والحزين هو اسمه وهو اسم على مسمى .

ولقد برع القصاص فى أسلوب المقابلة بين صور الحزن والفرح وبين لحظات ابداع المغنى الفنان وحزنه وحبه من جانب واحد ، وذلك عن طريق تتابع الصور التى تصور ليلة « العرس » وأفراح الناس وتقاليد الزواج القديمة والكراسى المستعارة من بيوت « أعيان المنامة » . فى حين ينشد الحزين أغنيات حبه الصادق ويذرف الدمع على هذا الحب المستحيل لأنه من جانب واحد . ولأنه يحلم بتحقيقه وأن يكون له بيت وزوجة حبيبة وعرس ككل الناس . ولكنه يعلم أن حلمه مستحيل ، وأنه سيمضي يغنى فى الأفراح ويغسل الأوانى ويساعد فى الطبخ لقاء « اللقمة » و« المكسرات » وبعض المال . ويصور الفنان شخصية بطله الوحيد ومدى معاناته من التشرد والبؤس والوحدة . وحتى عندما أدركه الحب فإنه لم يقو على الاتصال بحبيبته أو البوح لها رغم أنها تقف أمامه فى العرس . فاكتفى بالغناء الصادق لها دون أن يكترث به أحد . « وكان الحزين يغنى بانفعال شديد فاغرورقت عيناه بماء صاف نظيف ، وكانت النسوة منشغلات بالحديث عن العرس والعروس » (ص ١١) .

ويركز الأديب الحساس على وحدة بطله بين جموع الناس ، قائلا : « وكان الحزين يدير رأس الأغنية وينعطف بها وحيدا من دروب العشق إلى سهوبه ثم يحط على صفحات وجه امرأة حلم بها فى الخفاء وأخفى سرها وسره عن الناس وغنى الحزين .. وشده الغناء وحده .. » (ص ١٤) .

إنها قصة بديعة فاتنة ومعبرة حقا ، قدمت شخصية معذبة منفردة متميزة ومزجت بين همها الخاص والهم الاجتماعى العام . غير أن عبدالملك لم يتخلص فى هذه القصة من الختام التقريرى المباشر لقصصه ، فكأنه لا يريد أن يترك الفرصة لقارئه لكى يعرف ويفهم من أحداث القصة وصورها ما يستهدفه الكاتب ، كقوله فى نهاية القصة : « وكانوا جميعا على علم أن عشق الحزين كقبض الريح والفراغ والسراب ، وكذلك الكلام ، والنهاية ، وأنه عشق من طرف واحد لا حد له ولا لقاء ولا نهاية إلا مع الحزن ، والوحدة والمسكنة ، والجوع فى غرفة صغيرة يغزوها الفراغ » (ص ٢١) .

ويحافظ عبد الملك على البعد الاجتماعى فى قصص مجموعته الرابعة « السياج » ، من خلال أحداث واقعية مغلفة برموز شفافة تكشف أكثر مما تغطى وتوحى أكثر مما تصرح . كما فى قصتيه « الرجال الثلاثة » و« روى » . ففى القصة الأولى يتبرع العمال الثلاثة العطاش المنفردين فى الصحراء بآخر كوب ماء فى قريتهم لسيدة ثرية تستنجد بهم وتشرب الماء ثم تلقى إليهم بورقة نقدية بازدراء وتطير الورقة مع عجلات سيارتها الفخمة .

وفى القصة الثانية يترهل الكلب « روى » القادم من أحياء الفقراء إلى قصر أحد الأثرياء وتضعف قوته وشدته ، وعندما يسرق اللصوص القصر ، يطلق الثرى رصاصة على « روى » فيفر الكلب عائدا إلى الحى الشعبى حيث يستقبل بحنان ومحبة وحفاوة ويبنى له كوخا صغيرا كتبوا عليه اسمه . وترمز القصتان لمشاعر الفقراء الانسانية الجياشة وجفاف ينبوع الحب الانسانى لدى بعض القادرين .

كما ترمز قصته « السياج » ، التى حملت المجموعة الرابعة عنوانها ، للبعد الاجتماعى والحاجز القائم بين مجتمع القادرين ومجتمع الفقراء ، بالرغم من تقدم الجيل الجديد من الشباب فى المجتمعين محاولا بالحب اجتياز الحواجز بين المجتمعين . فالأب الثرى يرفض الشاب المثقف الوسيم الموظف بشركة التأمين عندما يتقدم للزواج من ابنته لأنه « بلا أصل ولا مال .. كيف تحب من لا أصل له ولا مال ؟ » (ص ٦٨) ولكن علاقة الحب تستمر . ويجوس القاص بمهارة فى باطن الأب الثرى ليصور عذابه وضعفه وخوفه من العار وتراه الزوجة بضعفه أقرب إلى ضعفه القديم عندما كانوا فقراء ، ولكن الابنة تعود فيرق قلب الأب

ويعلن موافقته على الزواج . ولأنه زواج مستحيل تقرر الابنة : « فات الأوان » إذ فر الشاب وهجر البلد كلها . فالفوارق تقتل الحب ، وتقيم في وجهه السياج .

وفي قصته « الأشجار » يموت مغني الفقراء « العجيل بن الأسود » ويكف عن الغناء والعزف على الناى عندما يستجيب لدعوة السيدة الثرية للحياة في قصرها والغناء لها . وتمثل هذه الرموز الشفافة تطورا جديدا في عالم محمد عبد الملك القصصي تزيده ثراء وتنوعا وإيحاء .

تكثيف الواقع

تشكل أحدث مجموعاته « النهر يجرى » (مايو ١٩٨٤) ذروة التطور والتقدم في عالم محمد عبد الملك القصصي . ففي قصص هذه المجموعة الخامسة طور أديبنا الفنان عالمه الواقعي من الواقعية النقدية الى التعبيرية والرمزية ، ومن التصوير الفوتوغرافي والنقل الدقيق من الواقع الى إعادة خلق الواقع وصياغته ، أي من نقل الواقع الى التعبير عنه وفقا لتصور الكاتب الفنان ومزج تفاصيل الواقع بخيال الفنان في مركب جديد به حوار وتفاصيل متخيلة تحافظ على التصور الواقعي غير أنها تكثف الواقع وتنطلق منه الى صور جديدة أكثر ثراء وإيحاء . وبدلا من العبارات التقريرية والختام الخطابي المباشر والسرد المطول والوصف الخارجي ، تقدم محمد عبد الملك نحو التكثيف والتركيز والايماء والرمز والتعبير . فلا كلمات زائدة أو مباشرة ولا أحداث مطولة في زمن غير محدود ولا مناقشات عامة ينوء بحملها قالب القصة القصيرة الشاعرى المكثف كما كان يفعل في قصصه الأولى . بل أن كل كلمة في القصة موظفة بفنية ومهارة لخدمة رؤية الكاتب التي لم يتخل عنها قط ، ولكنها في مركبه القصصي الجديد صارت أكثر شمولية وتركيبا ووعيا وإيماء . كما فعل في قصته البديعة « النجوم » ففي هذه القصة وبمهارة الفنان وحرصه على التجدد ، يتقدم محمد عبد الملك نحو الذروة في عالمه القصصي ، بمزجه بين الهم العام والهم الخاص . وتتألق برؤية واقعية ورؤيا فكرية تشكل في صفحاتها المحدودة بانوراما الحياة والانسان في المجتمع الخليجي الحديث ، وذلك من خلال صور متتابعة وأحاديث حوارية سريعة ومحدودة الكلمات وسخرية ممتعة وحدث ثرى ينمو ويتصاعد ويتطور بفنية ودربة .

فمحمد بطل قصة « النجوم » يعود الى مدينته بعد سبع سنوات من الغربة ليجد نفسه غريبا عن المدينة وزائدا عن الحاجة ومرفوضا من الجميع ، وليجد كل شيء قد تغير في المدينة . فلم يجد أصدقاءه ولا بيته ولا أهله ، ولم يجد أحدا يحدثه ليروى له ذكريات الغربة ، وعندما أراد أن يسأل عن بيته لم يجد جيرانه ، فاضطر لسؤال الآسيويين الغرباء عن البيت ، فأنكروا معرفتهم به . وهده التعب فذهب لينام في الحديقة العامة ولكن الحارس منعه من النوم واتهمه بمخالفة القانون وأطلق رصاصته في الهواء لإرهابه . وهنا يدير الفنان حوارا تعبيريا ذكيا بين الحارس ومحمد بطل القصة ، يحذر فيه البطل الحارس من اصابة النجوم الجميلة التي تنير السماء : فيقول له الحارس « سنستعين بالنفط » فيجيبه محمد : « سينضب النفط يا أبا الحسن » ويستمر الحوار الدرامي بين البطل والحارس ، مصورا غربة البطل المتعب المعذب ماديا وروحيا . فيسأل محمد الحارس سؤالا عميق المغزى : « هذه الأرض النائمة .. ما اسمها ؟ » فيجيبه الحارس متسائلا بدوره : « ألا تعرف مسقط رأسك ؟ » فيرد محمد قائلا : « كل شيء تغير يا أبا الحسن .. الطرقات تبدلت .. الوجوه تبدلت .. » .

واستمرارا لتجسيد الأزمة ينصح الحارس « محمد » بالابتعاد عن الحديقة ، ويأتي الجوع ليرسم جانبا آخر في لوحة الأزمة ، فالرجل لم يأكل منذ يومين ونصف يوم ، ومع ذلك فإنه يرفض خبز الحارس وتمره . ويمضي القاص في تصوير تناقضات المدينة الحافلة بالمنازل والعمارات الجميلة والمطاعم ودور السينما والديسكو ، بينما هو لا يملك حجرة واحدة تأويه أو نقودا يدفعها لفندق . وعندما يذهب لأحد الفنادق يطلبون منه الدفع مقدما كما ينص القانون .

وعضه الجوع ورأى الدجاج المشوى يدور أمامه . والناس يأكلون وهو لا يأكل والناس يضحكون وهو لا يضحك ، والناس يدخلون ويخرجون وهو لا يستطيع أن يدخل أو يخرج . فنام واقفا بباب المطعم . ويصور الفنان بحساسية وعمق هذه الأزمة في كلمات وعبارات مكثفة ومعبرة : « نام محمد وهو واقف عند مطعم النهر الذهبي . شم محمد الجوع ، ورأى الشبع والنجوم بعيدة وتمنى أن يعود الى بطن أمه ، والى طفولته وبيته ، وداره القديمة » .

لقد آثرت أن أنقل هذه الفقرة الطويلة من قصة عبد الملك الجميلة لأهميتها في التعبير عن مدى التطور في عالم محمد عبد الملك القصصي وفي عمق رؤيته وتحذيره من خطورة الأزمة التي تهدد وجود الانسان العربي .

قضايا الانسان العربي

هذا التقدم نحو التعبيرية والرمزية في عالم محمد عبد الملك القصصي يصاحبه تقدم في الوعي الفكري والسياسي والاجتماعي للكاتب ، يبين فيه التزام الكاتب بقضايا الانسان العربي في الوطن العربي كله دون مبالغة . وفي هذه العالم القصصي الجديد يمضي محمد عبد الملك معبرا عن أزمات المجتمع العربي ، كأزمة العقل وحرية الفكر في قصة « الأقفاص » حيث يتهم المفكر بالانحراف والجنون ، ويوضع في الأقفاص بمستشفى الأمراض العقلية ، ويربط بالسلاسل الحديدية ، وتحبس كتبه في الخزائن الحديدية أيضا .

وفي قصة « الغزاة » يدور حوار رمزي ذكي بين الأشجار والطيور ، ويستخدم الكاتب مكونات عالم البحر ، من طيور النورس والأمواج والرياح للتحذير من خطورة الاستكانة والاستخفاف بالغزاة الذين يهددون الوطن ، ولكن الأزهار الجديدة ، الأجيال الجديدة ، لم تلبث أن تحولت « الى رجال حملوا البنادق » . وهنا قال الغزاة : « هذه بلاد غريبة » (ص ٥١) واضطروا للرحيل ، فالواقع أليم والخطر داهم ، والفنان ينبه الى خطورته بتنويعات فنية ، ولكنه لا يدع اليأس يسيطر ، بل يدعو الى اليقظة وإمكانية التصدي للغزاة .

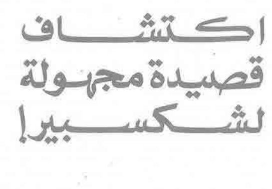
وفي هذا العالم التعبيري يصور محمد عبد الملك مأساة الوطن العربي دون استخدام كلمات مباشرة أو خطابية أو تقريرية ، بل من خلال استخدام الأقنعة في « حفلة تنكرية » ، وهو اسم القصة .

وفي قصة « النهر يجرى » ، التي منحت عنوانها لمجموعة محمد عبد الملك الخامسة يواصل هذا الفنان نسج عالمه التعبيري وواقعيته الجديدة ورمزيته الشفافة المؤسسة على مفردات الواقع الممتزج بخيال الأديب المبدع ، حيث يتحدث النهر والطيور مع البشر ليصب الجميع في النهر الذي يمضي متدفقا دون توقف . أما النموذج الايجابي الوحيد في القصة فهو « محمد بن يقظان » ، وهو اسم معبر بالدلالات ، فيتحدث عن « أصحاب الكهف » و« الليل الأسود » وعن الخيول التي لازالت تصهل بداخله ، لذا ظل وحيدا بلا أصدقاء .

فمنذ كتب محمد عبد الملك أول كلمة في عالمه القصصي ظل أمينا في احتضانه لقضايا البسطاء والمعذبين ، وقد اغتنى عالمه القصصي على امتداد أعوام الستينيات والسبعينيات والثمانينيات ، وتعددت قضاياه واتسعت رؤاه ، ولكن ظل الرجل البسيط ، أنموذج الانسان العادي ، هو المحور الرئيسي الذي يدور حوله عالمه القصصي الجميل .

أحمد محمد عطيه





اكتشاف قصيدة مجهولة لشكسبير!

يقدمها: طلعت الشايب

منذ عام ١٩٧٧ تواصل مطبعة جامعة أكسفورد مشروعها الضخم لإصدار الطبعة الجديدة للأعمال الكاملة لشيكسبير. تكلف المشروع حتى الآن مليون دولار ويعكف عليه فريق عمل كبير من الأساتذة والباحثين يعملون تحت اشراف د. ستانلي ويللز الذي يساعده باحث أمريكي شاب هو جاري تيلور ـ ٣٢ سنة ـ هو أيضاً من أشهر المحللين الأكاديميين لنصوص شيكسبير.

في شهر نوفمبر الماضي وبينما كان جاري تيلور يقوم بتدقيق بعض النصوص من مراجعها الأصلية في مكتبة بودليان بأكسفورد، استرعى انتباهه ـ وهو يطالع ثبتاً ببدايات قصائد شيكسبير ـ مطلع قصيدة لم يسبق له أن سمع به. وكانت المفاجأة الكبرى، عندما طلب المرجع الأصلي، أن يجد نفسه أمام قصيدة مجهولة يرجع تاريخها الى القرن السابع عشر.

« طالعتني نفس الوجوه المألوفة حيث توقعت أن أجدها، ولكن بينها كان هناك وجه غريب.. قصيدة منسوبة الى شيكسبير ضمن مجموعة قصائد لشعراء آخرين في مخطوط يعود الى عام ١٦٣٠ ».

وبمجرد أن قرأها، كان عليه أن يعرف كل التفاصيل وبأقصى سرعة ممكنة.. فعلى حد تعبيره، بدأ عقله ينبض بأسئلة كثيرة: كم يا ترى عمر الوثيقة؟ ما مصدرها؟ هل القصيدة مجهولة بالفعل حتى اليوم؟ هل توجد بالمكتبة مخطوطات أخرى مماثلة؟ وكانت جميع الأسئلة تصب في اتجاه واحد وهو الرغبة في التثبت من صدق الوثيقة.



شكسبير وجاري تيلور مكتشف القصيدة

من البداية كان الباحث يعلم تماماً أن كثيرين سوف يشككون في الوثيقة ذاتها. فتاريخ دراسة شيكسبير مليء بمحاولات التزييف ومحاولات نسبة مسرحيات كثيرة إليه. حيث على مدى القرون الثلاثة الماضية نسبت ٨٠ مسرحية مجهولة الى الشاعر. كان من المحتمل أن تكون واحدة منها فقط تعود إليه. والباحث يعرف الموقف المتشدد للأكاديميين الذين يرفضون بشدة إضافة أي جديد الى تراث شيكسبير المعروف، مما جعل أحد أساتذة جامعة أكسفورد يقول في معرض تعليقه على الاكتشاف:

« إن البعض لن يصدق أن هذه القصيدة لشيكسبير إلا إذا نهض من القبر ليوقعها أمامهم ».

المهم أن الناقد الشاب كان أمام قصيدة ينسبها شخص ما، عاش في القرن السابع عشر، الى شيكسبير.. أما كيف وصلت القصيدة الى المكتبة ... فهذه هي القصة:

كان ريتشارد رولينسون ـ أحد خريجي كلية سان جون ، والذي كرس حياته لجمع الكتب والمخطوطات ـ قد أوصى بإهداء مجموعة ضخمة من الكتب والوثائق الى مكتبة بودليان بعد وفاته ، وهكذا بين مئات الكتب والوثائق التي يعلوها التراب في مخازن المكتبة ، كان هناك مجلد يحمل عنوان « مخطوطات أشعار رولينسون ـ ١٦٠ » منذ عام ١٧٥٦

بين القصائد كانت هناك واحدة أخرى لشيكسبير بالإضافة الى قصائد لجون دون و روبرت هيرك وبن جونسون .

قام المكتشف بالتأكد من أن المخطوط كان فعلاً لدى المكتبة منذ أهداه صاحبه ، وقام بفحص طريقة الكتابة المدون بها اسم الشاعر تحت القصيدة ليتأكد أن أحداً لم يقم بإضافته بعد ذلك ، فوجد نفس طريقة الكتابة ونفس نوع الحبر . كذلك راجع القصائد الأخرى (٥٠ قصيدة) فوجدها جميعها معروفة ، ووجد نسبتها الى أصحابها صحيحة .

بعد ذلك انتقل الى مرحلة يسميها مرحلة تشريح جسم القصيدة ، ليبحث في داخلها عن شخصية الشاعر ، تماماً كما يقوم الطب الشرعي بتشريح جثة ما لمعرفة أسباب الوفاة ، ولكي يكتشف « بصمات الأسلوب » ، كما يقول .

وتم ذلك بمراجعتها على الكمبيوتر المبرمج عليه قاموس الكلمات والعبارات التي استخدمها شيكسبير في جميع أعماله المعروفة ، وعدد مرات استخدامها ومكان كل منها ، وكانت دهشته كبيرة حين وجد تشابهات كثيرة ومثيرة بين القصيدة وبين أعمال أخرى للشاعر ، وعلى وجه التحديد مسرحية « روميو وجوليت » .

والنص مكتوب باللغة الانجليزية القديمة ، والقصيدة غنائية تتكون من ثماني مقطوعات كتبت بأسلوب العصر الاليزابيثي ، علامات الترقيم قليلة ، كما وجد أن الشاعر قد استخدم تقريباً مائة عبارة لها ما يشبهها في أعمال أخرى . ومن المعروف أنه كانت لدى شيكسبير أكبر حصيلة من المفردات توفرت لأي كاتب آخر كتب بالانجليزية ، كما أن كل قصيدة أو مسرحية له كانت تحتوي على بعض كلمات لم يستخدمها سواه ، وفي ذلك يقول جاري تيلور : « كان شيكسبير يحاول دائماً أن يخلق لغة جديدة .. أسلوباً جديداً للتعبير ، فالكتاب المتوسطون مثلي ومثلك هم فقط الذين يستخدمون اللغة التي اخترعها من قبلهم » .

Is this by Shakespeare?

1

Shall I die? Shall I fly
Lovers' baits and deceits,
sorrow breeding?
Shall I fend? Shall I send?
Shall I shew, and not rue
my proceeding?

In all duty her beauty
Binds me her servant for ever.
If she scorn, I mourn,
I retire to despair, joying never.

2

Yet I must vent my lust
And explain inward pain
by my love breeding.
If she smiles, she exiles
All my moan; if she frown,
all my hopes deceiving–
Suspicious doubt, O keep out,
For thou art my tormentor.
Fly away, pack away;
I will love, for hope bids me venter.

3

'Twere abuse to accuse
My fair love, ere I prove
her affection.
Therefore try! Her reply
Gives thee joy – or annoy,
or affliction.
Yet howe'er, I will bear
Her pleasure with patience, for beauty
Sure will not seem to blot
Her deserts, wronging him doth her duty.

4

In a dream it did seem–
But alas, dreams do pass
as do shadows–
I did walk, I did talk
With my love, with my dove,
through fair meadows.
Still we passed till at last
We sat to repose us for our pleasure.
Being set, lips met,
Arms twined, and did bind my heart's treasure.

5

Gentle wind sport did find
Wantonly to make fly
her gold tresses.
As they shook I did look,
But her fair did impair
all my senses.
As amazed, I gazed
On more than a mortal complexion.
Them that I love can prove
Such force in beauty's inflection.

6

Next her hair, forehead fair,
Smooth and high; next doth lie,
without wrinkle,
Her fair brows; under those,
Star-like eyes win love's prize
when they twinkle.
In her cheeks who seeks
Shall find there displayed beauty's banner;
Oh admiring desiring
Breeds, as I look still upon her.

7

Thin lips red, fancy's fed
With all sweets when he meets,
and is granted
There to trade, and is made
Happy, sure, to endure
still undaunted.
Pretty chin doth win
Of all the world commendations;
Fairest neck, no speck;
All her parts merit high admirations.

8

A pretty bare, past compare,
Parts those plots which besots
still asunder.
It is meet naught but sweet
Should come near that so rare
'tis a wonder.
No mishap, no scape
Inferior to nature's perfection;
No blot, no spot:
She's beauty's queen in election.

9

Whilst I dreamt, I, exempt
From all care, seemed to share
pleasures in plenty;
But awake, care take–
For I find to my mind
pleasures scanty.
Therefore I will try
To compass my heart's chief contenting.
To delay, some say,
In such a case causeth repenting.

William Shakespeare

نص القصيدة المنسوبة لشكسبير

بعد اقتناع الباحث أن النص لابد وأن يكون لشيكسبير ، انتقل بتحرياته الى المكتبة البريطانية في لندن ومكتبة فولجر بواشنطن ومكتبة روزنباخ بفيلادلفيا ومجموعة هنتنجتون بكاليفورنيا ثم الى جامعات هارفارد وييل ، وجميعها مؤسسات علمية تحتفظ بمخطوطات تعود الى نفس الفترة الزمنية . كان الهدف هو التأكد عما إذا كان لدى أي من تلك الجهات فكرة عن تلك القصيدة الاكتشاف .

عندما جاءت جميع الأبحاث بالنفي ، أعلن عن الاكتشاف الذي سيكون ضمن الطبعة الجديدة من الأعمال الكاملة التي تصدر في الخريف القادم .

والمعروف أن هذا الاكتشاف ـ إذا كان صحيحا ـ سيكون أول اكتشاف لأحد أعمال شيكسبير في هذا القرن ، وربما منذ القرن السابع عشر .

بمجرد الإعلان عن الاكتشاف قامت قيامة الأكاديميين ، وانقسمت الآراء بين مؤيد ومتشكك . وإن كانت الأغلبية تجمع على أن النص ضعيف ، وأنه عمل من الدرجة الثانية بمقاييس العصر الفيكتوري .

البروفيسور « صاموبل شوينبوم » مستشار المشروع وأكبر المتحمسين للاكتشاف بالطبع يقول : « طالما لم يقم دليل قوي على عكس ما نقول .. فالقصيدة فعلاً لشيكسبير » .

أما الباحث المكتشف جاري تيلور فيرى عالم الدراسة الأكاديمية مسرحاً كبيراً ويرى جميع الدارسين ممثلين ..



حين أكملت المرحلة الثانوية ، كنت قد أكملت ــ عن ظهر قلب ــ حفظ قصائد الشاعر الرقيق الدكتور ابراهيم ناجي ، المبثوثة في ثنايا دواوينه الثلاثة « وراء الغمام » ــ ١٩٣٤ ، « ليالي القاهرة » ــ ١٩٥١ ، « الطائر الجريح » ــ ١٩٥٧ . وكنت أحس أن قصائده بمثابة كنز مخبوء في صدري . وأدركت ــ فيما بعد ــ أني تعلقت بشعر ناجي ، لأني ــ وفقا لتفسير الدكتور محمد مندور ــ واحد من الشباب المحرومين من متع الحياة ، على الرغم من تفتح وعيهم عليها ، ولذا يلاقي شعر ناجي المترقرق باللهفة والعطش الروحي استجابة في نفوسهم الظمأى .

بقلم : حسن توفيق

وحين كبرت .. وانطلقت إلى الجامعة .. كبر معى حبى لناجي ، لكن شاعرين كبيرين من رواد حركة الشعر الحر فى وطننا العربى أخذا يزاحمانه فى قلبي مزاحمة شديدة. أولهما : بدر شاكر السياب — من العراق ، وثانيهما : صلاح عبدالصبور — من مصر. وأتذكر أني كنت أقلب صفحات مجلة « الآداب » البيروتية ، بحثا عن قصائد منشورة لكليهما أو لأى منهما ، فإذا وجدت كنت أشترى المجلة وإلا فلا !

لم ألتق بناجي خلال حياته بالطبع ، وإن كان أبى يؤكد لى أنه قد عالجني فى عيادته بحي شبرا ذات مرة ، وأن ناجى لم يتقاض منه أجرا ، لأنه كان يعالج أبناء الفقراء بالمجان فى أغلب الأحيان ... كما أن أستاذى الشاعر د. كمال نشأت كان يسعدنى كثيرا عندما كان يحدثني عن لقاءاته العديدة بناجي.

أما السياب .. فإنى كنت أحلم بأن يزور مصر ، لكى يقدر لى أن ألقاه ، لأن فكرة السفر إلى العراق للقياه كانت أمنية عسيرة المنال ، وقد اكتشفت — فيما بعد — أن السياب نفسه كان يحلم بزيارة مصر ، لكى يلتقي بأدبائها وشعرائها ، مثلما قدر له أن يلتقى بأدباء لبنان خلال فترة مرضه ، وهذا مايتضح فى بعض رسائله التى نشرت بعد رحيله ، وكنت — إمعانا فى تأكيد تعلقى به — أسجل اسمه هو فى كشوف المترددين على دار الكتب المصرية عندما أرتادها ، وأذكر أنى زرت الشاعر هلال ناجى (وكان مقيما بالقاهرة فى الستينات) لكى يزودنى بما يعرفه عن السياب ، فوجئت بقوله : لماذا لا تذهب للسياب نفسه ، خاصة أنه موجود فى القاهرة ، بدليل أنه يسجل اسمه فى كشوف المترددين على دار الكتب التى اطلعت عليها بنفسى؟!

وفى الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٦٤ رحل السياب عن عالمنا بعد صراع مضن وطويل مع المرض الذى افترسه ، وأقعده مشلولا فى أخريات أيامه ... رحل دون أن يتحقق حلمى بلقياه. لكن القدر الذى حرمنى من لقيا السياب ومن قبله ناجى ، شاء أن يسعدنى ، لأنى تعرفت بصلاح عبدالصبور منذ أن كنت طالبا بالجامعة . وتعلقت به إنسانا مثلما تعلقت به شاعرا ، وعملت معه سكرتيرا ثم مديرا لمكتبه فى الهيئة العامة للكتاب بمصر منذ أن تخرجت . ومنذ أن قيل لى إن صلاح عبدالصبور قد رحل عن دنيانا فى الثالث عشر من أغسطس عام ١٩٨١ ، وأنا أرفض هذا الذى قيل ، مكذبا كل القائلين ، لأنى أحس بأن غيابه الجسدى لايشكل لى عائقا فى استحضاره فى أى وقت أشاء.

ولنعد إلى السياب ...

حين تهيأت للدراسات العليا بقسم اللغة العربية بآداب القاهرة ، كنت مصرا وقتها على أن تكون أطروحتى لنيل درجة الماجستير عن بدر شاكر السياب ، وبالفعل فقد تم تسجيل الأطروحة عام ١٩٦٦ بعنوان « شعر بدر شاكر السياب — دراسة فنية وفكرية » ، وكان الدافع لإصرارى على تسجيل هذا الموضوع بالذات هو حبى العميق للسياب ، وكان هناك دافع آخر قومى ، هو الايمان بوحدة الثقافة العربية فى مختلف أقطار الوطن العربى الكبير ، خلال العصور المختلفة التى مرت بها . ومن هنا فإننى اخترت أن أدرس شاعرا عربيا ينتمى إلى قطر عربى (العراق) غير القطر العربى الذى أنتمى إليه (مصر) نتيجة هذا الايمان بوحدة الثقافة العربية فى جوهرها.

كان من حسن حظى أنى استطعت الحصول على نسخة من كتاب « بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة فى العراق » ، وهو الكتاب الذى أصدره الكاتب والمحامى العراقى محمود العبطة عام ١٩٦٥ أى بعد رحيل السياب بعام واحد ، فكان هذا الكتاب أول دراسة متكاملة عنه . وتنبع أهمية هذا الكتاب من ارتباط صاحبه بأواصر صداقة وطيدة بالسياب ، ومن اهتمامه برصد النتاج الشعرى فى العراق فى بداية حركة الشعر الحر ، ومن ناحيتى فإننى بذلت محاولات مضنية ومتأنية للحصول على دواوين الشعراء العراقيين الذين رصد نتاجهم محمود العبطة ، وكان أن حصلت — ضمن ماحصلت عليه — على ديوانين لشاعرة عراقية من جيل السياب ، وكشفت لى دراسة هذين الديوانين عن وجود علاقة حب قوية بين تلك الشاعرة وبين السياب ، وهذا مالم يتحدث عنه دارسو السياب الذين أصدروا دراساتهم عنه بعد دراسة محمود العبطة ، لسبب بسيط يتمثل فى أنهم لم يهتموا بالحصول على الديوانين اللذين استطعت الحصول عليهما.

وإذا كان الدارسون والنقاد العرب لم يهتموا بدراسة شعر السياب خلال حياته المضطربة القصيرة التى لم تتجاوز ثمانية

■ إقبال — الزوجة : لم يكن تكريم الشعراء فى الحسبان خلال حياة بدر.

■ غيداء — الإبنة الكبرى : ذكرياتى معه مجرد أطياف فقد كنت صغيرة.

■ آلاء — الإبنة الصغرى : شعر السياب فى القمة وأقرأ لفدوى طوقان.

■ السياب تعرض للمتاعب فى حياته ، وتمثاله تعرض للقصف بعد رحيله !





وثلاثين عاما . فإن كثيرين درسوا جوانب حياته ومقومات عطائه الشعرى بعد رحيله عن دنيانا .

هناك من درسوه ضمن دراساتهم عن شعراء آخرين . ومن هؤلاء : د. جليل كمال الدين فى كتابه « الشعر العربي الحديث وروح العصر » . د. ابراهيم السامرائى فى كتابه « لغة الشعر بين جيلين » . جبرا ابراهيم جبرا فى كتابه « الرحلة الثامنة » . محي الدين اسماعيل فى كتابه « ملامح العصر » . د. لويس عوض فى كتابه « الثورة والأدب » . رجاء النقاش فى كتابه « أدباء معاصرون » .

وهناك من أفردوا له دراسات مستقلة ، متناولين فيها حياته وشعره . وأول من أصدر كتابا كاملا عن السياب كان محمود العبطة عام ١٩٦٥ كما أشرت من قبل . وفى عام ١٩٦٦ أصدر عبدالجبار البصرى كتاب « بدر شاكر السياب رائد الشعر الحر » وأصدر سيمون جارجى كتاب « السياب ــ الرجل والشاعر » . وفى عام ١٩٦٨ صدر كتابان آخران هما « بدر شاكر السياب والمذاهب الشعرية المعاصرة » لمحمد التونجى و « بدر شاكر السياب ــ حياته وشعره » لنبيلة الرزاز اللجمى . ثم أصدر الدكتور احسان عباس كتابه الضخم « بدر شاكر السياب ــ دراسة فى حياته وشعره » عام ١٩٦٩ . وفى عام ١٩٧٠ أصدر محمود العبطة كتابه الثانى عن السياب بعنوان « أضواء على شعر وحياة بدر شاكر السياب » . وأصدر خالص عزمى عام ١٩٧١ كتاب « صفحات مطوية من أدب السياب » . أما الكتاب العاشر من هذه الكتب التى أفردها أصحابها لتناول السياب فكان كتاب « السياب » الذى أصدره عبدالجبار عباس عام ١٩٧٢ .

ومن خلال هذه الدراسات مجتمعة ، والتى تتباين بالطبع فى مستواها العلمى ، وفى مدى تعاطف أصحابها مع السياب ، ومن خلال الجرائد والمجلات الأدبية العربية التى كان السياب ينشر فيها قصائده أو مقالاته ، تكونت لى حصيلة وافرة ، استطعت بها أن أنجز دراستى عن الشاعر الكبير . وكان هذا عام ١٩٧٨ ، حيث نوقشت بإشراف الدكتورة سهير القلماوى . وصدرت فى كتاب عام ١٩٧٩ . لكننى ــ على الرغم من الجهد والتأنى والصبر فى جمع مادتى عن السياب ــ كنت أحس بينى وبين نفسى بغصة كبيرة . لأنى لم أزر العراق . وبالتالى لم أزر البصرة . ولا قرية « جيكور » التى شهدت ميلاد السياب عام ١٩٢٦ . ولا نهر « بويب » الذى حفظت اسمه نتيجة تغنى السياب به فى قصائده .

وفى سبتمبر عام ١٩٨٠ قدر لى أن أزور العراق لأول مرة . ولكن بعد أن كانت دراستى قد صدرت . ولم يقدر لى فى تلك الزيارة أن أزور الجنوب . فزرت وقتها الشمال ودرت بمدنه « الموصل » و « آربيل » و « كركوك » . وعدت من زيارتى وقد ازددت تعطشا لزيارة جنوب العراق . وهذا مالم يتحقق لى إلا منذ نحو شهرين ، وبالتحديد يوم الخميس ٢٨ نوفمبر من العام الماضى (١٩٨٥) . حيث زرت « البصرة » ضمن وفود الشعراء العرب الذين استضافهم مهرجان « المربد » الشعرى السادس . بل إنى سعدت وانتشيت . لأنى كنت الوحيد . من بين جميع الشعراء العرب . الذى زار بيت الشاعر العراقى الكبير . وكان لى لقاء مع أسرته فى هذا البيت .

* * *

لم تكن فكرة زيارتى لبيت بدر شاكر السياب واردة فى ذهنى . لأن برنامج زيارة ضيوف « المربد » للبصرة كان محددا من قبل . بدأت الفكرة ــ ببساطة وبشكل عفوى ــ عندما قدمنى من يعرفونى الى « آلاء » الابنة الصغرى للسياب . صافحتها محييا قرب قاعدة تمثال الشاعر الكبير . وسألتها عن « غيداء » . فقالت لى : « هل تعرفها ؟ » أجبتها قائلا : « نعم ... فهى أختك الأكبر منك . وقد ولدت عام ١٩٥٦ . أما أنت فقد ولدت عام ١٩٦١ » ... ابتسمت « آلاء » فى دهشة . ثم استأذنت لتنادى « غيداء » ... تصافحنا بحرارة . وبقينا نتحدث قرب قاعدة تمثال السياب . وبين الحين والحين كنت أتطلع إلى التمثال ، وتتصارع فى أعماقى مشاعر شتى ..

أمام السياب ... شعرت بالنشوة تتملكنى . وخيل لى فى لحظة من لحظات الوهم أنه سيقبل لكى يصافحنى . ولكى يربت على كتفى « غيداء » و « آلاء » . مانحا إياهما عواطفه الأبوية العميقة . وأمام السياب ... احتوتنى مرارة مالحة ... حين سألت نفسى : ألا بد للشاعر العربى أن يموت . لكى يكرمه الآخرون ، ويوفيه حقه النقاد والدارسون ؟!

أعادتنى « غيداء » إلى الواقع . وأبعدتنى عن مشاعرى التى كانت تصطخب فى أعماقى : حينما قالت لى : « ألم تلاحظ هذه الثقوب ؟! » ... آه ... إنها شظايا القصف من جراء الحرب التى دخلت عامها السادس ... الشظايا لاتستطيع أن تميز بين الأشياء ... إنها تقتحم فى اندفاعها النبيل والرذيل . والجميل والقبيح على السواء ... إنها لاتميز ... وهكذا قدر لتمثال السياب أن تقتحمه الشظايا ... وكأن الشاعر العربى الكبير الذى تعرض للمتاعب والمصاعب فى حياته . لم يسلم أيضا من التعرض للقصف بعد رحيله الجسدى عن دنيانا !!

قرأت ماهو مكتوب على اللوحة الرخامية عند قاعدة تمثال السياب ... هذا هو اسمه ... وهذا عام مولده وذاك عام رحيله عن دنيانا . وفقا للتقويمين الميلادى والهجرى ... وهذه سطور من قصيدته الرائعة التى كنت ــ ومازلت ــ أحفظها منذ سنوات ... قصيدة « غريب على الخليج » التى يضمها ديوانه العظيم « أنشودة المطر » ... والسطور المختارة . تصور مشاعر السياب عندما كان هائما على وجهه : خارج العراق : يعانى الغربة والضياع عام ١٩٥٣ ... إنها سطور يتكشف منها مدى إحساس السياب بالوحشة وهو بعيد عن شمس العراق . وبعيد كذلك عن ظلام الليل فى العراق ...

الشمس أجمل فى بلادى من سواها والظلام
حتى الظلام هناك أجمل فهو يحتضن العراق
واحسرتاه متى أنام
فأحس أن على الوسادة
من ليلك الصيفى ظلا فيه عطرك ياعراق ؟
بين القرى المتهيبات خطاى والمدن الغريبه
غنيت تربتك الحبيبه ..

عندما انتهيت من القراءة مرة .. ومرات .. قلت لنفسى : « واحسرتاه .. إن الشظايا التى لاترحم أسقطت العديد من النقاط من فوق الحروف ... وعلى سبيل المثال فإن نقطة الجيم فى « الشمس أجمل ... » قد سقطت ... » وتنبهت أيضا إلى أن رقم (٩) من عام مولده بالتقويم الميلادى قد سقط هو الآخر .. لكنى اندهشت حين قرأت أن عام مولده ــ وفقا لما هو مكتوب على قاعدة التمثال ــ هو عام ١٩٢٥ . إن كل الدارسين والباحثين قد ذكروا أن السياب ولد عام ١٩٢٦ . بمن فيهم محمود العبطة فى كتابه الأول عن السياب . لكنه فى كتابه الثانى حاول أن يثبت أن السياب قد ولد عام ١٩٢٥ . حيث يذكر أنه راجع مجلات المدرسة المحمودية الابتدائية . وقد عثر على معلومات خاصة بالشاعر نقيها من السجل رقم (٦) وصفحة السجل ٧٥٧ « والمعلومات هى : المحلة : قرية جيكور ــ تاريخ الولادة ١٩٢٥ ــ آخر مدرسة كان فيها قبل دخوله المحمودية مدرسة باب سليمان ــ أبيض الوجه ــ أسود العينين ــ أحواله الصحية جيدة وسيرته فى المدرسة جيدة » .

إذن فإن من اختاروا ماهو مكتوب على اللوحة الرخامية قد استشاروا محمود العبطة بشأن تاريخ ميلاد الشاعر : مع أن السياب نفسه ــ خلال حياته ــ كان قد أشار فى مواضع عديدة إلى أنه ولد عام ١٩٢٦ . ولم يذكر مطلقا

أنه ولد عام ١٩٢٥ . وبالمناسبة فإن بلند الحيدرى وعبدالوهاب البياتى قد ولدا أيضا عام ١٩٢٦ . وهما ـ كما نعرف ـ من جيل السياب .

انصرف الشعراء قاصدين فندق شيراتون ـ البصرة . للراحة . واكتشفت أنه لم يبق سوای وغيداء وأختها آلاء وشاب رقيق من البصرة هو أياد سعيد مزعل . وحين انطلقت سيرا على الأقدام إلى الفندق سألت غيداء أن تسمح لى بزيارة البيت ... بيت السياب رحبت بطلبى الذى كنت أهدف من ورائه إلى إلقاء نظرة على مكتبة السياب . وعلى ماقد يكون موجودا من قصائد مخطوطة أو رسائل موجهة له من الأدباء العرب ، إلى جانب لقائى بزوجته السيدة إقبال طه العبد الجليل .

* * *

أحسست وأنا أدخل بيت السياب أنى إنما أدخل بيتى ، وأنه كان يتعين على أن أدخل هذا البيت منذ سنوات . واستقبلتنى السيدة « إقبال » بترحاب شديد ، أضاف إلى ألفتي الروحية المسبقة ألفة روحية جديدة . لكني لاحظت أن أعماقها تشى بالحزن المقيم ، الذى تحاول أن تخفيه عن ملامح وجهها دون أن تفلح ، فهى تعرف أن الشعراء العرب ضيوف « المربد » قد حضروا إلى البصرة . ليضعوا إكليل الزهور على قاعدة تمثال زوجها الغائب عنها منذ إحدى وعشرين سنة .

زاد من ألفتى الروحية مع المكان ذاته أنى لاحظت أن جدران غرفة الاستقبال مطلية باللون الأزرق الفاتح ، وأن الأرائك والمقاعد خضراء اللون ... إننى أحب هذين اللونين ... الأزرق يعنى عندى البحر والسماء ، والأخضر عندى يعنى الحقول والغابات ... والبحر والسماء والحقول والغابات تريح النفس برحابتها وامتداداتها .

أقبلت الابنة الصغرى « آلاء » بالمشروبات الغازية أولا . لكنى لم أشرب . بصراحة كنت محتاجا لكوب من الشاى .

... كان السياب يحب الشاى كثيرا ، ويروى أصدقاؤه ومخالطوه أنه كان يجلس فى الأمسيات فى العديد من المقاهى الشعبية ، ومن بينها مقهى « الزهاوى » ، وكان لايشاهد إلا وأمامه كوب الشاى « الاستكان » بينما هو منهمك فى قراءة أبى تمام ... كان هذا فى بغداد خلال أواخر الخمسينيات ...

أقبلت « آلاء » مرة أخرى . حاملة صينية كبيرة تحوى أطباقا مملوءة بالكعك المحشو بالتمر العراقى ، ولم آكل إلا بعد أن علمت أن الصناعة محلية ... فالسيدة « إقبال » والدتها هى التى تصنع هذا الكعك ... أعترف بأنى أكلت منه بشهية مفتوحة .

أطلعتنى « غيداء » على مخطوطة الديوان « شناشيل ابنة الجلبى » وهو الديوان الذى صدر فى أوائل يناير ١٩٦٥ ، أى بعد رحيل صاحبه الشاعر الكبير بأيام قلائل ... وأطلعتنى على بعض القصائد الأخرى بخطه ... لكن مفاجأتى كانت كاملة حين اكتشفت أن إحدى هذه القصائد لم تنشر من قبل ، وبالتالى فهى اكتشاف أدبى ، حتى لو لم يكن مستواها هو نفس مستوى قصائد السياب الشهيرة ، استأذنتها فى تصوير القصيدة ، لكى يتسنى نشرها فيما بعد .

القصيدة بعنوان « نبوءة حزينة » ، وهى من حصاد عام ١٩٤٨ ، وهى مؤرخة ـ على وجه التحديد ـ بتاريخ ٢ فبراير ١٩٤٨ . وهذا العام هو الذى شهد نهاية قصة الحب بين السياب وشاعرة عراقية معروفة ، وكنت قد أفضت فى الحديث عن هذه القصة فى كتاب عن السياب ... وأدركت بعد قراءة القصيدة أنها من القصائد الموجهة إلى الشاعرة ، لكنها ليست فى مستوى قصائده الأخرى التى وجهها إليها ، ولعل السياب لم ينشر القصيدة ضمن ديوان « أساطير » الذى أصدره عام ١٩٥٠ لهذا السبب . ومن هنا فإن نشر القصيدة فى « الدوحة » يدخل فى إطار احترام تراث الشاعر الكبير .

* * *

.. دار الحديث بينى وبين السيدة « إقبال » ، وسرعان ماتشعب ليصبح حديثا جماعيا ، بعد أن انضمت « غيداء » و « آلاء » ...

« فى البداية قلت للسيدة إقبال : هل لك تحدثينا عن ذكرياتك مع الشاعر الكبير ؟ ... أنا أعلم أنكما قد تزوجتما عام ١٩٥٧ ...

ـ قاطعتنى السيدة إقبال ... قائلة : « عام ١٩٥٥ » (وحين رجعت إلى كتابى تأكدت أن ذاكرتي قد خانتنى ، فقد سجلت فى كتابى عن السياب أن عقد الزواج قد تم توقيعه فى ١٩ يونيو ١٩٥٥ ... إذن فالاعتماد على الذاكرة وحدها قد يضلل ..) .

« شكرت السيدة إقبال على تصحيحها لما ذكرته بشأن عام زواجها من السياب ... وبدأت هى تتحدث لتضيف إلى ما كنت أعرفه أشياء جديدة ...

ـ ... فى الشهر التاسع (سبتمبر) عام ١٩٥٥ كان زواجنا .. ولعلك تعرف أن هناك صلة قرابة بين عائلة السياب وعائلتى .. كان عقد القرآن فى البصرة ، لكننا تزوجنا فى بغداد فى دار من دور محلة « الكسرة » . وأقمنا فى « الكسرة » عاما واحدا ، ثم انتقلنا إلى « الأعظمية » ، وبقينا بالأعظمية فترة من الزمن ، إلى أن فصل السياب من عمله فى زمن عبدالكريم قاسم ، فكان أن رجعنا إلى « البصرة » ، وبعد فترة صعبة أعيد إلى العمل ، وكان عمله فى مصلحة الموانىء . وسكنا نحن فى مساكن تلك المصلحة ... وجاءت الفترة الأصعب ... حين ألم به المرض ، فانتقلنا إلى بيروت . لكى يعالج هناك . ومكثنا ثلاثة شهور ، وحين عدنا ازداد عليه المرض . ودخل مستشفى الموانىء بالبصرة .. وفى خاتمة رحلاته بحثا عن الشفاء . إنتقل فى الشهر السابع (يوليو) عام ١٩٦٤ ، ليعالج فى الكويت . سافر زوجى وحده فى البداية ، ثم التحقت به بعد ذلك لفترة ليست كبيرة ، لأنى كنت مرتبطة بالدوام باعتبارى معلمة فى المدارس ، وكان لابد أن أعود نتيجة ظروف



غيداء وآلاء بدر شاكر السياب تتحاوران مع الشاعر حسن توفيق فى بيت السياب فى قرية « جيكور » بالبصرة



عملي ... وبقي هو هناك إلى أن توفي يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٤ .

... لم أشأ — من ناحيتي — أن أصحح للسيدة «إقبال» تاريخ وفاة السياب ، فالصحيح أنه توفي يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٦٤ ووصل جثمانه إلى البصرة ، حيث دفن في مقابر «الحسن البصري» في اليوم التالي ... أي يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٤ ، وربما ظل التاريخ في ذهن السيدة «إقبال» (٢٥) لا (٢٤) لأن جثمانه ووري التراب يوم ٢٥ ...

• قلت للسيدة «إقبال» ... وماذا عن ذكرياتك معه ؟ ... كيف كانت تبدو شخصيته في نظرك ؟.. وكيف كان يعاملك ؟ وماذا عن لحظات غضبه ولحظات سروره هنا داخل البيت ؟

— لا أذكر أنه كان يغضب أبدا ... لحظات الغضب التي تتحدث عنها لم تمر به هنا أمامي ... كان دائما متسامحا رقيقا ... يحب الكل ... ويحب الهدوء .

• وماذا عن شعورك بعد أن كرمته الدولة وكرمه الجميع بعد رحيله عن الدنيا ؟.. ولماذا لم يحصل على هذا التكريم في حياته ؟

— أشعر بالراحة النفسية ... مثل الراحة التي يحس بها أي إنسان عندما يجد أن إنسانا غاليا وعزيزا عليه ينال حقه من التكريم ... وأنا أشكر الحكومة العراقية على هذا التكريم لزوجي . والحقيقة أنه خلال حياة السياب ، لم يكن هناك اهتمام بالأدب ولا بالأدباء ، وبالتالي فلم يكن هناك أي مظهر من مظاهر التكريم له أو لغيره من الشعراء .

• وماذا عن معاناتك أنت ، وغيداء وآلاء ، إزاء الباحثين الذين يحضرون إلى البيت ، لكي يحصلوا على مصادر أو كتب تدور حول السياب ... لكنهم لا يهتمون بعد ذلك بإعادة هذه المصادر أو الكتب إليكم ؟

— نحن دائما نكون مسرورين بقدوم أي ضيف إلى دارنا . فنحن نشعر أن قدومهم هو تكريم للسياب ، ولهذا نرحب بهم دائما ، ولا نجد أية مضايقة من أحد منهم .

• ولكن ماذا بشأن من يحصلون على كتب أو مصادر ، ولا يعيدونها مرة ثانية لكم ؟

— نحن نتسامح ... نحن ....

... لم تستطع السيدة «إقبال» أن تكمل ما تود أن تقوله ... اكتشفت أن عبراتها تختلج ... وكأنها على وشك الاجهاش بالبكاء ... وتماسكت أنا الآخر نفسي بصعوبة .. وأدركت «غيداء» برقتها وذكائها صعوبة الموقف ، وصعوبة أن تتحدث أمها بعد ذلك ... فتدخلت هي لكي تكمل الاجابة .

— غيداء : دائما نبدو متسامحين .. روح التسامح تسيطر علينا ... ونقول : على الله العوض ... ونعزي أنفسنا بأن هذه الكتب عزيزة على من أخذها مثلما هي عزيزة علينا .. والحقيقة أن بدر شاكر السياب ليس ملكا لنا ... للأسرة ... فحسب ، لكنه ملك لكل العراقيين ، بل لكل العرب الذين يقدرونه ويحبونه . والحقيقة أننا نعرف الضعف البشري عند الناس ، لأنه موجود في طبيعتنا جميعا باعتبارنا من البشر ... ولذا فإننا نتسامح كما قلت لك .

• قلت لغيداء : أود أن أعرف مدى اهتمامك بالشعر ، على الرغم من أنني علمت منك أثناء حديثنا في الطريق إلى الدار انك تخرجت من كلية الهندسة — جامعة البصرة ؟

— اهتمامي بالشعر ينحصر في قراءته فقط ، وللأسف فإنني لا أملك الموهبة التي تتيح لي ممارسة كتابة الشعر وبالتالي أكتفي بالقراءة ، وأجد فيها متعتي .

• ومارأيك في شعر والدك ؟

— بدر شاكر السياب في رأيي قمة ... لكني — في مرات كثيرة — أحس بالتعب وأنا أقرأ له ... والحقيقة أن انتمائي له وما يسببه هذا الانتماء يمكن أن يكون له تأثيره بالنسبة لرأيي ... ولكن يبقى بدر شاكر السياب سارية علم .

• كنت صغيرة عندما توفي والدك — رحمه الله — ولكن هل تستطيعين أن تحددي أية مواقف أو ذكريات معه خلال حياته ؟

— الذكرى الوحيدة التي ستبقى في نفسي ، لأني — كما قلت — كنت صغيرة ... هي ذكرى رجوعه من الدوام بعد العمل ... كان يأتي متوكئا على عكازه الخشبي ... وجيوبه مليئة بالشكولاتة والسجائر ... الشكولاته لي ولغيلان وآلاء ... أما السجائر فله . هذه هي الذكرى الوحيدة التي ستبقى في نفسي ... أما بقية الأشياء فإنها مجرد أطياف حلوة ... أو مجرد آمال أتخيلها وأتوهم أنها حقيقة من شدة شوقي إليه ... إلى بدر شاكر السياب .

... تخيلت كم كان يعاني وهو يتوكأ على عكازه الخشبي ، وكم كان يعاني معاناة أشد ، وهو يحاول أن يدبر نقودا لكي يشتري «الشكولاته» لغيلان وغيداء وآلاء ... والسجائر له ... تخيلت هذه المعاناة ، لأني تذكرت رسائله التي كان يرسلها لأصدقائه ، وكلها تدور حول هذه المعاناة ... رجعت — فيما بعد — إلى هذه الرسائل ... وهذه فقرة من رسالة كان قد أرسلها لجبرا ابراهيم جبرا من لندن ، أثناء إقامته هناك للعلاج ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ٣٠ يناير ١٩٦٣ ، أي قبل رحيله عن دنيانا بما يقرب من عامين ... يقول السياب لجبرا في رسالته :

« ... فوجئت عندما علمت أمس من السفارة العراقية أن رمضان قد حل . لكن هما أصابني . سيأتي العيد وليس هناك من يشتري ملابس جديدة لأطفالي . إن راتب أمهم لا يكفي لأكثر من إطعامهم . أفلا تستطيع إقناع الدكتور محمد الأمين بارسال ما أستحقه عن ترجمة جزء من كتاب الأدب الأمريكي إلى زوجتي . إن ذلك سيجعلني مرتاحا ويزيل القلق من أفكاري . إذا لم يستطع فلتتفضل أنت بارسال أربعين أو ثلاثين دينارا إليها وسأعطيك إياها حين تعود أو تأخذها مما أستحقه عن الترجمة ... » .

• سألت آلاء التي كانت تصغي لحديثي مع غيداء عن اهتماماتها بالقراءة ، ومن الذين تقرأ لهم من الأدباء ؟ ... وبالمناسبة فإن آلاء لم تدرس الأدب شأنها شأن غيداء ، وشأنهما شأن غيلان ... فغيلان يدرس الهندسة في أمريكا على نفقة الدولة تكريما لوالده ... وغيداء سبق أن ذكرت أنها درست الهندسة ... أما آلاء فقد درست التجارة والمحاسبة ...

— على رأس قائمة قراءاتي يأتي بدر شاكر السياب ... وأقرأ كذلك لفدوى طوقان ... ولشعراء المقاومة الفلسطينية وأذكر منهم سميح القاسم ومحمود درويش ... كما أقرأ لنزار قباني وصلاح عبدالصبور وخليل خوري .

• وماذا عن قراءاتك في الرواية ؟

— قرأت أكثر روايات نجيب محفوظ ، وأحيانا أعيد قراءة بعض ماقرأته منها .

• ... وماذا تعملين الآن ؟ ... إن غيداء ذكرت لي أنها تعمل في محطة ضخ الكهرباء بالبصرة .. أنت ؟

— أعمل محاسبة بدائرة الاحصاء في البصرة .

• هل لك هوايات أخرى غير القراءة ؟

— أحب أن أستمع إلى الموسيقى وإلى الأغاني .

• من من المطربين تفضلينهم ؟ ... إن والدك — مثلا — كما يروي أصدقاؤه كان مغرما بالاستماع إلى أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب ... وأنت ؟

— عبدالوهاب ... اعتيادي أتصور ... إن ماكو شخص مو مغرم بعبد الوهاب ... وأحب أضيف فريد الأطرش .

... كان جوابها هذا بالعامية العراقية ... وقد تركته كما هو ... لأنها كانت متحمسة وهي تجيب ..

• هل تحدثينني عن غيلان ، لأنه ليس موجودا معنا الآن ؟.. لقد سمعت أنه يكتب الشعر وينشره ...

— عفوا ... لا أتصور أن غيلان قد نشر شيئا من شعره ... إنه يكتب ، لكنه يحتفظ بقصائده لنفسه ... ولكني أتصور أن غيداء

● نَصُّ قصيدة مجهولة بخَطّ السيّاب تنشر لأول مرّة ●

نبوءة حزينة

الظلالُ المقمرات الشحبُ
والسكون الخائفُ المضطربُ
غابة ثكلى .. وأشباحٌ حزانى
وجذوعٌ كلها كانت زمانا
وجذوعٌ في غدٍ تلتهبُ
ورياحٌ سوف تذروها دخانا

* * *

والفراشات النقيات الظماءُ
خفقةٌ بيضاء وشاها بنجمين المساء
المساءُ الأسمرُ المعطار .. وارتجت ليالي
في قرار القبة السوداء .. تهوى كالظلال
وربيعٌ وخريفٌ وشتاءُ !
وجناحٌ باردٌ فوق الرمال

* * *

وتصافحنا .. وظلان .. وظلان ونور
ويدٌ .. في غرفةٍ زرقاء : والنجم الصغير
أوقد الشباك .. فامتدت يدٌ من كل باب
ابتسام رنّح الأهداب .. مجهول الرغاب
واحتراق .. وانطفاء واحتراق
ونجوم وفراق
أنا لا أهواك « لا .. امضي » سأمضي في ذهول
« سوف تأتين » .. وأقدام على نور الأصيل
بعد يومين .. غداً ... حان اللقاء
أمس ماذا كان ؟ .. أيامٌ بطاء

وحديثان وصبح ومساء
أكذا الحب ؟؟ أحاديثُ ملول لملول
الهوى .. كالغابة السوداء .. أشباحٍ حزانى
ورياحٌ سوف تذروها دخانا ..
وفراشاتٌ على الحقل ظماء ..
وخريف .. وشتاء
وتصافحنا .. و غمغمنا وداعاً ..
ووداعاً .. ووداعا
رقصة الموتى وأنغام تخطين الغناء
والشحوب الراعبُ المكسوفُ يُلقيه الهلال
في رقاد الليلة العشرين .. حزناً لا ضياء
وكؤوس لثمتهن الظلال ..
حطمتها قبضة سكرى وقَرّتْ مقلتان
بالشظايا ؟؟ .. وتوارى عاشقان

١٩٤٨/٢/٢

مقطع من القصيدة بخط السياب

يمكن أن تفيدك أكثر مني . بصفتها أختي الكبيرة . فضلا عن تقارب السن بينها وبين غيلان .

« غيداء : أرى أن غيلان يمكن أن يسير على خطى بدر شاكر السياب . لأنه يبدو متأثرا به الى حد كبير . ومع ذلك فإن قصائد غيلان تظل مجرد بدايات ... لا يزال غيلان في السفح ... أما بدر شاكر السياب فإنه في القمة .

ـ في تقديري أن هذا طبيعي ... فأنا أذكر لك مثلا أن « حسين » وهو ابن « أمير الشعراء » أحمد شوقي يكتب الشعر . بل له ديوان مطبوع . ولكن شتان ما بين شعر أحمد شوقي وشعر ابنه ...

حان انصرافنا من البيت ... غيداء ... والشاب العراقي إياد الذي تطوع لتوصيلنا للبيت بسيارته ... وأنا .. شكرت السيدة « اقبال » وشكرت « آلاء » ... وانطلقنا لحضور فقرات برنامج زيارة ضيوف « المربد » للبصرة .

يهمني الآن أن أذكر أن « غيداء » قد ولدت يوم ٢٤ ديسمبر عام ١٩٥٦ . أي في نفس اليوم الذي رحل فيه السياب عن دنيانا بعد ثماني سنوات من ميلادها ... وقلت لنفسي أية آلام سببتها المصادفة وحدها ... حين تتذكر « غيداء » الانسانة الرقيقة أن يوم ميلادها يصادف يوم رحيل أبيها ...

ويهمني كذلك أن أذكر أن غيداء وآلاء لم تشيرا مطلقا الى أبيهما بكلمة « والدي » أو « أبي » ... كانتا عندما تشيران اليه تقولان : « بدر شاكر السياب » ... كأنما يحلو لكل منهما ترديد الاسم بالكامل .

أما غيلان فقد ولد يوم ٢٣ نوفمبر عام ١٩٥٧ وقد فرح به السياب ... ورأى في ميلاده امتدادا حيا لوجوده . على نحو ما يذكر في قصيدته « مرحى غيلان » .

يا سلم الدم والزمان : من المياه الى السماء .
غيلان يصعد فيه نحوي ، من تراب أبي وجدي .
ويداه تلتمسان ، ثم ، يدي وتحتضنان خدي .
فأرى ابتدائي في انتهائي .

... وتبقى « آلاء » ... ولدت آلاء في البصرة يوم ٧ يوليو ١٩٦١ .

واذا كنت قد حلمت كثيرا ـ عندما كنت طالبا بالجامعة ـ أن يأتي السياب ليزور مصر . وبالتالي يقدر لي أن ألقاه ... واذا كنت قد دخلت بيته ولكن بعد رحيله بإحدى وعشرين سنة ... فإن السياب نفسه ـ كما يتضح من إحدى رسائله ـ كان يحلم وهو في بريطانيا بأن يزور قرية شكسبير ويزور الشاعرين اللذين أفاد منهما في شعره . وهما ت . س . إليوت وايديث سيتويل ... حيث يقول في رسالة لجبرا ابراهيم جبرا بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٦٣ :

« ... لو كنت قد نلت الشفاء لزرت قرية شكسبير على نهر الآفون ـ ستاتفورد ـ على الآفون ، ولعملت على أن أزور الشاعرة الانكليزية العظيمة ايدث سيتويل وشاعر العصر ت. س. إليوت . لعل ذلك سيتحقق مرة أخرى ... من يدري ؟ ... »

... لكن ذلك لم يتحقق ... ولن يتحقق أبدا ...

حسن توفيق

كيف تواجه التكنولوجيا المتطورة في مكتبك؟..

إنذار مبكر لمواجهة المشاكل الصحية في العمل!



بقلم
الدكتور عبد الله الباكر

تطور العالم في العشرين سنة الأخيرة بفضل تقدم التكنولوجيا في الدول المتقدمة ، وبتصديرها للدول الأخرى والميسورة منها بالذات حدثت تطورات ملحوظة في مختلف المجالات ، وكان رصيد الإدارة التي أثرى تجديثها هذا التطور واضحا سواء بالنسبة لممارستها أو بالنسبة للمكان الذي تمارس فيه وهو المكتب .. إلا أن هذا التطور بالرغم من ايجابياته العديدة في هذا المجال ، شأنه شأن التطورات السريعة في هذا العصر ، فقد كانت له من النتائج والمخلفات ما دعا الهيئات الصحية إلى التدخل لبيان بعض المشاكل المترتبة على ذلك في شكل دراسات وثائقية أو بالإنذار المبكر أو بالتصدي لهذه المشاكل بفرض قوانين للحماية عن طريق المؤسسات الحكومية والمهنية .

لقد تغير شكل المكتب من حيث التصميم والإضاءة والتهوية والتبريد والتسخين والتنفيذ والتسرب الهوائي وتغير الأثاث فيه والمواد التي يصنع منها ، وتغير حجم المكتب في البنايات الضيقة وتغيرت الأدوات المستعملة لتحقيق أغراض العمل ، كما تغير أسلوب ممارسة وتنفيذ العمل .

وبالطبع فإن كل هذه التغيرات لها تأثيرات عضوية جسمانية وعقلية ونفسية على الموظف في المكتب ، خاصة بعد سلامته من عوامل الخطورة في منزله وسلامته من عوامل الخطورة في الطريق الذي يسلكه للوصول إلى مكتبه .

إن الاهتمام بصحة العاملين في المكاتب والاستماع إلى شكواهم لم يصبح حقيقة واقعة إلا حديثاً ، وبعد تاريخ طويل من المعاناة والرفض والصد والاتهام بالكسل ، وقد ساهم في هذا الاهتمام كل من العاملين في قطاع الصحة وأرباب العمل ، ولذلك فإننا سنرى اليوم وبعد أن توفرت إمكانيات الدراسة والأبحاث أن الصحة في مكتبك بكل المقاييس النظرية العلمية الحديثة بدأت تشغل أذهان المسئولين في القطاعات الصحية والمهنية المختلفة .

وهنا يمكننا أن نتساءل : ما هي المشاكل الصحية التي يتعرض لها الموظفون وما هي مصادرها ؟



هكذا يصور الغرب «الكمبيوتر» على أنه شجرة الحياة الحديثة

مصادر المشاكل الصحية

إن أول تلك المشاكل الصحية تأتي من أدوات المكاتب الحديثة مثل محطات العرض البصري (V.D.TS) أو وحدات العرض البصري (V.D.US).

وهذه الوحدات استعملت للأغراض التجارية لأول مرة في الستينات على اعتبار أنها أحدث الوسائل لتوفير الخدمات عن طريق تقليل العمالة، وكان استعمالها لا يتعدى حجز التذاكر في شركات الطيران، ومنذ أوائل السبعينات دخلت في أمور كثيرة في المكاتب، وفي وسائل الحياة الأخرى كالبيوت والمستشفيات وغيرها.

ولهذه الوحدات منافع عديدة، إلا أن لديها القدرة على توليد وبث أنواع مختلفة من الأشعة الموجودة في الحزمة الكهرومغناطيسية، حيث أن هذه الأشعة تتولد أثناء عملية انتاج الصورة على الشاشة (الجدول رقم ١ يبين أنواع الأشعة الصادرة منها).

وفي الوقت الحاضر نجد أن هناك حدودا مقبولة لما ينبعث منها من أشعة، ولقد اتفق على حدود تلك الأدوات وأقرت في مؤتمر دولي للاتحاد التجاري عقد في عام ١٩٨٤ في جنيف، ورغم أن الحالات المسجلة عن زيادة تسرب الأشعة قليلة إلا أن السلطات الصحية والمهنية تلتزم جانب الحذر للأسباب التالية:

• أسباب في الصناعة: حيث يتضح أن عينة صغيرة فقط من الوحدات المصنعة قد تم الكشف عليها، ويمكن القول أكثر من ذلك إن المنتجين يكشفون على النموذج الأولي للتأكد من سلامته، وعلى سبيل المثال فإن شركة (I.B.M.) تفحص على جهازين كل شهر، بينما تنتج «٥٠٠» خمسمائة وحدة في اليوم، وهذا بالاضافة إلى أهمية صيانتها التي تحتاج إلى خبرة جيدة!

• أسباب صحية: يدور جدل كبير في الخمس سنوات الأخيرة حول علاقة هذه الوحدات بصحة العاملين بالنسبة للأمور التالية.

١ ـ التأثير على العيون: بينت بعض الدراسات أن العمل على الوحدة يؤثر على العين، بظهور أعراض إجهاد وتعب، مصاحبة في بعض الأحيان بحرقان في العيون، ويتضح أن سبب ذلك هو الحملقة المستمرة في الشاشة أو بسبب اضاءتها أو بإضاءة المكان،

إنذار مبكر لمواجهة المشاكل الصحية في العمل!

أضف إلى ذلك أن الجو الجاف داخل المكتب وقلة إغماض العين لهما دور في ذلك ، وعلى هذا الأساس ينصح أن يكثر العاملون من اغماض العين وأن لا تقل نسبة الرطوبة في المكتب عن ٤٠٪ ، وقد اتضح أن تلك الأعراض السابقة تزداد بوجود انحراف في الرؤية ، ولذلك ينصح باصلاحه ولا ينصح باستعمال النظارات ذات النصف عدسة أو ذات العدستين . أما البعض ممن يشعرون بظهور ألوان وردية عندما ينظرون بعيداً عن الشاشة الخضراء اللون فإن ذلك أمرٌ فسيولوجي طبيعي . المهم أنه لا توجد أدلة حتى الآن على أن هذه المحطات تؤدي إلى ضرر دائم في النظر.

٢ ـ التأثير على الجلد : حدوث طفح جلدي من جراء التعرض لهذه المحطات يعتبر نادرا ، إلا أن ذلك قد سجل بالذات في النرويج حيث ظهرت حالات من الطفح الجلدي على الخدود والتي غالباً ما تختفي بعد يوم أو يومين من عدم التعرض ، ويعتقد أن الجفاف مع وجود درجة عالية من الكهرباء الاستاتيكية سببها فرش السجاد غير المعامل في المكاتب ، حيث أن معاملة السجاد مع زيادة الرطوبة تساعد على اختفاء هذه الظاهرة !

٣ ـ الصرع : هناك نوع من أنواع الصرع بسبب الحساسية الضوئية ، وهو نادر الحدوث ، حيث يحدث مرة في كل ٥٠٠٠ شخص قبل سن العشرين ، ويحدث في ٥٠٪ من الحالات لأول مرة أثناء مشاهدتهم للتليفزيون ، ولقد سجلت حالة واحدة حدثت نتيجة للتعرض لوحدة العرض البصرى ، لذلك يجب التأكد طبيا من هؤلاء قبل السماح لهم بالعمل .

٤ ـ الأعراض العضلية الهيكلية : هذه الأعراض تشمل آلام الرقبة والظهر والعمود الفقرى والفخذين ، ولها علاقة بالوضعية في الجلوس والحركة ووضع الآلة في المكان غير المناسب ، وتدخل الطاولات والكراسي وأشكالها في أسباب هذه الأعراض ، وبالإمكان منع حدوثها بالتصميم الجيد للمكاتب وأثاثها .

أما التهاب غمد الوتر العضلي والوتر العضلي فيحدث بسبب كثرة استعمال لوحة المفاتيح والآلة الكاتبة أو بشكل غير صحيح كذلك الحال بالنسبة لمتلازمة النفق الرسغى C.T.S

٥ ـ التأثير على المرأة: يبدو القلق واضحاً في الأوساط العلمية حتى الآن من تأثير هذه المحطات على المرأة بالنسبة لجهاز الإنجاب والخوف بالذات على المرأة الحامل بالرغم من عدم وجود تأكيدات واضحة بذلك ، حيث بينت بعض الدراسات أن عددا غير عادي من حالات التشوه الخلقي قد حدثت في أجنة مجموعة من العاملات في هذين المجالين ، وهناك دراسات أخرى ربطت بين هذا العمل وزيادة نسبة الإجهاض في النساء العاملات ، ويعتقد أن الأشعة الكهرومغناطيسية ١٥ ـ ٢٠ كيلو هرتز لها دور في هذا .

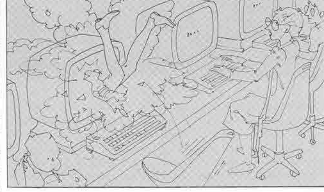
إن تأكيد حدوث تلك التعقيدات في الحامل ، محتاج إلى دراسات مكثفة ، خاصة وأن القلق والخوف بدآ يسيطران على الكثير من النساء العاملات ، ولذا فإن قرار نقل المرأة الحامل من مكان عملها يجب أن يعتمد على قرار حكيم ، يضع في الحسبان ما هو متوفر والوضع النفسي للمرأة ، في السويد ـ مثلا ـ يسمح للمرأة الحامل بطلب نقلها أثناء الحمل إلى قسم آخر ، كذلك الحال في بريطانيا ، استنادا على أن الارتباك النفسي في حد ذاته قد يشكل خطراً على سير الحمل !

وبناءً على المعلومات المتوفرة تنصح الشركات المنتجة جميع المستهلكين بقراءة التعاليم الخاصة بوضع الشاشة وإضاءتها وعلاقتها بالشبابيك والإضاءة المحلية وبعد الشاشة عن أعين القارىء وغير ذلك ، فإذا تم تطبيق ذلك بدقة مع الاهتمام بالصيانة فإن الأضرار المحتملة تصبح ضئيلة جداً ونادرة.

وقد تحدث الأدوات المكتبية الأخرى بعض الأضرار البسيطة كإثارة العيون والأغشية المخاطية للأنف والجهاز التنفسى ولكنها قليلة ، ويحدث ذلك في آلات النسخ بسبب المواد الكيميائية المستعملة كالمذيبات والكحول وحتى ورق النسخ بدون كربون تبين أنه يمكن أن يؤدى إلى نفس الأعراض في الناس الحساسين .

تهوية المكاتب الحديثة

ثم تأتى عملية تصميم وتهوية المبانى والمكاتب الحديثة ، حيث التحكم والتوفير في استهلاك الطاقة في تصميم المبانى الحديثة ، الأمر الذي أدى إلى تصميم مكاتب ضيقة مغلقة المنافذ ، وحتى الفواصل في النوافذ مختومة مع استخدام العازل الحرارى المصنوع من مواد كيميائية مختلفة ، إضافة إلى استعمال أجهزة التبريد والتسخين التى أدت إلى الانتقال من مرحلة التهوية الطبيعية إلى التهوية الصناعية ، وإمعاناً ـ أيضا ـ في الاقتصاد والتوفير في الطاقة استعملت طريقة إعادة



لقد نصحوها كثيرا بتغيير نظارتها الطبية



كل هـذا الإجهـاد والفـوضى لأنـى لـم أنظـم أوقـاتـى

دوران الهواء عدة مرات . فقل اختلاط الهواء الداخلي بالهواء الخارجي ، بالإضافة إلى تلوثه وقلة نسبة الرطوبة فيه ، ومع ظهور هذا النوع من البنايات والمكاتب ظهرت على السطح عدة شكاوي من العاملين عن أعراض مرضية تم تعريفها مجتمعة باسم « متلازمة البناية الضيقة » (Tight Building Syndrome) .

ومن خصائص حدوث هذه الظاهرة أنها تحدث في مجموعة من العاملين في نفس المكان وأن الأعراض تبدأ لأول مرة بعد العمل في نفس المكان وأن التحسن يطرأ بمجرد الابتعاد لفترة عن هذا المكان أيضاً وحتى لمدة ١٥ دقيقة ، وأن غالبية المصابين يقولون ان اعراضهم تزداد سوءاً مع امتداد اليوم لتصبح أصعب في فترة



الظهيرة .

هذا وقد وصلت نسبة ظهور الأعراض في احدى البنايات إلى ٧٠٪ من العاملين (الجدول رقم ٢ يبين الأعراض الشائعة لهذه الظاهرة المرضية) .

أسباب هذه الظاهرة

حتى الآن لا يوجد سبب واحد لهذه الأعراض ، ويتضح أن مجموعة من الأسباب مشتركة تلعب دوراً في ذلك ، وحتى هذه الأسباب التى سنوردها لا يمكن الجزم بمسئوليتها .

• الأحياء الدقيقة : بينت بعض الدراسات أن جهاز التهوية في بعض المكاتب سواء في جهاز مرطب الهواء أو في المبردات ووحدات المراوح أو وحدات توزيع الهواء في المكيفات ، يوجد بها تجمعات ميكروبية وأنواع مختلفة من الفطر أدت بعضها إلى الإصابة بما يسمى « حرارة مرطب الهواء » (Humidifiers Fever) حيث ترتفع درجة الحرارة في الشخص المصاب ، وقد يؤدى إلى اصابة الرئة وتدميرها في بعض الحالات ، وهذه الحالة تختلف عن مرض المحاربين القدماء (Legionnaire's Diescase) الذي يحدث بنفس الطريقة .

• نوعية الإضاءة : وخاصة النيون الذي يشع كميات مختلفة من الأشعة فوق البنفسجية ، وله دور في الصداع ، ويؤثر على النظر ، وبالذات النوع المثبت بقرب المخارج الهوائية .

• الغازات والمواد الكيميائية : كأول وثاني أكسيد الكربون ، حيث وجد أن نسبة هذه

هل تقولون ان التدخين ضار بالصحة ؟!!

الأشعة غير الأيونية						الأشعة الأيونية	
الذبذبات الرباعية (موجات هرتز)		الموجات غاية القصر	الأشعة دون الحمراء	الأضواء العدية	الأشعة فوق البنفسجية	الأشعة السينية	
القصيره	المذياعية					الضعيفة	القاشية + اشعة جاما
الخطوط المائية اطراف الرائي للبث المركزى	المذياع الرائي أطراف الرائي للبث المركزى	الرادار افران الميكروويف	الشمس اطـــراف البث		الشمس أطراف الرائي للبث المركزى	• الأشعة السينية الطبية • الرائي • اطراف الرائي للبث المركزى	التساقط النووى
ذبذبات قليلة ←						ذبذبات عالية →	

الجدول رقم (١) يوضح أنواع الاشعاعات الصادرة من مجموعة الحزمة الكهرومغناطيسية

إنذار مبكر لمواجهة المشاكل الصحية في العمل!

الغازات في البنايات التى أجريت فيها الدراسات تزداد في نهاية النهار، وغاز الأوزون كذلك قد يؤدى الى نفس الأعراض.

• الفورمالدهايد : حيث تدخل هذه المادة التي يصدر منها غاز نفاذ في مواد الحفظ والألوان والسجاد والملابس وبعض أنواع الخشب ومجموعة لا بأس بها من المصنوعات : فهى تبقى في المواد المصنوعة منها حتى بعد شهور من تثبيتها.

• نقص الأيونات السالبة : بينت الدراسات أن الأيونات السالبة لها دور صحي ومنشط على الانسان، وأن الغرف المكيفة تقل فيها الأيونات السالبة وتكثر الأيونات الموجبة فتؤدى إلى نفس الأعراض، وهناك دراسات حديثة الآن حول إمكانية استخدام الأيونات السالبة في العلاج.

• التدخين بمختلف أشكاله : بالنسبة للمدخنين أنفسهم أو لغير المدخنين «التدخين السلبي» ويحدث نفس الأعراض في الغرف السيئة التهوية : بل ويحدث أكثر من تلك الأعراض على المدى البعيد.. وتزداد خطورة التدخين في حالة وجود غازات أو مواد كيميائية أخرى في جو المكتب حيث تتفاعل معها وتؤدى إلى زيادة ضررها بالنسبة للأغشية المخاطية والقصبات أو الحويصلات الهوائية.

إن أخطار التدخين الصحية تشمل جميع أجهزة الجسم بدون استثناء، وأعداد المرضى والوفيات بسببه تفوق الكثير من الأسباب. لذلك فإن أهم خطوة لسلامة المكاتب هو منع التدخين.

• أسلوب التهوية : لقد بينت الدراسات المنشورة حديثا أن المكاتب ذات التهوية الطبيعية أكثر ملاءمة للصحة من المكاتب ذات التهوية الصناعية، وبالذات النوع الذي يعتمد على إعادة دوران الهواء الداخلي : مع إضافة نسبة من الهواء الخارجي عليه رغبة فى المحافظة على برودة أو سخونة الهواء وتوفيرا للطاقة، لذلك فإن جمعية المهندسين الأمريكيين للتدفئة والتبريد وتكييف الهواء (Ashrae) أوصت في دراسة عام ١٩٧٧ بأن يكون نصيب كل فرد ٢.٥ لترا فى الثانية من الهواء الطلق كحد أدنى، لكن هذه الجمعية نفسها غيرت هذه المواصفات عام ١٩٨١ فقررت أن نصيب كل فرد يجب أن يكون ١٠ لترات في الثانية خاصة إذا كان التدخين مسموحاً، فقد اتضح من تلك الدراسات أن الأعراض تستمر الى حد ما في عينات الدراسة حتى نسبة ٧ لترات في الثانية من الهواء الطلق وتختفي تقريباً عند نسبة ١٠ لترات في الثانية.

وهكذا نرى أن العوامل السابقة مجتمعة ــ بالإضافة إلى عامل سوء التهوية تلعب دوراً في هذه الظاهرة، وأن وجود الملوثات بأشكالها المختلفة وتكرار الهواء في المكاتب المكتومة يجب أن نضعهما في الحسبان عند تصميم تلك المكاتب (الجدول رقم ٣ يبين ملوثات الهواء التي أمكن التعرف عليها في تحقيقات الأبنية).

الحالة النفسية للموظف

إن الاهتمام بصحة الموظف النفسية ضرورى للغاية حتى يستطيع أداء مهمته في الأوضاع الإدارية الحديثة بإتقان وبنجاح، فالتوتر والقلق نتيجة للضغوط التى يواجهها الانسان هي من سمات هذا العصر، ولقد كثرت الأبحاث والدراسات على الضغوط اثناء العمل (Stress at work) ويربط الكثير منها بين هذه الضغوط والإصابة بأمراض القلب أو الوفاة المبكرة منها والسكتة الدماغية وقرحة الاثنا عشر، والصداع النصفى والأرق وغير ذلك من الأمراض.

وقد اتضح أن الجماعات المعرضين لذلك هم المدراء المتوسطون والذين لا يسمح لهم العمل بتحقيق تطلعاتهم، وبتكرار إصابتهم بخيبة الأمل وعدم الرضا من قرارات رؤسائهم، ولهؤلاء سمات كثيرة أبرزها الاستعجال لتحقيق مجموعة من الأمور في وقت واحد، والطموح المفتقر الى مقومات النجاح، والتطرف في محاولة السيطرة على الأشياء وقلة الصبر والانتظار، وحب المنافسة والميل الى الأسلوب العنيف في المعارضة، وهناك الكثير من الكتب التى تعدد هذه السمات وطرق اختبارها في الشخص وحتى طرق التخلص منها. وهناك دراسات لم تؤيد فحوى هذه الطرق لتغيير مجموعة من الأنماط السلوكية في شخص ما، ورغم ذلك فإن هناك إمكانية لترويضها على المدى الطويل.



التهاب العينين	ضيق بالصدر
احتقان الجيوب	عطس
الصداع	غثيان
تعــب	دوران
صعوبة استعمال العدسات اللاصقة	التهـابات جلدية

الجدول رقم (٢) الذي يوضح الأعراض الشائعة لمرض الأبنية الضيقة

المـــادة	التركيز بالميكروجيم/م٣
غبار كلى	٢٠ — ٤٠
غبار متنفس	١٠ — ٢٥
مواد تتطاير من قطران الفحم	٫٠٥ — ٫٢
فورمالدهيد	٥ — ٤٠
كولوين	١٠ — ٣٠
او ــ ام ــ بى زيلين	١٠ — ٢٠
ايثيل البنزين	٥ — ١٥
هكســـان	١٠ — ٢٥
ثلاثى كلور الاثيين	٥٠ — ١٠
١،١ و٢،٢ ــ بيركلور الاثيلين	٤٠ — ٨٠
الالكان ٢،٠ ــ ٢	١٠ — ٥٠
أوزون	٥ — ١٠
× ٢ ق	٢٠٠
أول اكسيد الكربون	٢ ــ ٥ جزء لكل المتر
ثانى اكسيد الكربون	٠٫٠٥٪ — ٠٫٠٩٪

جدول (٣) يوضح ملوثات الهواء التى أمكن التعرف عليها فى تحقيقات الأبنية الضيقة

إن ضغوط العمل التي يتعرض لها الموظفون الذين يخضعون لمراقبة مشددة تؤثر على أعصابهم وتزيد من قلقهم وتوترهم ، وهذه الضغوط لا يتعرض لها هؤلاء وحدهم . ولكن يتعرض لها ـ أيضا ـ الذين يلزمون بكمية محدودة من الانتاج أو الذين لا سيطرة لهم على عملهم . الأمر الذي يخلق عندهم نوعا من عدم الاكتراث لعدم قناعتهم بالعمل الذي يؤدونه . إذ أن الباحثين في أمريكا والسويد ذكروا بأن العمل في مهن صغيرة قد يكون أكثر خطورة من التدخين والأكل الزائد عن الحاجة .

أما معهد الضغط العصبي الأمريكي فقد قدر الخسارة الناتجة عن الأمراض المتعلقة بهذا الضغط بمئة مليار دولار في السنة مقسمة على التغيب عن العمل وتناول العقاقير وعدم الانتاج .

إن هذه الضغوط تحدث بشكل طبيعي في الإنسان ، لأنها الأسلوب الذي يحرك كياننا الداخلي لمواجهة الموقف حتى نستعد إما « للحرب أو الهرب » . لكنها بزيادتها في حالة عدم الرضا عن العمل تؤدي إلى حالة مزمنة من التوتر القلق الخطر على الصحة ، وينصح الكثيرون بأن تغيير العمل في هذه الأحوال أمر ضروري لزوال هذه الضغوط حيث يؤكد العلماء بأن السيطرة على العمل وتوجيهه بطريقة تشبع الرغبة في العمل لها دور كبير في الابتعاد عن التأثير المزمن لهذه الضغوط . وتقول الدكتورة « ماريان فرانكينهوزر » أن موجه عازفي السيمفونية يعمر طويلاً لأنه يملك السيطرة والتوجيه في عمله .

هذا ولا يغيب عن اعتبارنا أن نتذكر أن الضغوط المنزلية والاجتماعية قد تزيد من حدة تأثير الضغوط المكتبية . فالمرأة التي تحتمل أعباء المنزل والتربية تتعرض للضغط ومؤثراته أكثر أثناء العمل بالذات . إذا علمنا أن أكثر النساء يقعن تحت طائلة التفرقة والعزلة ويعملن في وظائف مختارة لهن . وهي في الغالب وظائف أقل إرضاء لطموحاتهن .

الجلوس الدائم والخمول

إننا نقضي ما يقرب من ثلث يومنا في المكاتب . وفي أغلب الأحيان تكون جالسين على « كرسي » لم يصمم ليلائم وضعيتنا في الجلوس ولم يتم اختيارنا له . وهذا الجلوس إذا استمر يؤثر عضوياً على جهازنا العضلي الهيكلي . ومعروف أن آلام الظهر بالذات ـ المنطقة السفلى منه ـ تؤدي إلى غياب الكثير من العاملين وسببها الوضعية الخاطئة أثناء العمل . وذلك إضافة إلى أن الضغط الدائم على الأوردة يؤدي إلى تخفيف سريان الدم بل واختناقه في بعض الأحيان . وهذه إحدى العوامل في حدوث الجلطة الوريدية . وقد يؤدي الجلوس الكثير إلى حدوث مرض الدوالي في السيقان بالذات عند النساء .

ثم يبقى الخطر الأكبر لقلة الحركة وعدم تحرك الدورة الدموية . وهو الاصابة بأمراض القلب والسمنة والضغط . فلقد بينت الدراسات على مجموعات متجانسة وغير متجانسة من البشر ـ على مدى سنوات عديدة ـ في أغلبها أن نسبة الأصابة بأمراض القلب والشرايين والوفاة منها أكثر منها في الذين يعملون في أعمال خاملة عن الذين يعملون في وظيفة تدعوهم للحركة . وأن الذين يقومون بأي تمرين رياضي . حتى ولو كان المشي يعمرون أكثر ونسبة الوفاة فيهم أقل .

وسائل السلامة الأخرى

إن ما ينطبق من موضوعات على البنايات والبيوت بالنسبة لوسائل السلامة وموضوعاتها . يجب أن ينطبق على المكاتب ، والحديث هنا يقودنا إلى وسائل السلامة من الحريق . فلقد بينت دراسات أجريت في بلدان متطورة أن بعض البنايات لم تكن فقط تنقصها وسائل السلامة بل وصفتها بأنها مصيدة للحريق . واتضح للجنة مكلفة بمعاينة إحدى البنايات في منطقة « وينبج » في أمريكا بأن هذه البناية تحتاج إلى تعديل ٧٠ بنداً أو مفردة لكي تطابق الحد الأدنى من المواصفات المضادة . لذلك ينصح دائماً بالتأكد في المكاتب العالية بالذات من وجود مخارج النجاة ووجود أسطوانات إطفاء الحرائق مع التأكد من سلامتها ومعرفة طرق استعمالها . والاصرار على وجود أجهزة انذار الحريق التي بينت جميع الدراسات المنشورة أنها أنقذت أرواحاً كثيرة برنينها القوي المتواصل .

إننا نعمل ونكافح من أجل لقمة العيش ، إلا أننا في خضم هذا الكفاح اليومي المتواصل ننسى الكثير من الأولويات التي تهم صحتنا ، ولذلك علينا ونحن نعمل أن نتذكر أن العمل والوظيفة نعمة وهبها الله لنا ، وأن علينا أن نحافظ على تلك النعم لأن في البطالة نقمة وضرراً كبيراً على الفرد والأسرة والمجتمع .. وقانا الله من شرها .

عبدالله الباكر




في زحام المنافسة حول أدوات المكاتب الحديثة تتفنن شركات الانتاج في اغراء عملائها من رجال الأعمال

لا.. ليس من حقك..

قصة بقلم: وداد عبد اللطيف

قضت فاطمة حياتها مستسلمة لذويها استسلاماً تاماً، هم يحددون برنامجها اليومي، يحددون خطواتها، وقتها... علاقاتها بزميلاتها في المدرسة، ولو كان بوسعهم التحكم في خفقات قلبها لفعلوا. حتى عواطفها لم تكن ملكاً لها. لم تستطع يوماً أن تعترض على أمر أصدره والدها أو ترفض القيام بعمل كلفها به أخوها الأصغر. دائماً مستسلمة. واستسلامها التام في البيت امتد إلى المدرسة إذ لم تستطع يوماً أن تعترض على طلب لزميلة أو مدرسة. كانت تقضي أوقات فراغها القليلة في كتابة واجبات زميلاتها المدرسية، حتى عندما طلبت منها زميلتها هند أن تكتب على لسانها رسالة غرامية لم تعرف كيف تحتج رغم خبرتها المحدودة في كتابة هذا النوع من الرسائل، انها لا تعرف كيف تقول لا، لم تتعود قولها!!

أحياناً كثيرة تتمنى لو تقولها حين تتهمها والدتها بشيء لم تفعله، أو حين تعاقبها إحدى مدرساتها لتقصير لم يحدث منها. فتكتفي بتلقي العقاب على ذنب لم ترتكبه بقلب كسير وعين دامعة! اعتقدت دائماً أن استسلامها لصالحها. فأبوها يعرف مصلحتها أكثر منها، إنه رجل والرجل دائماً يعرف ماذا يريد... بتجربته... بعمله.. وبحكم وضعه في المجتمع. حتى، علي، الذي يصغرها بعامين يعرف أكثر منها. أليس رجلاً؟

لم تكن تغضب منه ولا من والدها الذي أعطاه حقوقاً عليها لا حصر لها، ضربها مرة بالمقلاة لأنها تأخرت في احضار كوب الماء الذي طلبه، فشج رأسها!! لم تصرخ، لم تبك! كانت مذهولة فقط وهي ترى دمها لأول مرة، دماً وردياً يسيل على جبهتها الصغيرة فتشربه مريلتها الزرقاء... وجاءت أمها وخوفها عليها يشجب دموعها وسكبت في الجرح العميق كثيراً من القهوة المطحونة، وقالت لها وهي تربط الجرح بيد واجفة:

ـ لا عليك يا فاطمة. أخوك رجل والرجل تفور دماؤه بسرعة. اذهبي واعتذري له.

إن والدتها تشبهها كثيراً، مستسلمة مثلها، بل ربما أكثر منها.. تزوجت أباها وهي في الثالثة عشرة وكان هو في الثلاثين.. سلبها طفولتها وحياتها ولم يكتف بذلك. فسلبها شخصيتها، ربما أمها على حق. فدماء أخيها التي فارت بداخله دماء من فصيلة أخرى غير التي سالت على جبهتها. وذهبت إليه في حجرته لتعتذر.. لم تفكر وكلمات الاعتذار الذليلة تتساقط من شفتيها فيبصق أخوها عليها.. لم تفكر بكرامتها كامرأة في الرابعة عشرة. وبدمائها المختلطة بالقهوة المطحونة. فتصل إلى أنفها مشحونة بالأسى. بأنها لم تجن ذنباً لتعتذر. كل ما شغل تفكيرها هو أن علياً لم يصفح عنها. وإن والدها سيؤنبها لاغضابها رجل البيت الصغير.. وعادت إلى حجرتها لتبكي وتبكي وتبكي وشعور جديد عليها يثقل أنفاسها: الشعور بالمذلة.

عام آخر مر عليها وهي مستسلمة راضية باستسلامها. وهي لم تشعر أبداً أنها فقدت شيئاً لتندم عليه فالمرء منا يبكي ويندب حظه حين يفقد شيئاً كان ملكه. أما هي فلم تملك حريتها ولا شخصيتها يوماً فعاشت لا تملك شيئاً ولا تبكي على شيء. حتى عاد أبوها ذات ليلة إلى البيت بعد صلاة المغرب وكانت هي تجلس في حوش المنزل منكبة على دروسها استعداداً لدخول الامتحان للشهادة الاعدادية والهواء يعبث بشعرها ويزيد من التصاق القميص الخشن بصدرها وقف أبوها وسط الحوش ويداه الاثنتان تحركان حبات المسبحة وكأنه يتعوذ منها، وقف صامتاً للحظات يتأملها ثم اندفع إلى حجرته وعبارات غير مفهومة تتناثر من شفتيه. لقد كبرت، لم يكتشف أنها كبرت وأصبحت مشروع امرأة إلا منذ دقائق، حقاً إن السنين تركض بسرعة. منذ الغد ستمكث في البيت فلا حاجة لها بعد بالدراسة ووجع الرأس. سوف يبلغ قراره إلى أم علي وهي ستنقل إليها القرار الذي اتخذه رب الأسرة.

مرفوض حق المناقشة مرفوض، وهي ما تعودت على المناقشة فكيف إذن برفض قرار اتخذه الرجل الكبير. ولأول مرة تهتز صورة الرجل في عينيها، الرجل إذن يخطئ، لم تكن تعرف ذلك. كانت تعتقد أن والدها يعرف مصلحتها. لكن قراره الأخير بعيد عن مصلحتها بل ومجحف بحقها.. ولكن منذ متى كان لها حق. لم يكن لها أبداً حق من أي نوع فكيف تطالب بشيء لم تملكه. وخضعت كما كانت تخضع دائماً، ودفنت أحلامها في صدرها وصمتت... رجال البيت يفضلونها صامتة. خاضعة. وهي مستسلمة لكل ما يريدون، طلبات لا تنتهي... لسان أبيها لا يكل عن صفعها بأقسى الشتائم ويده أيضاً إذا لاح منها أي تقصير. وهي مذعنة لأوامرهم والشعور بالذل يكبر في داخلها يوماً بعد يوم. أمها المسكينة لا تجرؤ على النظر في عينيها حتى لا ترى مأساتها فيهما. إنها لا تريد أن تعيش كوالدتها. لا تريد أن تقضي عمرها خادمة في البيت الكبير لا تكافأ حتى بكلمة طيبة. لا تريد للصمت أن يحتويها كما احتوى خالاتها وأمها من قبل.

ويموت الرفض الصامت في أعماقها حين تزف للرجل الذي اختاره والدها زوجاً لها، اختاره كما يختار لها دائماً ثيابها ومصيرها. رجل في الأربعين تزف إليه الأعوام الخمسة عشر ليرشف من صباها النضر ويروي عطش الأربعين. يروي عطشاً لا ينضب وهي مستسلمة لكل ما يريد كما تعودت دائماً، يأخذ أكثر مما يعطي. ولم لا؟ لقد دفع ثمنها كاملاً. مائة وخمسين ألفاً بالتمام تحولت بقدرة قادر إلى سيارة فخمة يملكها أخوها علي والباقي لا تدري عنه شيئاً.

وتغرق فاطمة نفسها في أمومتها المنتظرة علها تنسى ذلها وأحلامها المذبوحة، وتنسى الرجل في حياتها بعد والدها وأخيها. تنسى إهماله لها والحوار المشروخ الذي يدور بينهما أحياناً. وجاء بكرها ولداً حمدت ربها كثيراً أن جاء ولداً، هي لا تريد أن تكون لها ابنة قد ينزف دمها أمامها فلا تملك لها إلا قهوة مطحونة بلون التراب تداويها بها.

ورزقت بولد آخر وآخر... محمد وعلي وعبدالرحمن. لم تختر اسم أي منهم. حلمت بأن اسم واحد من هؤلاء الثلاثة أحمد... أحبت هذا الاسم منذ صباها المسلوب. ولكن زوجها رفض وأبلغها بأن لا حق لها في اختيار أسماء أولاده، وكأنهم أولاده وحده!

ومرت سنوات طويلة. وبقدر ما كانت تلتصق بأولادها كانت الفجوة بينها وبين زوجها تزداد اتساعاً. لم يعد يرى فيها الفتاة التي اشتراها بوجهها الجميل وقوامها المتناسق. آثار الحمل والولادة تعلن عن نفسها في كل جزء من جسمها. وهي كالعادة مستسلمة حتى لعامل الزمن.

لا تعترض، لا تشكو، لا ترفض، حتى

جاء اليوم الذي قالت فيه لا بأعلى صوتها ! !

كان ذلك هو أحد أيام الأسبوع لا تذكر بالتحديد ما إذا كان الأحد أو الاثنين فالأيام متشابهة بالنسبة لها وإن اختلفت أسماؤها . ما تذكره جيداً هو رائحة العفونة المنبعثة من حشية الفراش إثر القيء المستمر.. الشيء الوحيد الذي يلفظه زوجها أثر عودته آخر الليل دون سباب . فيتشبع الفراش وتتسلل الرائحة حتى تبلغ عظام جمجمتها فتلوذ بحجرة أولادها بصمت من اعتاد الأمر. أجل كان ذلك اليوم الذي قالت فيه لا يوماً عادياً لا يختلف عن غيره وكانت آنذاك منكفئة على وجهها تدعك الفراش بقطعة قماش مشبعة بالصابون ولم تشعر بزوجها وهو يقف خلفها ... جاءها صوته خشناً غليظاً : ماذا تفعلين ؟

قفزت مجفلة . شيء ما في صوته أشعرها بأن هناك أمراً ما سيحدث . أمر له رائحة غير مستحبة . لقد تعودت أن تميز رائحة الأصوات وتشمها بأنفها دائماً وباغتها رجلها قبل أن تعود لعملها بجملة قصيرة لا معنى لها قال : اسمعي لقد تزوجت ...

وكأنه تزوج بالأمس فقط... كانت تحادث نفسها . انها تعلم بزواجه منذ اليوم الأول. أولاد الحلال تكفلوا بابلاغها النبأ فور حدوثه . وعلمت أيضاً بأنها ــ أي الأخرى ــ طالبة لا تزال . وصغيرة وحلوة ! اشتراها إذن . ترى كم دفع هذه المرة مع موجة الغلاء المتزايدة ؟ هذا الرجل معتاد على شراء البشر يوم أن علمت بالنبأ لأول مرة شعرت بالغثيان وأسرعت تفرغ ما في معدتها وما بقي من الحب القليل لأبي أولادها في المرحاض ، ودفنت جرحها الجديد في أعماقها . بلا صراخ أو عتاب . فلا الصراخ ولا العتاب سيعيدان لها الاحساس بالأمان الذي فقدته ، ومرت أيام تلتها أسابيع دون أن يطلعها زوجها على فعلته . كل ما في الأمر أنه أصبح يكثر في المبيت هناك عند الأخرى في الأيام الأولى .

وبعد أسبوع نقل كل حاجاته الى هناك وادعى أنه مسافر ، ولم يذكر سبب سفره فهذا ليس من شأنها واكتفى بتوصية أخيه الأصغر بجلب ما يحتاجه البيت من مؤونة وبذا أراح ضميره وقام بكل مسئوليته تجاهها وتجاه أولادها . والحقيقة أنها لم تهتم كثيراً بغيابه فقد أراحها هذا الغياب من صراخه وطلباته الكثيرة ورائحة القيء التي يكافئها بها على تعبها آخر الليل ..

وتفرغت لبيتها وأولادها أكثر ! ! آه منهم هؤلاء الأولاد لا يحترمونها كما يجب وكيف يفعلون وهم يرون أباهم قدوتهم الأولى في الحياة يخسف بها الأرض لأقل هفوة ودون رحمة ، لكنها لم تيأس في اصلاحهم مازالوا أعواداً طرية يمكن تقويمهم بقليل من الصبر وكثير من الحب . وجنت أولى الثمار بعد ثلاثة أسابيع ونصف على سفر زوجها المزعوم حين جاءها ولدها البكر محمد وابتسامة عريضة على وجهه وقال لها :

ــ أمي انظري ، وقدم لها ورقة واستطرد : هذه أول مرة أحصل على هذه العلامة الجيدة ، الأستاذ جعل التلاميذ يصفقون لي والفضل لك يا أمي لم أكن أعلم بأنك تفهمين في الحساب . شعرت أخطتها بسعادة طاغية ، كانت تلك الكلمات أجمل ما سمعته في حياتها وأعظم هدية تلقتها منذ وجدت على ظهر الحياة، اذن بامكانها أن تكون نافعة حين تعطى لها الفرصة . وزادها هذا الاحساس قوة وصلابة لم تكن تملكها في السابق وازداد التصاقها بأولادها أكثر والتصاق أولادها بها . وبعد الأسبوع الثاني كف أولادها عن السؤال عن والدهم وقل عصيانهم لها وباتوا أكثر احتراماً لها .

ونسيت كل شيء عن ذلك الرجل الذي ساعد في تحطيمها ، الشيء الوحيد الذي كان يدور في ذهنها ومتعلق به هو لماذا تحرج من اخبارها بزواجه ؟ . ليس احتراماً لمشاعرها بالطبع فهي شيء بالنسبة له ليس إلا ... ولا خوفاً منها بالتأكيد . ترى هل لأنها لا تستحق أن يطلعها على أسراره ؟ ربما الأمر كذلك .

وها هو الآن يقف على رأسها يزف إليها البشرى منتظراً لا تدري ماذا . رفعت رأسها .. نظرت اليه لم يطرق برأسه ولم يهتز صوته وهو يعيد :

قلت لك تزوجت ؟

ثم ماذا ! ماذا يريد منها الآن ، هل ينتظر أن تهنئه .. أن تهلل فرحة .. ثم ماذا !

قالت له مرة أخرى وقدماها ثابتتان في الأرض لا تهتزان كالسابق كلما وجه إليها حديثاً أشبه بالصراخ وعيناها تجوسان في وجهه دونما خوف ! ! ولم الخوف ماذا بمقدوره أن يفعل بها أكثر مما فعل . اشتراها وحبسها لا تزور . ولا تزار مزق كرامتها . خنق صوتها ، وأخيراً هجرها . ثم ماذا ؟ جاءها الرد سريعاً جازماً وبارداً ولا يخطر ببال :

ــ سأحضرها لتعيش هنا !

ــ تحضر من !

ــ زوجتي الجديدة ستعيش هنا معنا في الطابق الأول وعليك تنظيفه ! !

ــ لا ! لا ! لا ! !

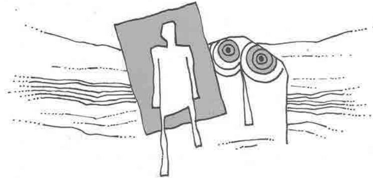
صرخت بملء فيها وشعرت وهي تكررها بأن العالم كله اتحد وتقلص وتمثل في كلمة لا . وبأن خوفها وخضوعها يتسربان من جسمها ويتساقطان تحت قدميها ! !

ما أسهلها ! كيف لم تسلل إلى لسانها قبل اليوم ؟ وهل كان يجب أن ينتظر حتى يعلن اليها زوجها بعد العمر الطويل الذي قضته معه انتفاء صفتها كزوجة وتحويلها الى خادمة لزوجته الجديدة ؟ هل كانت بحاجة حقاً الى هذا الانتظار المرير لتنفض عنها بوادر الشقاء والاستسلام وتعلن بأنها انسانة من أبسط حقوقها الاعتراض على ما لا تطيقه ؟

عادت تصرخ : لن أعيش معك بعد اليوم لن أعيش معك ! !

صفعها . مزق جسدها بأظافره لكنها لم تتراجع ! لم تضعف ! ولن تدع أحداً أياً كان بعد اليوم أن يخنق أنفاسها ويعيدها الى قوقعة الصمت مرة ثانية . وأمام تصميمها الشديد أعادها سيدها الزوج الى بيت أهلها ومعها أطفالها الثلاثة . فزوج أبيهم لا تريد أن تبدأ حياتها الزوجية كأم ، وهو لم يعد يجد فيها ما يجذبه كالسابق وما يجعله يتمسك بها . وعادت إلى أهلها امرأة أخرى ! ! وحين أراد أخوها أن يصفعها والغضب يتأجج في عينيه للعار الذي جلبته للعائلة بطلاقها . أمسكت بيده بكل قوتها وقالت بهدوء :

ــ لا ليس من حقك أن تضربني بعد اليوم .



بؤساء
• فيكتور هيجو
مسرحية غنائية كاسحة



بقلم: الفريد فرج

وصفها ناقد النيوزويك بأنها علامة في تاريخ المسرح، ووصفها ناقد التايمز بأنها «أوبرا مذهلة» ووصفها ناقد البي بي سي بأنها مسرحية العشر سنوات القادمة.

ويتوقع لها أكثر النقاد أن يتجاوز نجاحها المسرحية الغنائية «ايفيتا» التي يقترب عرضها بلندن من السنة العاشرة.

هذه هي مسرحية «البؤساء» الغنائية التي اقتبست من الرواية الشهيرة بنفس الاسم لفيكتور هيجو (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥) .. الشاعر والروائي والكاتب المسرحي الفرنسي، مؤلف «أحدب نوتردام» ومسرحية «هيرناني».

وقد عرفنا رواية «البؤساء» في اللغة العربية بترجمة وتلخيص شاعر النيل حافظ ابراهيم منذ أكثر من نصف قرن. وبانتاجها للسينما العربية ببطولة «عباس فارس» في الأربعينات المبكرة. بعد انتاجها في هوليود ببطولة «تشارلز لوتون» و «فريدريك مارش».



فيكتور هيجو

وهي قصة فقراء فرنسا والأحياء الرثة لباريس وثورة الفقراء ١٨٣٢ .. قصة البؤس والشقاء والحرمان والتمرد .

وإني لأعجب أحياناً من الجمهور الأوروبي .. لم يعد في بلادهم ذلك الحرمان والجوع والضياع الذي عاناه فقراء الانجليز والفرنسيين بأحياء لندن وباريس الرثة خلال القرن التاسع عشر ، لم يعد له أثر في بيئتهم .. ومع ذلك يتأثرون ويحبون القصص والأفلام والمسرحيات التي تروي عن ذلك الفقر والشقاء التاريخيين !

لماذا ينجح النجاح الساحق فيلم مثل « تس » (ثلاث ساعات) عن قصة توماس هاردي (١٨٤٠ ـ ١٩٢٨) ، أو مسرحية أوليفر عن رواية تشارلز ديكنز المشهورة « أوليفر تويست » .. أو مسرحية « البؤساء » المقتبسة من رواية فيكتور هيجو .. وكلها روايات تصور بمرارة ميلودرامية حزينة الفقر والبؤس الأوروبي إبان عصر التحول الصناعي وما نجم عنه من شقاء ؟!

أعجب من ذلك أحياناً لأن الشائع عندنا في ساحات النقد أن تغيُّر الظروف الاجتماعية يغير بالتالي الذوق العام . ويبدل فنوناً بفنون وآداباً بآداب ..

الشائع أيضاً أن القصص الميلودرامية الحزينة القديمة لا يمكن أن تجتذب الشاب الواقعي العصري في نهاية القرن العشرين .

ومن هذا الافتراض قد حرمنا أنفسنا من

موت « ابيونين » على المتراس



بؤساء

فيكتور هيجو

مسرحية غنائية كاسحة

اعادة طبع أعمال المنفلوطي القصصية أو إعادة تمثيل مسرحيات يوسف وهبي وأمين صدقي وإسماعيل رمزي ومعالجتها بتقنيات مسرحنا الحديث . إن هذا الافتراض لا أثر له في أوروبا . والأفكار الشائعة عندنا ليست أفكاراً صحيحة عند الأوروبيين .

ولعلنا أن نكون على خطأ ..

ولعل الآداب الرفيعة والفنون الجيدة هي في الواقع قمم عالية تسمو دائماً فوق الظروف المتغيرة ، ولا تبرح مكانتها أو تعدم حب الجمهور لها أبداً .

قدمت للقارئ هذه المقدمة قبل أن أعرض له مسرحية « البؤساء » عن رواية فيكتور هيجو التي يقدمها المسرح التجاري بلندن .

المجرم والشرطي

تدور قصة البؤساء حول بطلين متناقضين : جان فالجان المجرم الخارج من اللومان ، والهارب من المراقبة بعد ذلك ، وجافير رجل الشرطة الذي يمثل القانون .

جان فالجان يخرج من السجن بعد قضاء عقوبة الأشغال الشاقة عشر سنوات لسرقة رغيف خبز .

يسلمه رجل الشرطة جافير بطاقة هوية صفراء هي بطاقة المشبوهين الموضوعين تحت الرقابة ، وهي عار لمن يحملها .

عام ١٨١٥ ببلدة « ديين » .. لا يجد جان فالجان عملاً إلا بالكاد ، وبنصف أجر ، بسبب البطاقة الصفراء ، فلا يستطيع أن يقيم أوده ويطرد من العمل .

يعطف عليه قسيس فيستضيفه ويطعمه ، ولكن جان فالجان يسرق آنية فضية ويهرب .. فتضبطه الشرطة وتعيده إلى دار القسيس فيزعم القسيس أنه أهداه الآنية ويهديه شمعدانين من الفضة أيضاً .

يتأثر جان فالجان بكرم الرجل وطيبته . فيقرر أن يغير اسمه ويهرب من المراقبة ويبدأ حياة جديدة شريفة في بلاد أخرى .

تمضي السنوات ورجل الشرطة يبحث عنه عبثاً . كان فالجان قد عمل ونجح وأصبح صاحب مصنع نسيج وعمدة ببلدة « مونتري »

في المصنع فتاة عاملة تكتشف زميلاتها أن لها ابنة غير شرعية فيطلبن من رئيس العمال أن يطردها ، فتتضور جوعاً ، وتبيع قلادة كانت تملكها ، تبيع شعرها .. ثم لا تجد سبيلاً إلا احتراف بيع جسدها .

يقبض عليها رجل الشرطة جافير ولكن العمدة يأمر باطلاق سراحها وايداعها المستشفى للعلاج .

ويحدث أن عربة تدهم عابر سبيل فيسقط تحتها ويستغيث بالناس ، ولكن أحداً لا يستطيع أن يرفع العربة إلا العمدة الذي ينقذ المسكين فيتذكر جافير أنه لم ير في حياته رجلاً بهذه القوة إلا المجرم الهارب جان فالجان الذي كان يحمل رقم ٢٤٦٠١ . ويذكر جافير للعمدة أنه كان من الممكن ان يشك في أن العمدة ذاته هو جان فالجان لولا أنه قد قبض على المجرم الهارب بنفسه وقدمه للمحكمة .

« من أنا ؟ » يناجي جان فالجان نفسه . إذا تكلمت واعترفت بالحقيقة أنقذ الرجل من ظلم سيلحق وأدين نفسي ... وإذا سكت أدين البريء وتلحقني اللعنة !... فأي الناس أنا !..

يذهب العمدة إلى المحكمة ويعترف أنه هو جان فالجان الهارب ويطلب قبل القبض عليه مهلة يزور فيها الفتاة « فانتين » في المستشفى .. حيث يجدها تموت ، وتوصيه بابنتها غير الشرعية « كوزيت » التي أودعتها عند صاحب حانة ..

ولما يصل جافير للقبض على جان فالجان .. يكون هذا قد فر .

وكانت كوزيت تعيش عند « تيناندييز » صاحب الحانة وزوجته . يعذبانها ويرهقانها بالعمل ، ولهما ابنة مدللة في مثل عمرها هي « ايبونين » .

يدفع جان فالجان لصاحب الحانة مالاً ليأخذ الطفلة « كوزيت » ويفر بها إلى باريس .

ثورة باريس ١٨٣٢

باريس ١٨٣٢ .. الطلبة في ثورة ، وقد قتل الجنرال لامارك الوزير الذي يحبه الفقراء والمدينة حاشدة بالفقر والجريمة ، وقد أفلس « تيناندييز » صاحب الحانة وأتى إلى باريس ليكون قاطع طريق وزعيم عصابة للصوص .

يكاد تيناندييز أن يقع في أيدي الشرطة فيشي بجان فالجان إلى جافير ، ويؤكد له أنه موجود بباريس .

« ماريوس » من الطلبة الثائرين يحب كوزيت ، بينما تحبه ايبونين ابنة تيناندييز ، وترضى من حبها له أن تدله على عنوان كوزيت ..

ماريوس على المقهى مع الطلبة الثائرين يقررون اقامة المتاريس واعلان الثورة . فيكتب ماريوس إلى حبيبته كوزيت رسالة يعلمها بمكانه ويرسلها مع « ايبونين » فتقع الرسالة في يد جان فالجان الذي يقرر اللحاق بماريوس وحمايته من القتال .

تعود « ايبونين » لماريوس على المتراس .



انتحار « جافير »

ولكنها أصيبت برصاص الشرطة وتموت بين ذراعيه وهي تناجيه :

« لا تخش علي مسيو ماريوس فأنا لا أشعر بأي ألم .. » .

يضبط الثوار رجل الشرطة جافير وهو يتجسس عليهم على المتراس ويتظاهرون بأنه منهم ، فيقررون قتله ويكلفون جان فالجان بذلك . ولكن جان فالجان يطلقه ويتظاهر بأنه قتله .. ولما يكتسح الهجوم المتراس يحمل « جان فالجان » الشاب ماريوس وهو في اغماءة ينزف الدم ، ويفر به من انفاق مجاري بارس حتى يصل الى بيته .

« أي شيطان هذا الرجل ! » يناجي جافير نفسه ..

« كان يملك الانتقام ولكنه وهبني الحياة فاللعنة عليّ إن عشت مديناً للص » ..

« أنا القانون . والقانون لا يهزأ منه أحد » ..

« سأبصق رحمته في وجهه » .

« فلا يمكن أن يشاركني عدوي أي شيء » .

« إما جان فالجان أو جافير » .

ويلقي جافير بنفسه في السين منتحراً ، في مشهد مسرحي ساخر .

ويقرر جان فالجان أن يزوج كوزيت من ماريوس ويفر بعدها خارج البلاد .

ولكن تيناندبير يكشف لماريوس حقيقة جان فالجان وحقيقة علاقة كوزيت به ، ويكشف له أن فالجان هو الذي حمله جريحاً في المجاري وأنقذ حياته ..

عندئذ يذهب العروسان الى الشيخ المحتضر .. حيث يلتقي حوله كل ضحايا الظلم : أشباحاً تغني للخلاص وللرحمة بعد الموت .

في المقهى وفي لحظة احتضار جان فالجان يذكر ماريوس كل أصدقائه الذين ماتوا ويغني للغائبين :

« كراسي فارغة وموائد فارغة ..

« سامحوني يا أصدقائي إني أعيش بعدكم »

« في الدنيا حزن لا يمكن التعبير عنه

« في الدنيا ألم يعصر ويعصر النفس »

كيف يفكر القطاع التجاري

« كاميرون ماكنتوش » منتج مسرحي انجليزي ينتمي لأسرة صانعي الشيكولاته المشهورة بذات الاسم .

وقد أنتج ماكنتوش مسرحية « القطط » الغنائية المؤلفة من قصائد للشاعر البريطاني الكبير ت . س . اليوت كتبها للأطفال عن القطط والمسرحية تعرض بلندن بنجاح منذ خمس سنوات .

كما أنه أنتج في السابق « أوكلاهوما » و « سيدتي الجميلة » الانجليزية » و « أوليفر » عن رواية تشارلز ديكنز « أوليفر تويست » وينتج حاليا « شبح الأوبرا » والمسرحية الموسيقية « قهوة بوتشيني » عن حياة الموسيقي الشهير بوتشيني ، فضلاً عن انتاجه « البؤساء » .

ورواية البؤساء كان قد اقتبسها في ألبوم غنائي بفرنسا الشاعر ومؤلف الأغاني « الان بوبليل » والموسيقي « كلود ميشيل شونبرج » فوقع اختيارهما على عشرين لحظة درامية هامة في رواية هيجو وصاغاها في أغان فردية أو ثنائية أو جماعية وسجلا الأغاني في أسطوانة .

وزعت الأسطوانة توزيعاً واسعاً ، وأعجب بالفكرة المخرج السينمائي الفرنسي الشهير « روبير حسين » فقرر اخراج الأغاني كمسرحية غنائية على مسرح « قصر الرياضة » بباريس (٤٥٠٠ مقعد) . وعرضت المسرحية ثمانية اسابيع وامتدت ثمانية اسابيع بعدها . ولكن توقف العرض بعد ذلك لوفاء المسرح بعقود حجز سابقة ولأن العرض الذي أخرجه روبير حسين كان من الضخامة بحيث يتعذر نقله على مسرح عادي .

استمع ماكنتوش للأسطوانة وقرر على الفور أن ينتج العرض بالانجليزية . وقال : « لم أكن قرأت رواية هيجو ولكني كنت قد شاهدت باعجاب فيلم البؤساء لتشارلز لوتون وفريدريك مارش . فعلى الفور اتصلت بالمؤلف الفرنسي بوبليل وكلفت جيمس فنتون بترجمة النصوص الفرنسية ثم اتصلت بالمخرج « تريفورنان » .

المخرج تريفورنان هو مدير فرقة شكسبير الملكية . وقد نال عدة جوائز آخرها كان عن اخراج « القطط » . درس المسرح بجامعة كمبردج وأخرج بنجاح كبير في السنوات الأخيرة هاملت وهيدا جابلر وروميو وجولييت ودائرة الطباشير القوقازية وتاجر البندقية .

واقترح نان على ماكنتوش أن ينتج « البؤساء » مشاركة مع فرقة شكسبير الملكية .

رحب ماكنتوش بالفكرة وقال للصحفيين : « أدركت أن مشاركة فرقة شكسبير معي في الانتاج ستضمن للعرض المسرحي مستوى خاصاً . كما أن فكرة التعاون بين القطاع المسرحي التجاري وبين المسرح المدعوم من الدولة هي فكرة مبدعة » .

العرض المسرحي الانجليزي

تقرر أن تعاد صياغة النص للجمهور الانجليزي الذي لم يدرس رواية البؤساء في المدارس كالفرنسيين الذين يعرفون سياق قصة هيجو عن ظهر قلب . وعمد المؤلفان إلى تأكيد عناصر القصة من خلال الأغاني . وأضافا اليهما الشاعر الغنائي الانجليزي هيربرت كريزمر ، وأضيفت أغان جديدة للنص .. وبمرور الوقت تغير النص كثيراً بالتعاون بين الفريق الانجليزي والفريق الفرنسي .

وقد أفتتحت المسرحية الغنائية « البؤساء » بمسرح « باربيكان » . البيت المسرحي لفرقة شكسبير الملكية ، ثم انتقل العرض المسرحي الى حي المسرح التجاري بالوست إند .

والعرض الانجليزي لا يختلف عن العرض الفرنسي في أنه يقدم لحظات درامية حاسمة في رواية هيجو الطويلة ، ويعبر عن هذه



الأحياء الرثة في باريس

بؤساء
فيكتور هيجو
مسرحية غنائية كاسحة

اللحظات بالغناء الفردي أو الثنائي أو الجماعي ، ويقوم الديكور بدور جوهري في ابداع السياق المسرحي . ويتحرك الديكور حركة آلية دقيقة ، إلا أنها أيضاً في غاية الجمال .

وتتمثل مهارة التصميم في أن الحي الشعبي الرث دار دورة على المسرح فتحول إلى متراس الثوار الذي دارت عليه المعركة . كما أن مشهد انتحار جافير قد صمم بحيث يرتفع الجسر المقام على نهر السين فيبدو جافير كأنه يهبط إلى قاع النهر بحركة بارعة من الممثل المبدع .

كما أن صدق التعبير في الغناء وانسجام الأصوات وبراعة التمثيل مع انضباط الألحان هو مستوى لا يمكن أن تصل اليه مواهب الفنانين المبدعين في المسرحية إلا من خلال تدريبات شاقة وطويلة استغرقت في الواقع سبعة شهور كاملة .

المؤلف وحكايته

قصة « البؤساء » يعتبرها دارسو الآداب من أروع القصص الروائية في التاريخ الأوروبي كله . ولكن بعض الناس يقدرون أن قصة حياة الكاتب فيكتور هيجو هي أحسن القصص التي أبدعها وأكثرها تشويقاً .

فقد ولد هيجو عام ١٨٠٢ لأب من ضباط جيش بونابرت . وترقى أبوه حتى حصل على رتبة الجنرال .. ثم سرح من الجيش بعد هزيمة نابليون وعودة لويس الثامن عشر ملكاً لفرنسا .

وقد بدأ هيجو حياته شاعراً ملكيا وأرستقراطياً ، برغم انتماء أبيه للنابليونيين . ولمع اسمه وهو بعد في الثامنة عشرة من عمره حيث كتب قصيدة حول مقتل ابن أخي الملك الدوق دي بيري فنال عنها جائزة من الملك لويس ومعاشاً سنوياً قدره ٣٠٠٠ فرنك . ثم نال مرتبة الليجيون دونير وهو في الثالثة والعشرين من عمره من الملك شارل العاشر .

وتزوج هيجو وأنجب أربعة أولاد وكان يبدو في شبابه رب أسرة مثالي ، فكان أصدقاء أبيه يتعجبون من حاله ، وأبوه يقول لهم : « انتظروا عليه . فالولد يفكر كما تفكر أمه ، ولكنه حين يكبر فسيفكر كأبيه » !

أعوام ١٨٢٨ ــ ١٨٣٠ كانت مرحلة حاسمة في حياته ، حيث صار الاتجاه نحو نزع الألقاب التى منحها نابليون لرجال دولته . فشن هيجو حملة ساخنة ضد ذلك الاتجاه وكتب مسرحية « هرناني » التي قدمت على المسرح لأول مرة أبطالاً لا من السادة والنبلاء وإنما من الصعاليك أهل المجون والفتوة . فأحدثت المسرحية الرومانتيكية الأولى في المسرح في العالم ضجة كبرى ، وكانت حالة المسرح طوال ليالي عرضها المائة هي بذاتها ميدان قتال وتشاتم وتماسك بين أفراد الجمهور ممن أسخطتهم المسرحية وممن استثارت حماسهم المسرحية .

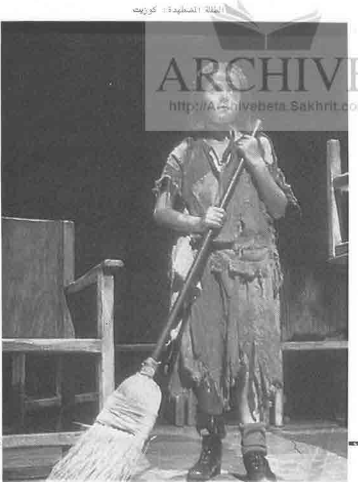
ولكن الرومانتيكية كانت تغزو أوروبا كلها بالشعر والموسيقى .. فكان هيجو رائد الفن الجديد في المسرح ..

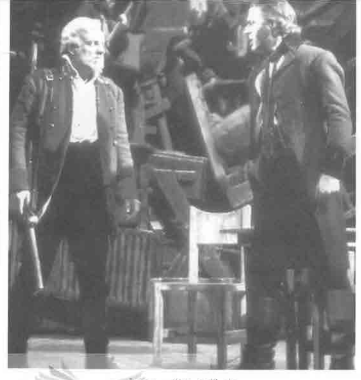
وفي غمرة هذا الضجيج أحبته الممثلة « جولييت دروية » ، وتبعته طول حياته بعدها أينما ذهب ، وظلت تكتب له خطاباً واحداً على الأقل كل يوم إلى أن مات .

تغيرت حياة هيجو ، فلما كبر اكتسب طفولة وبراءة الرومانسيين وعنفهم العاطفي .. وصار يكتب بغزارة ، فألف رواية « أحدب نوتردام » ومسرحية « روي بلاس » التي تعتبر أفضل مسرحياته ، ونهراً هادراً من القصائد والأشعار ، فلما بلغ سن الثلاثين اعترف له النقاد بالاجماع بأنه أعظم كتاب فرنسا ، ونال لقب النبالة « البير » ، وشرع يكتب « البؤساء » .

بعد سقوط لويس فيليب عام ١٨٤٨ صار هيجو نائباً في الجمعية الوطنية الفرنسية ، وظل على صلة باليمين ولويس نابليون نفسه ، ولكنه اهتم كثيراً بالقضايا الاجتماعية والسياسية وصار يكتب المقالات المثيرة عن

الطفلة المضطهدة : كوزيت





جان فالجان وجافير.. مواجهة



الديكور.. جزء من ابداع العرض

ضرورة تغيير مناهج التعليم، وعن حقوق الانسان، وعن الظلم وعن التشريع.

وحين توج لويس نابليون نفسه امبراطوراً على فرنسا باسم نابليون الثالث خرج هيجو عليه والتحق بالثورة على المتاريس في شوارع باريس مع الطلبة والشباب.

ويتعجب النقاد دائماً من ذلك التحول المعكوس في حياة هيجو، فقد قضى شباباً هادئاً وبعد أن تجاوز منتصف العمر تحول الى شاب ملتهب مجازف.

وبعد فشل الثورة هرب هيجو وعاش في المنفى بين بروكسل (بلجيكا) وجيرسي (جزيرة انجليزية في بحر المانش).

وفي عام ١٨٥٩ أصدر نابليون الثالث عفواً عنه، ولكنه لم يعد لفرنسا واستمر يعارض نابليون وأتم رواية البؤساء التي استغرقت كتابتها عشر سنوات.

برقيتـــان

من الحكايات التي ترويها كتب سيرة الشاعر أنه بعد طبع «البؤساء» أرسل من منفاه للناشر برقية لا تتعدى علامة الاستفهام: «؟» فرد عليه الناشر ببرقية لا تتعدى علامة التعجب: «!».. فقد تجاوز رقم التوزيع للرواية كل أحلام الناشر والمؤلف.

وفي عام ١٨٧٠ هزمت ألمانيا فرنسا، فعاد هيجو الى باريس التي غادرها نابليون الثالث، وانتخب الشاعر عضواً في الجمعية الوطنية لكوميونة باريس الجمهورية قصيرة العمر التي رفضت شروط الصلح المجحفة مع الألمان وأعلنت الثورة. وكان هيجو في بروكسل لوفاة أحد أولاده الأربعة هناك فهاجمته المظاهرات الساخطة على حكومة الكوميون الفرنسية وألقوا الحجارة على بيته وقررت الحكومة البلجيكية إبعاده تحت الحراسة المشددة.

أصيب هيجو بأزمة قلبية عام ١٨٧٨.

وفي عام ١٨٨٢ قررت فرنسا كلها أن تحتفل بعيد ميلاده الثمانين، فنظمت الحكومة مع الهيئات والنقابات والفنانين مسيرة تمر ببيته وتهتف له، وسماه نقاد الصحف كلها أشهر رجل فرنسي في العالم على الاطلاق.

وكانت هذه المسيرة بمثابة «بروفة» لجنازته استمتع في حياته بمشاهدتها. فلما مات فيكتور هيجو عام ١٨٨٥ وضعوا جثمانه تحت قوس النصر بباريس نهاراً وليلاً كاملين حتى يطوف محبوه ومريدوه بالتابوت. واستغرق مرور مشيعيه في اليوم التالي بشارع الشانزيليزيه ست ساعات متصلة.

والفرنسيون لا يعتبرون هيجو أشهر الكتاب الفرنسيين فقط، وإنما يعتبرونه أيضاً ضمير فرنسا وروح شعبها.

تعليق المؤلف على روايته

ولفكتور هيجو رأي في روايته «البؤساء».. فقد علق عليها بقوله:

«إذا دفعت الناس الى أقصى الحرمان، فقد ألزمتهم كذلك باستنزاف قدراتهم الانسانية الى آخر قطرة فيها. وعندئذ ويل لمن يعترضون طريقهم. إذا ضاع العمل والأجر والطعام والدفء.. ضاعت الشجاعة والطيبة، والنهار يصبح في عيون المحرومين ظلالاً، وتملأ قلوبهم الظلمة. وفي أحشاء هذه الظلمة يستغل الانسان ضعف المرأة وضعف الطفل ويجبرهما على العار. ويصبح لا وجه للفزع يمكن استثناؤه. فكل شيء في الدنيا يقود هؤلاء المحرومين الى الرذيلة والى الجريمة».

وبهذه الفقرة المقتبسة من هيجو نفسه يقدم الفنانون مسرحية «البؤساء» في الوست إند بلندن.

الفريد فرج

لنـــدن

العلم هو المستقبل

تقديم :
لبنى الريدي

لتضليل أجهزة التصنت

• مع تطور أجهزة التصنت وصغر حجمها ، أصبحت الحياة الخاصة للمواطنين مهددة من قبل المتطفلين . ولقد دفع ذلك صناعة الالكترونيات إلى ابتكار مجموعة كبيرة من الأجهزة التي تساعد على رصد وكشف وجود دخلاء على خطوط الهاتف وتضليلهم .
وأحدث هذه الأجهزة جهاز إرسال صغير يستطيع خلط المعلومات المرسلة خلال خطوط الهاتف بحيث لا يستقبلها إلا الشخص المعني فقط .

الجهاز في حالة إرسال الرسالة عبر خطوط الهاتف

ويتكون هذا الجهاز من ميكروكمبيوتر في طول شريط الفيديو ، ولكن سمكه نصف بوصة وعرضه أربع بوصات فقط. وهو مزود بلوحة مفاتيح وشاشة تتسع لأربعين حرفاً . وتستطيع ذاكرة الميكروكمبيوتر اختزان خمس صفحات من المعلومات .

ويتعين قبل إرسال أية رسالة عبر الهاتف ضرب شفرة تتكون من ١٦ حرفاً على لوحة مفاتيح الجهاز ثم الضغط على مفتاح الشفرة ليتم تحويل الرسالة المكتوبة إلى نبضات رقمية تخلط بعد ذلك مع تيار عشوائي يولده مولد إلكتروني في شكل رقيقة داخل الميكروكمبيوتر .
ولإرسال هذه الرسالة يضرب رقم هاتف الشخص المطلوب بعد أن يكون المرسل قد قام بتوصيل سماعة هاتفه بوزعي



الجهاز نفسه عند الاستقبال

توصيل من المطاط مثبتين في الجانب السفلي من الجهاز (كما توضح الصورة) . وعندما يفتح الخط يضغط المرسل على زر الارسال في لوحة المفاتيح ، فيتم نقل الرسالة المكودة في شكل معلومات رقمية لتستقبل بواسطة جهاز مماثل على الطرف الآخر من الخط .
ويقوم الجهاز المستقبل بتخليص الرسالة من التيار العشوائي وفك الشفرة لتظهر مكتوبة على شاشته . ويمكن تسجيل هذه الرسالة كتابة ، وذلك بتوصيل الجهاز بطباعة ، كما يمكن تسجيلها على شريط تسجيل .

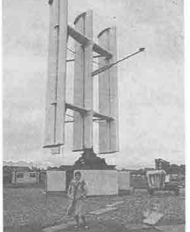
وإذا حاول أي كمبيوتر الدخول في الخط وفك شفرة الرسالة يضطر لتجربة ألف توليفة كل يوم لفك هذه الشفرة والاستمرار في المحاولة لمدة ألف عام قبل التمكن من اكتشاف شفرة الجهاز .

شراع من البلاستيك لبواخر الشحن

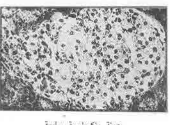
• قدم مهندس طائرات بريطاني شراعاً مبتكراً لبواخر المستقبل . ويتكون هذا الشراع الجديد الذي يبلغ ارتفاعه ١٣.٥ متر من أسطح من البلاستيك يحيط بها إطار من السبائك المعدنية الخفيفة . والكل مثبت على صاري من الصلب .

ويقوم هذا الشراع بدور مساعد للمحركات التقليدية وليس كبديل لها فاستخدامه يخفض استهلاك الوقود بنسبة تصل إلى ٣٠٪ سنوياً ، كما لن تحتاج باخرة الشحن المزودة بمثل هذا الشراع إلا لمحرك صغير ، مما سيحقق وفرا في الصيانة أيضاً .

وحرص المهندس البريطاني على أن يكون شراعه شراعاً تكنولوجياً بحيث لا يحتاج إلى عمالة اضافية للعناية به فهو يعمل طبقاً لنفس الأسس التي تعمل بها أجنحة الطائرة مع اختلاف وحيد ، وهو أن تدفق الهواء على الأسطح الانسيابية للأشرعة يحدث قوة دفع أمامية بدلاً من قوة الرفع في حالة الطائرة . ويقوم الكمبيوتر في كابينة القيادة بالتحكم في زاوية مقابلة الأشرعة للهواء .
ولقد استغرق تصميم وتنفيذ هذا الشراع العجيب أربع سنوات ، وبعد نجاح جميع التجارب التي أجريت عليه على البر ، زودت به باخرة شحن حمولتها ٦٥٠٠ طن .



يحمل الإنسان جينات السرطان



جينة بنكرياسية سليمة



خلايا سرطانية فى البنكرياس

● تميز عام ١٩٨٥ باكتشافات جوهرية في مجال أبحاث السرطان. فلقد تمكنت ثلاث فرق بحث أمريكية من التوصل إلى نتائج قلبت رأساً على عقب كل المعلومات المعروفة حتى الآن عن أسباب الإصابة بالسرطان.

أول هذه الاكتشافات أن هناك جينة مسئولة عن إصابة الخلية بالسرطان مثلها مثل أي جينة في الشبكة النووية للخلية: فهي جزء من الحامض النووي المسئول عن حمل الصفات الوراثية ومكون أساسي من مكونات الكروموسومات أو الصبغيات.

وعادة ما تكون هذه الجينة في حالة خمول، أي لا تعبر عن وظيفتها السرطانية، وتظل غير ضارة في قلب الخلية. ولقد تمكن الباحثون من تحديد هوية حوالي ثلاثين جينة سرطانية تعتبر كل واحدة منها مسئولة عن نوع خاص من السرطان. كما اكتشفوا سمة هامة لهذه الجينات: فهي جينات بنائية، أي أنها مسئولة عن تكوين البروتينات التي تنتجها الخلية. على عكس جينات التحكم الموجودة في مقدمة الجينات البنائية، وتقوم بكبح أو تحفيز عمل الأخيرة.

ولكن قد تستيقظ جينة السرطان الخاملة في لحظة من لحظات الحياة وتصبح نشطة وتحدث انقلاباً في عمل الخلية. ويأتي هذا النشاط غير المتوقع نتيجة تحول أو تغير كيميائي — حيوي تحت تأثير المواد المسببة للسرطان والاشعاعات المؤينة فتتحول الجينة الى عامل مساعد لتكون الأورام وخاصة الخبيثة منها.

إلا أن أغرب هذه الاكتشافات هو ما أثبته فريق من العلماء الأمريكيين من أن الجسم يفرز بعض المواد المسببة للسرطان. والأغرب هو أن هذه المواد يفرزها نوع معين من خلايا الدم البيضاء، وهي المسئولة عن الدفاع عن الجسم من أي غزو خارجي لأنها تمثل جهاز المناعة في الانسان. فمن المعروف أن هناك أنواعاً عديدة من خلايا الدم البيضاء. وأكدت التجارب أن نوعاً معيناً من هذه الخلايا يفرز مواداً ذات قوة مؤكسدة كبيرة قادرة على تنشيط جينات السرطان الموجودة في خلايا الجسم.

ويبقى أمام العلماء التوصل إلى السبب الذي يجعل هذا النوع من خلايا الدم البيضاء دون غيره يفرز هذه المواد المسببة للسرطان.

تصورات لمنزل المستقبل

● تتنافس الشركات الأمريكية واليابانية من أجل توفير أكبر قدر من الراحة والأمان في منزل المستقبل، وسبيلهم إلى ذلك نظام تحكم مركزي يعمل بالكمبيوتر.

وتقدم إحدى الشركات الأمريكية نظاماً لمراقبة جميع أجهزة المنزل، يتكون من ميكروكمبيوتر صغير يثبت في مؤخرة جهاز التلفزيون مثلما تثبت توصيلة ألعاب الفيديو. وباستخدام جهاز للتحكم عن بعد يمكن استدعاء رسم تخطيطي يمثل كل الأجهزة والأنظمة الكهربية في البيت على شاشة التلفزيون. وبالضغط على شفرة رقمية في جهاز التحكم يمكن إيقاف أو تشغيل هذه الأجهزة أو ضبط الإضاءة أو التدفئة الخ..

ويتم ذلك عن طريق إرسال إشارات مبرمجة خلال التوصيلات الكهربية للمنزل إلى أجهزة استقبال صغيرة مثبتة في أجهزة وأنظمة المنزل الكهربية بحيث يمكن إضاءة النور وتعديل درجة تبريد المكيفات وتشغيل الأجهزة الكهربية الموجودة في البيت تبعاً لجدول زمني محدد مسبقاً.

وباستخدام لغة اشارات متطورة ستتمكن الأجهزة من التحاور فيما بينها كأن تخبر آلة غسل الملابس سخان المياه أن يخفض من درجة حرارة الماء بعد انهاء دورة الغسل.

أما اليابانيون فيخططون لبناء منازل أكثر ذكاء يمكنها التنبه لاحتمالات الصدمة الكهربية والحرائق. في هذه المنازل ستتكون شبكة التوصيلات الكهربية من نوع واحد من الكابلات يمكنه حمل كل النبضات الكهربية اللازمة لتشغيل مختلف الأجهزة والأنظمة الكهربية الموجودة في المنزل بغض النظر عن نوع وكمية ما تحتاجه من طاقة كهربية.

ويضم نظام التحكم جهاز كمبيوتر مركزي يتولى ارسال نوع الطاقة المناسبة لكل جهاز. ولكنه لن يرسل هذه الطاقة إلى أي مأخذ للتيار إلا إذا تلقى إشارة الكترونية من الجهاز فعند توصيل القابس الكهربي للمكواة مثلاً فإنها ترسل إشارة للكمبيوتر لكي يرسل إليها كمية محددة من الكهرباء من خلال المأخذ المتصلة به.

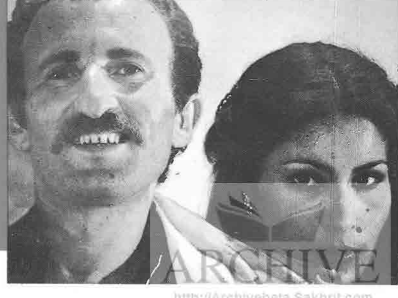
ويوفر هذا النظام الكثير من الطاقة، فهو يزود الأجهزة المستهلكة للطاقة مثل آلة غسل الملابس أو الصحون بما تحتاجه من الطاقة الكهربية الكبيرة في حين لا تمد الأجهزة الالكترونية مثل المذياع والمسجل إلا بقدر صغير من التيار المستمر دون حاجة الى استخدام محولات للتيار.

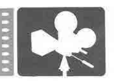
كما يوفر هذا النظام قدراً أعلى من الأمان، فلن يصعق مثلاً الطفل الذي يضع اصبعه الصغير في مأخذ التيار، لأن هذا المأخذ لن يزود بالتيار إلا إثر تلقى الكمبيوتر المركزي لاشارة تطلب منه ذلك.

ومن المتوقع إقامة أول نموذج لهذا المنزل الذكي خلال عام ١٩٨٦.

أسبوع سينمائي في الجزائر

● سينما الشباب عندهم وعندنا





بقلم : رؤوف توفيق

أمضيت أسبوعا فى الجزائر ، أشارك فى « بانوراما » السينما والشباب ، التى أقامتها محافظة « قسنطينة » فى المدة من ١٤ الى ٢٠ ديسمبر الماضى ، ودعت إليها عددا من السينمائيين والنقاد يمثلون ١٦ دولة عربية وأفريقية وأوروبية .

كانت أيام اللقاء حافلة بالمناقشات عن السينما العربية ، والأفلام التى تدور حول مشاكل الشباب .

وفى الطائرة من الجزائر الى القاهرة .. تجولت بيننا المضيفة تحمل الجرائد والمجلات العربية والعالمية .. واسترعى انتباهى غلاف مجلة « نيوزويك » الأمريكية ، وعليها صورة الممثل السينمائى « سيلفستر ستالونى » فى لقطة من أحدث أفلامه : « روكى ــ الجزء الرابع » .. وعلى غلاف المجلة عنوان ضخم : « روكى ، أمريكا .. ماذا تقول الأفلام عن المزاج الأمريكى » ؟

وكانت صدفة توقيت هذا السؤال الأمريكى .. هى أبلغ تأكيد لحصيلة مناقشات وندوات ملتقى « قسنطينة » السينمائى .

فالسينما الأمريكية مهما غزت أسواق العالم ، وسيطرت على أذواق المتفرجين .. إلا أنها ليست هى السينما النموذج أو القدوة .. فموضوعات أفلامها تخضع غالباً لاعتبارات كثيرة : سياسية واقتصادية ونفسية من داخل المجتمع الأمريكى نفسه .

أما السينما العربية ــ كما أجمعت مناقشات قسنطينة ــ فيجب أن تكون لها شخصية مستقلة ومتميزة تنبع من الواقع المحلى بكل مشاكله وطموحاته .

وقد حان الوقت ، لأن يلتقى صناع السينما العربية فى اتحاد قوى ، ليبحثوا معا ، العقبات التى تواجه انطلاق السينما العربية .

لحظة الانتصار على وجه «روكى» في فيلمه الجديد .. وقد أصبحت هذه اللقطة هي حلم كل شاب أمريكي



«روكى» الأمريكى يستعد لمواجهة منافسه السوفييتي

الملاكم السوفييتي العملاق يدخل حلبة الملاكمة وسط الأضواء الباهرة

«الحلم الأمريكي .. بالانتصار

والسؤال الذى طرحته مجلة «نيوزويك» .. يدور حول نفس الظاهرة التى توقفت عندها فى مقال السينما لعدد شهر نوفمبر الماضي فى «الدوحة» .. وكان بعنوان «تصدير العنف فى شرائط ملونة» .. حيث تناولت تيار العنف الذى يسيطر على الأفلام الأمريكية الجديدة، ويقف على قمة هذا التيار الفيلم «رامبو» لنفس الممثل «سيلفستر ستالونى»، والذى حقق نجاحا تجاريا كاسحا، دعمه الرئيس الأمريكى «ريجان» عندما أشار إليه فى تصريحاته أيام أزمة اختطاف الطائرة الأمريكية في بيروت !

وقلت فى مقالى : «إن الاشادة بهذا النموذج من الأفلام، كان على أساس أنه يقدم الحلم الأمريكى الجديد، لصورة البطل الذى يتحدى الصعوبات، ويقهر الأعداء بلا خوف أو تردد .. والذى لا يعرف لغة للحوار، سوى العنف وسفك الدماء .. أحيانا بقبضة اليد الفولاذية، وأحيانا بالمدفع المتدفق بالنيران .. والحل دائما يبدأ وينتهى بمنطق القوة».

وقلت : «ها هو البطل الأمريكى ينتصر على شاشة السينما، ليعوض الهزيمة فى الواقع .. وكأن المطلوب هو خلق هذا «الوهم» بالانتصار والقوة».

«فبعد هزيمة الجيش الأمريكى فى فيتنام .. والاحساس بالمأساة والتورط داخل كل بيت أمريكى .. كان لابد من كسر حدة هذا الحزن والمرارة .. وبدأت السينما تخلق انتصارات وهمية، لاعادة الاحساس بالقوة» !

وتؤكد مجلة «نيوزويك» هذا التحليل فى تحقيقها الصحفى المنشور على خمس صفحات فى عدد ٢٣ ديسمبر الماضي .. والذى اشترك فى تغطيته الصحفية عدة مراسلين من ولايات أمريكية .. رصدوا حالة «الهوس» بشخصية «رامبو» حتى أن هناك مطاعم ومحلات تجارية ظهرت فى أمريكا تحمل اسم «رامبو»، تستخدم نفس الديكورات والأسلحة والملابس التى ظهر بها «رامبو» .. بالاضافة الى لعب الأطفال التى أسرعت المصانع بتقديمها للسوق، على هيئة مدافع رشاشة مائية من نفس الطراز الذى كان يستخدمه «رامبو» فى تحرير الأسرى الأمريكيين من المعسكر الفيتنامى المزعوم !

وظهرت فى الشوارع الأمريكية .. مجموعات من الشباب تتقمص شخصية

أسبوع سينمائي في الجزائر

« رامبو » بأسلحته وملابسه ، وحتى في طريقة تصفيف الشعر !!

وتبشر مجلة « نيوزويك » بالنجاح المتوقع لفيلم « روكي ــ الجزء الرابع » . الذى بدأ عرضه في الولايات الأمريكية في منتصف ديسمبر الماضي .. وذكرت المجلة أنه إذا كان فيلم « رامبو » قد حقق ايرادات ٣٢ مليون دولار في مبيعات التذاكر خلال الأيام الستة الأولى لعرضه .. فإن فيلم « روكي ــ الجزء الرابع » حقق نفس الرقم (٣٢ مليون دولار) في الأيام الخمسة الأولى فقط من عرضه .. وتوقع الخبراء أن يحطم روكي الجديد الأرقام القياسية للايرادات في تاريخ السينما الأمريكية .. فقد تسابقت ألفان ومئتا دار عرض في الولايات المتحدة على تقديم الفيلم في أعياد رأس السنة .. وأعلنت دور العرض في باريس ولندن عن فتح باب الحجز لمشاهدة الفيلم الذى بدأ عرضه هناك من منتصف يناير !!

واستندت مجلة نيوزويك على رأى مدير التسويق لشركة متروجولدين ماير التي توزع الفيلم .. والذى قال : « لقد كانت أمريكا محتاجة دائما الى بطل تستطيع أن تتشبه به .. وكان هناك في السينما « جون واين » والآن أصبح سيلفستر ستالونى » .

وعلقت المجلة : « إن البطل الأمريكي يعود للظهور بعد اختفاء طويل .. بطل مستعد لاقتحام العالم بالمسدسات .. والسكاكين وقفازات الملاكمة » !

وعندما سألوا طفلا في العاشرة من عمره عما يعجبه في « روكى » .. قال ببساطة شديدة : « إنه دائما يكسب » .

وهذا هو المطلوب تغذيته في المواطن الأمريكي : الاحساس الدائم بالتفوق .. والقدرة .. والانتصار ..

ومن هنا اختارت المجلة الامريكية أن تضع على صدر تحقيقها . هذه العبارة : « تحبه او تكرهه .. ولكن سيلفستر ستالونى بفيلميه الساحقين الأخيرين .. استطاع أن يعيد تقديم البطل للأسطورة الأمريكية » !

ملاكم يعلن الحرب العالمية الثالثة !

وفيلم « روكي ــ الجزء الرابع » هو امتداد لنفس السلسلة من أفلام « روكى » ذلك الملاكم المغمور من كاليفورنيا الذى وجد نفسه متورطا في تمثيلية دبرها بطل العالم في الملاكمة حتى يبعد الأنظار عن الشرخ الذى يعانى منه في عظمة الكتف .. فقد نصحه مستشاروه ألا



المخرج الجزائري المولد « مهدى شريف » الذى قدم أول أعماله السينمائية من انتاج « كوستاجا فراس »

يغيب طويلا عن عيون معجبيه والأخبار والأضواء .. ولهذا اتفقوا على خطة لاكتشاف ملاكم مغمور له اسم طنان ، ليمنحه بطل العالم شرف الملاكمة معه .. ويقع اختيارهم على « روكي » .. لا لسبب .. إلا لأن اسمه مثير وجذاب .

ويبدأ مستشار بطل العالم في تخطيط الدعاية المناسبة .. والبحث عن هذا الملاكم المغمور « روكي » لابلاغه بالنبأ السعيد « ان بطل العالم اختاره لأن ينازله في مباراة ضخمة .. وعندما يذهب « روكي » لمقابلة مدير الدعاية حسب طلبه ، يسأله روكي في براءة شديدة عن السبب في اختياره هو شخصيا لمنازلة بطل العالم .. فيرد مدير الدعاية بأوداج منتفخة : « إنه يريد أن يلاكم المجهول .. وأنت المجهول ... » !

وهكذا يمضي الفيلم الأول لروكى .. مستعرضا الاحباطات التي يعيشها .. وانقضاض أقاربه وأصدقائه على الشهرة القادمة له من منازلة بطل العالم .. وهو وحده يحاول أن يكون جديرا بهذه الفرصة ، تسانده صديقته « ادريان » . تحاول ان تدفع بداخله الأمل .. وبين القلق والخوف والرغبة في تأكيد الذات .. يدخل روكى حلبة الملاكمة لينتصر على بطل العالم .

ويسجل الفيلم تجاوبا جماهيريا شديدا .. هاهو واحد من المغمورين ، المطحونين ، الضائعين وسط الزحام .. يحقق انتصارا .

ويحصل الفيلم أيضا على ثلاث جوائز أوسكار عام ٧٧ .. جائزة أحسن فيلم ، وأحسن اخراج وأحسن مونتاج ..

ويستثمر « سيلفستر ستالونى » هذا التجاوب ليقدم بعد ذلك سلسلة أفلام روكي .. نفس الملاكم وصديقته أدريان في مواجهة القوى الأكبر .. حتى يصل بفيلمه الجديد « روكي ــ الجزء الرابع » ليجعل المنازلة في حلبة الملاكمة بين البطل الأمريكي والبطل السوفيتي ..

وقد أطلق النقاد على هذه المنازلة تعبير : « الحرب العالمية الثالثة » .

وبالطبع لابد أن ينتصر البطل الأمريكي على منافسه الضخم ، الفارع الطول ، صاحب الضربات الحديدية .. ولابد أن يكون الانتصار مدويا ، ومحققاً لرغبة المواطن الأمريكي في التميز والقوة .

لقد عثر « سيلفستر ستالونى » ذلك الممثل ، وكاتب السيناريو ، والمخرج .. على الوتر الذى يعزف عليه لاستقطاب الشباب حوله .. إنه يقول لهم : ان بداخل كل منهم بطلا ، ومن السهل اكتشافه ، فالأمر لا يحتاج إلا لمزيد من الاصرار والقوة والعنف !!

وهكذا يفكرون ..

وهكذا يستعدون الآن لتقديم فيلم « رامبو ــ الجزء الثالث » .. وفيلم « روكى ــ الجزء الخامس » !!

« الشباب العربى .. كيف نعبر عنه ؟

وإذا كان هذا هو المنطق الذى يديرون به أعناق الشباب الأمريكي ، ويجذبونهم به الى دور السينما ، فإن الأمر بالتأكيد يختلف بالنسبة للشباب العربى . فالواقع يختلف .. والمشاكل تختلف .. والطموحات أيضا تختلف !

فالشباب الأمريكي ــ أو الغربى عموما ــ يعيش ظروف المجتمع الصناعى ، واحتكارات رؤوس الأموال ، وسيطرة الآلة ، وانزواء الجانب الدينى والروحى .. و... وكل هذا يختلف تماما عن واقع الشباب العربى .

ومن هنا .. اذا أرادت السينما العربية أن تكون لها شخصيتها المميزة والمستقلة ، فعليها أن تبحث في الواقع المحلى لتستخلص منه موضوعاتها وقضاياها ..

ولهذا .. فإن أهم ما طرحته مناقشات وندوات ملتقى « قسنطينة » السينمائى .. هو الخروج من « غواية » السينما الأمريكية سواء في الأفكار أو الأسلوب .

لقد انتشر الفيلم الأمريكي في دور العرض بالعواصم والمدن العربية ، وأيضا دخل الى البيوت من خلال شاشات التليفزيون .. ولكن هذا لا يعنى أن نقف مكتوفى الأيدى نتفرج ، ونشكو من « الغزو الأمريكي » .

ولابد للمثقف والفنان العربى أن يسعيا



لقطة من فيلم «الشاى فى حريم أرشميدس» تجمع بين الشاب الجزائري وصديقته الفرنسية

بدأب واصرار على تأكيد الشخصية العربية واطلاق الصوت العربى من مخبئه.

وهذا لن يأتى إلا اذا ملكت السينما العربية ــ والفن العربى عموما ــ القدرة على التعبير الحر عن المشاكل الحقيقية للمجتمع.

وهذا بالتالى لن يستمر ويقوى .. إلا اذا فتحت الأسواق العربية أمام الفيلم العربى، وتحققت له حرية الانتشار.

وهنا نأتى ــ كما يقولون ــ الى مربط الفرس!

• مـا هـو الحـل!؟

المشكلة الحقيقية التى تواجه السينما العربية هى أنها سينما ليس لها حق التنقل والعرض فى الوطن العربى..

فهناك أفلام جزائرية وسورية وعراقية وتونسية ومغربية تكاد لا تعرض الا داخل حدود أرضها.. ولا يعلم المتفرج العربى عنها شيئا إلا فى حالات محدودة، منها أن تعرض داخل مهرجانات السينما فى بلاده.. أو أن يسافر للخارج ليراها على بعض شاشات دور العرض الأوروبية!!

وهذا الوضع بالتأكيد. يخنق صناعة السينما المحلية. ويعطل دوران عجلة الانتاج.

فما دام ليس هناك جمهور للأفلام.. فالنتيجة تترجم الى هزال العائد المادى.. وعدم قدرة صناع السينما فى تلك الدول العربية على الاستمرار فى صنع الأفلام.. سواء أكان هذا على مستوى مؤسسات السينما الحكومية، أو شركات القطاع الخاص من الأفراد..

المثل الجزائرى «سيد علي كويرات» فى فيلم «أحلام»

فالأفلام لا تصنع لكى تحفظ فى المخازن.. أو تعرض فقط فى المناسبات!! وإنما الأفلام تتنفس مع الجمهور.. تكتسب الحياة أو تموت بقرار من الجمهور..

واستمرارية انتاج الأفلام.. هى التى تتيح لها الفرصة للتجويد، والابداع.. وتدفع بداخلها مزيدا من الجرأة والقوة.

وكل هذه الحقائق معروفة.. قيلت مرارا على مدى سنوات طويلة.. ولم يتغير شىء.. ولم يحدث أى جديد فى الموقف!

وفى الملتقى السينمائى بمحافظة «قسنطينة» بالجزائر.. تكرر نفس الكلام..

السينما العربية مفككة.. هذا صحيح ومعروف!

السينما المصرية، هى الأكثر انتشارا فى المنطقة.. ولكن انتاجها الجيد لا يتعدى نسبة محدودة.. هذا صحيح ومعروف!

السينما فى شمال افريقيا (الجزائر ــ تونس ــ المغرب) ونتيجة لتعذر الانتشار والتوزيع فى المنطقة العربية، رأت أن تتجه للمتفرج الأوروبى.. وتكاد تصنع الأفلام لارضاء ذوق ذلك المتفرج.. هذا صحيح ومعروف. وأمام كل هذه الحقائق المعروفة.. هل نكتفى بترديد نفس الكلام، ونفس الشكوى؟!

ما هو الحل للخروج من هذه المياه الراكدة؟!

أعتذر بأن أعود لأوراقى القديمة.. ولمقال نشرته مجلة «الدوحة» فى مارس ١٩٨٠.. قلت فيه:

«حلمى الخاص الذى طالما أشتاق لرؤيته واقعا عربيا مجسدا.. أن يتجمع السينمائيون العرب فى شبه اتحاد ــ لا يهم أين يكون مقره ــ المهم أن يصبحوا كتلة واحدة. يملكون أدواتهم الفنية المختلفة.. وهم بذواتهم الشخصية والفنية هم رأس المال الفعلى.. ومن خلال هذا الاتحاد يخططون لانتاج سينمائى عربى، عن طريق التمويل بالأسهم والتى تطرح فى الأسواق العربية.. ويقومون أيضا بتوزيع أفلامهم عربيا وعالميا.. بمعنى توحيد الفن العربي، وظهور الفيلم العربى فى المهرجانات والأسواق العالمية.

والوطن العربى لا تنقصه الكفاءات أو المواهب الفنية!

ولا تنقصه الموارد المالية!

ولا تنقصه قوة الارادة.. إذا أراد..!!

من الذي يمنع من تحقيق هذا الحلم؟

وكنت فى ذاك المقال أحاور الفنان المخرج يوسف شاهين، الذى أبدى حماسة لفكرة هذا

أسبوع سينمائي في الجزائر

الاتحاد .. وقال « إنه سيكون عملا عظيما .. وأنا مستعد منذ هذه اللحظة أن أساهم فيه » ثم تردد قليلا . وفي ذهنه كل الحسابات العربية ، أو بمعنى أدق كل الحساسيات .. وقال : « ولكن هناك بعض المخاوف .. أولا .. الفروق الايديولوجية بين الدول العربية تتسع وتضيق في مساحات متفاوتة ، ولابد من الاتفاق أساسا على الحد الأدنى من حرية التفكير الفنى ..

« ثانيا .. الذى سيساهم فى تمويل هذا الاتحاد .. الى أى حد سيفرض سيف التمويل على حرية الابداع الفنى ! » .

ثم عاد يوسف شاهين لحماسه وهو يقول : « هناك اتفاق تام على الاحتياج لمثل هذا الاتحاد .. ومن الممكن التوصل بعد اجتماعين أو ثلاثة الى الحد الأدنى من الاتفاق على نصوص التفكير والتعبير الفنى » .

ويومها طرحت الفكرة للنقاش على صفحات « الدوحة » . كان هذا فى مارس ٨٠ .. ومضت الشهور والسنوات .. وعاد نفس الاقتراح للظهور فى مهرجان القاهرة السينمائى الذى عقد فى بداية ديسمبر الماضى ، من خلال ندوة السينما العربية والتى شارك فيها عدد من السينمائيين العرب .. ودارت مناقشات طويلة أكدت مدى الاحتياج لمثل هذا الاتحاد السينمائى .. وكاد الكلام يلتهم بعضه .. لولا إلحاح البعض على عدم ضياع هذه الفرصة . والبدء الفعلى فى تشكيل لجنة تحضيرية لتكوين اتحاد السينمائيين العرب ..

وتشكلت بالفعل لجنة تحضيرية . وتحدد مارس ٨٦ لاجتماع هذه اللجنة التحضيرية . لوضع اللائحة التأسيسية للاتحاد .

هل سيتحقق الحلم هذه المرة ؟!

فى ملتقى « قسطنطينة » السينمائى .. وفى ندوة أيضا عن السينما العربية .. قبلت الدعوة لاتحاد السينمائيين العرب .. وتشعب الحوار فى تفصيلات كثيرة .. وانتهى الوقت دون أن أشعر أننا نمسك شيئا محددا بين أيدينا !!

ربما عذر السينمائيين الجزائريين . أنهم يعيشون قلقا خاصا بعد الأنباء التى ترددت عن تفكير الحكومة الجزائرية فى التخلى عن الانتاج السينمائى (القطاع العام) .. وترك السينما للقطاع الخاص .

وإن كنت أعتقد أن مثل هذه الظروف ــ لو صحت ــ فهى أدعى للاهتمام بتشكيل اتحاد السينمائيين العرب !

ذلك لأن وجود الفنان الجزائرى بين



لقطة من الفيلم الكوميدي الجزائري « حسن تاكسي »

زملائه العرب .. يتيح له فرصة أكبر للانطلاق والتعبير .. بدلا من البحث عن تمويل أوروبى ــ فرنسى بالذات ــ قد يفرض ذوقا معينا ، أو اتجاها مقصودا فى التفكير !!

« شاى بالنعناع » .. ودعوة للمهاجرين

وأقرب مثال لذلك الاتجاه المقصود فى التفكير .. هو فيلم « شاى بالنعناع » للمخرج الجزائرى عبد الكريم بهلول .. وقد قامت فرنسا بتمويل الفيلم تماما ..

والفيلم يدعو المهاجرين الجزائريين المقيمين فى فرنسا للعودة الى بلادهم .. ليس حبا فى الجزائر .. ولكن رغبة فى تصفية المهاجرين !

وهى نفس الرغبة التى تعلنها بشكل واضح وكريه ، القوى اليمينية فى فرنسا !!

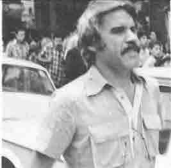
وفيلم « شاى بالنعناع » يقدم صورة المهاجر الجزائرى من خلال ذلك الشاب العاطل ــ وهو عاطل بمزاجه الخاص وليس نتيجة ظروف العمل فى فرنسا ــ والذى يهوى لعب الثلاث ورقات ومصادقة الفتيات والتردد على المقاهى .. وعندما تزوره أمه القادمة من الجزائر ، تدعوه للعودة معها الى الوطن .. يتهرب منها بل يحاول التخلص من وجودها .. وتفهم الأم تلك اللعبة .. وتؤنب ابنها على جرح كرامتها وامتهانها .. ولكن الابن يتمادى فى قساوة مشاعره .. ويترك أمه وحيدة بالمنزل الصغير ، ودون خبرة منها بالتعامل مع المجتمع الفرنسى .. حتى يقرصها الجوع فتخرج للشارع وتتسول !!

هنا فقط يستيقظ ضمير الابن .. ويرضخ لرغبتها .. وينتهى الفيلم وهما يتقدمان ناحية المطار للسفر الى الجزائر .. والابن يحاول أن يقاوم حتى اللحظة الأخيرة !

وقد لعبت دور الأم فى هذا الفيلم ، الممثلة الجزائرية القديرة « شافية بودراع » .. ولكن لم يشفع هذا الأداء الجيد للمعنى الملتوى الذى يقصده الفيلم .

« وشاى آخر .. أكثر توازنا

وحول نفس موضوع المهاجرين الجزائريين فى فرنسا .. يتبنى المخرج الفرنسى اليونانى الأصل « كوستا جافراس » تمويل فيلم « شاى فى حريم أرشميدس » للشاب الجزائرى













المزج بين الواقع والسينما .. في فيلم «أحلام» الذى صورت بعض مشاهده في شوارع العاصمة الجزائرية

«مهدى شريف» والذى يخوض تجربة الاخراج السينمائى لأول مرة بهذا الفيلم الذى كتب له أيضا القصة والسيناريو..

ويتعرض الفيلم لشاب جزائرى وصديقه الفرنسى من نفس عمره. ونفس تمرده.. يعيشان الضياع على هامش الحياة فى باريس.. يمارسان السرقة والنشل وفرض الأتاوات والبلطجة.

والشاب الجزائرى يعيش مع أمه ووالده المريض الذى لا يقوى على الكلام أو الحركة.. أما الأم فهى دائما تحثه على العمل.. ولكنه لا يرغب فيه.. وإذا رغب مضطرا فهو يواجه بالتفرقة بين الفرنسى الأصل.. والمهجر!.. وتطالبه الأم بالعودة الى الوطن والأهل.. ولكنه يثور عليها. فهو لا يفهم ماذا تقول.

هى تتحدث بالعربية.. وهو لا يفهمها بالفعل!

والفيلم يتعرض لنماذج التفكك والانهيار العائلى فى الجانب الفرنسى.. ولا ينحاز لجنسية ضد جنسية.. وإنما يقدم حالة الضياع التى ربطت بين صديقين فى قاع المدينة.

وربما كان هذا الفيلم.. من أفضل الأفلام الأخيرة التى تنتسب للسينما الجزائرية..

• السينمائيون الشبان .. والأمل

أما السينما الجزائرية الخالصة (فكرا وتمويلا).. فإننا نذكر بكل تقدير فيلم المخرج مرزاق علواش والذى كان يحمل عنوان «عمر قتلته الرجولة» والذى يحكى فيه يوميات شاب جزائرى يعمل فى إحدى الوظائف الصغيرة ويعيش حياته مع أسرته المكدسة فى منزل صغير.. ويحلم بأن تكون له علاقة مع الفتاة التى أحبها من النظرة الأولى ويمنعه الخجل والتردد من لقائها أو التحدث إليها..

ونذكر أيضا بكل الاعجاب فيلم «سقف وعائلة» للمخرج الجزائرى «رابح لعراجى».. والذى يتعرض أيضا لمشكلة الشاب الجزائرى البسيط الذى يعيش مع عائلته المتعددة الأفراد داخل مسكن صغير.. وتقوم أمه بالبحث له عن عروس.. لندخل فى مأزق البحث عن سكن.. وفيلم «أحلام» للمخرج «جان بيير ليدو» الذى يربط بين عالم السينما والمجتمع الجزائرى.. الحلم والواقع.. وحيث ينكمش الحلم ليفرض الواقع نفسه بكل تناقضاته.. وأحدث انتاج للسينما الجزائرية فيلم «الطاحونة» للمخرج «أحمد راشدى».. والفيلم يقوم على فكرة جديدة تتعرض لها السينما الجزائرية لأول مرة.. لتحكى عن فترة التأميمات التى لجأت إليها الثورة الجزائرية للتحكم فى وسائل الانتاج.. وكل سلبيات تلك الفترة.. ولكن ما أفسد الفيلم ذلك الايقاع البطىء أحيانا كثيرة.. واللاهث فى أحيان أخرى دون مبرر.. والدخول فى تفصيلات جانبية أفقدت الموضوع سخونته ووحدته.

وقد شارك فى بطولة ذلك الفيلم اثنان من نجوم السينما المصرية «عزت العلايلى» و«حسن مصطفى». ولكن دون أن يستفيد الفيلم من امكانياتهما الفنية..

وإذا كان هذا الفيلم الأخير.. هو نموذج لما وصل إليه أحد كبار مخرجى السينما الجزائرية.. فإننا نقول إن الأمل الحقيقى هو فى السينمائيين الشبان.

وبقى أن تخرج هذه الأفلام للجمهور العريض فى كل البلاد العربية.. حتى نتعرف على بعضنا البعض.

رؤوف توفيق



طرائف شرقية وغربية

في حديقة الحيوان

• اقتربت سيدة ثرثارة من الحارس تسأله : هل عجل البحر هذا ذكر أم أنثى ؟

فقال لها الحارس في ضيق : هذه مسألة لا تهم إلا عجول البحر الأخرى !

مصــاهرة

• توجه شيخ من سكان الجبال وبصحبته شاب إلى عيادة أحد الأطباء وقال للطبيب : « أرجوك يا دكتور أن تعالج ساق صهرى فقد أطلقت عليه النار أمس » فقال الطبيب : « تباً لك .. كيف تطلق النار على صهرك ؟ » فأجاب الشيخ قائلاً : « لم يكن صهرى حين أطلقت النار عليه » .

صــراحة

• علم الضابط البحرى أن أحد بحارته ينفق ماله في إسراف جنونى ، إلى حد أنه بدد مرتبه في يومين ، فاستدعاه لمقابلته وسأله : « أتستطيع أن تخبرنى ماذا فعلت بمرتبك هذا الشهر؟ » فأجاب البحار قائلاً : « لقد أنفقت بعضه في السهر والترفيه عن نفسى ، وأما الباقى بعد ذلك فقد أنفقته ــ بصراحة ــ إسرافاً وإتلافاً ! » .

لغــز

• عاد كاتب اشتهر برواياته البوليسية المثيرة ، إلى شقته في لندن بعد إجازة أمضاها في إحدى الضواحى ، فوجد جماعة من اللصوص قد اقتحموا الشقة وسرقوا كل ما بها من مال وثياب . ورأى على مكتبه بطاقة هذا نصها : « هذا لغز .. فهل لك أن تحاول حله في أوقات فراغك .. أيها الكاتب الكبير؟ » .

زال الخطــر

• جلست سيدة متصابية في إحدى الحفلات . تتحدث عن التنجيم والمنجمين ، ثم التفتت إلى صديقها الذى كان يجلس بجانبها وقالت :

ــ لقد تنبأت لى إحدى المنجمات بأننى سأموت في « عز شبابى » .. فقال لها الصديق : « لعلك مطمئنة الآن .. بعد أن زال الخطر منذ أمد بعيد » .

يســتاهل

• ترملت السيدة الحسناء .. ولم تكد تمضى بضعة أشهر حتى خلعت ثياب الحداد وتزوجت وبعد أسابيع رأتها إحدى صديقاتها ، ترتدى ثوباً أسود اللون . فسألتها في دهشة :

ــ هل مات زوجك الثانى أيضاً ؟

ــ كلا .. ولكن بعد أن عاشرت زوجى الجديد ، رأيت أن أرتدى ثياب الحداد مرة أخرى على زوجى الأول !

من فكاهات العرب

• دفع أبو الطيب الطبرى خفه إلى إسكافى ليصلحه ، فكان كلما مر عليه يسأله عنه . وكان الإسكافى كلما رأى أبا الطيب أخذ الخف وغمسه في الماء وقال :

ــ بعد ســاعــة .. بعد ساعة ... !

فلما تكرر الأمر جملة مرات ، قال أبو الطيب ثائراً :

ــ إنما دفعته إليك لتصلحه ، ولم أدفعه إليك لتعلمه السباحة ..!

إقناع .. وإقناع

• كان رجل يزور صديقاً له في بيته ، عندما لاحظ أن بعض المحال التجارية الكبرى قد أرسلت له فواتير بعشرات الجنيهات ، قيمة ما اشترته زوجته من هذه المحال !

ورثى الرجل لصديقه وقال له : لماذا لا تمنع زوجتك من شراء كل هذه الأشياء ؟ كيف ستدبر أمورك ؟

فرد الزوج في هدوء :

ــ إنه لمن الأسهل لى ياعزيزى أن أقنع مديرى هذه المحال بتأجيل الدفع من أن أقنع زوجتى بعدم الشراء ! !

معقــول

• قبل أن يغادر الطفل الصغير البيت إلى المدرسة قرص أخته حتى أبكاها ، فهددته أمه بالضرب ، عند رجوعه من المدرسة .. ولم تمض دقيقتان ، حتى رجع الطفل إلى البيت ، وذهب إلى أمه مباشرة ، وقال لها :

قــال الأولــون

• قال على رضى الله عنه : « إن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله » .

• قالت أم المؤمنين أخت عمر بن عبد العزيز : « لو كان البخل قميصاً ما لبسته أو طريقاً ما سلكته » .

وكانت تعتق كل يوم رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله وكانت تقول : « البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة » .

• قال أبو الحسن بن سنان : « البدن بناء وحفظ الصحة عماده . ولا غنى للبيت عن الأساس والعماد » .

• قال أبو الحسن الضميرى : « بالبر تذهب الوحشة » .

• قال أبو حامد أحمد : « لا تبالغ بإفراط الهشاشة والبشاشة ، فإن ذلك من السخف كما أن قلة الكلام من الكبر » .

• قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « إياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة مفسدة للجوف ، مؤدية إلى السقم » .

• قال أبو على الصاغانى : « ليس شىء أبغض إلى من خمسة : قراءة مكتوبى وامتناع من دعوته إلى مؤاكلتى ورؤية متكبر ورؤية شيخ يتصابى وامرأة تتأمر » .

• قال أبو الفرج عبد الله بن الطيب : « الشجاع يختار حسن الذكر على البقاء ، والجبان يختار البقاء على حسن الذكر » .

• سأل الحجاج ابن القبعثرى : « ما أوجز الكلام ؟ » فقال « ألا تبطىء ولا تخطىء » .

• قال أبو عيسى بن يحيى : « لا يؤثر القليل الفانى على الكثير الباقى » .

• قال معاوية : « ما رأيت تبذيراً قط إلا وإلى جانبه حق مضيع » .

• قال الحسن على بن سهل الطبرى : « طول التجارب زيادة في العقل » .

• قال أبو الريحان البيرونى : « لا تحقر الأمر الصغير ، فللأمر الصغير موضع ينتفع به ، وللأمر الكبير موقع لا يستغنى عنه » .

« اضربيني الآن يا أمي ، فأنا لا أريد أن أقضي النهار ، خائفاً مرعوباً ! ! »

ليوم أحر منه

● قال الحجاج بن يوسف الثقفي لراع رقيق الحال :

ــ اجلس يا أخا العرب وكل معي

ــ دعاني من هو أكرم منك فأجبته :

ــ ومن هو ؟

ــ الله تبارك وتعالى ، دعاني للصوم فأنا اليوم صائم .

ــ أتصوم في مثل هذا اليوم على حره الشديد ؟

ــ نعم ، صمت ليوم هو أحر منه .

ــ تعال وكل معي اليوم وصم غداً .

ــ إن فطرت اليوم فهل يضمن لي الأمير الجليل أن أعيش غداً ؟

ــ ليس ذاك لي .

ــ فكيف تسألني عاجلاً بآجل ليس لك إليه سبيل ؟

ولا بزفرة !

● جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

ــ يارسول الله . إن لي أما أنا مطيعها : أقعدها على ظهري ولا أصرف عنها وجهي ، وأرد إليها كسبي .. فهل جزيتها وأديت واجبي نحوها ؟

فقال الرسول (ﷺ)

ــ لا .. ولا .

قال الرجل :

ــ ولم يارسول الله ؟

ــ لأنها كانت تخدمك وهي تحب حياتك .. وأنت تخدمها وتحب موتها .

لذة الدنيا

● قال معاوية لعمرو بن العاص : ما بقي من لذة الدنيا تلذه ؟

قال : محادثة أهل العلم .

وخبر صالح يأتيني من ضيعتي .

هل تصدق ؟!

● سقط طوربيد من طائرة حربية فارتشق في إحدى أشجار النخيل في بحار الجنوب ، وظل في مكانه سنين طويلة ثم نزعوه مؤخراً ..

● تعود الشاعر الأمريكي « جاكين ميلر » أن لا يدخن أقل من سيجارين معاً !

● يبلغ ارتفاع المعزة . من ماعز الانجوراه ـ الذي يربى في مراعي ولاية كاليفورنيا ــ ٨٠ سنتيمترا ، ويبلغ طول صوفها ١٦٠ سنتيمتراً .

● يبلغ طول رموش « كالي سنج » وهي فتاة صينية حسناء عشرة سنتيمترات !

● صنع أحد أهالي « بيستون كاسيل » في انجلترا خلية نحل على هيئة منزل مصغر يبلغ ارتفاعه ٣ أمتار وثبتها على ظهر فيل يطوف بها خلال الحقول معاوناً النحل على الانتشار لامتصاص رحيق الزهور .

● تلزم العاقر في بعض قبائل الصحراء الأفريقية الكبرى بأن تحمل على رأسها قطعة من الحجر لا يقل وزنها عن ٩ كيلو جرامات ، وذلك حتى ترزق بولد !

● يحمل الحمال في الصين ٢٠٠ كيلو جرام من الشاي المضغوط في هيئة قوالب على ظهره ويقطع بها مسافة ٢٠٠ كيلو متر في رحلة تستغرق ٢٠ يوماً ، ويستريح خلالها ٢٣٨٠ مرة ولا يأخذ عن هذا العمل كله أجراً يزيد على مائة قرش .

● عندما يأتي الربيع تنظم اليابانيات في هذا الفصل قصيدة شعرية ويعلقنها في أوراق بفروع الشجر ، فيقرأها كل من يأتي ليشاهد الزهور ، ثم يسجل رأيه فيها بصراحة ، وعلى نفس الورقة التي تتضمن القصيدة !

● يزرعون في مدينة « ساكورا » باليابان نوعاً من الفجل الكبير تبلغ زنة الواحدة منه ١٠ كيلو جرامات !

● يستطيع « جيرار جاننج » من « بريدج سيتي » بولاية كونكتيكت الأمريكية ، أن يعزف « فالس برامز » وسواه من المقطوعات الكلاسيكية على البيانو رغم أن سنه لا تتعدى ٣٩ شهراً !

حق النقد

المؤلف : لا ياعزيزتي ليس من حقك نقد كتابي لأنك لست مؤلفاً .

الفلاحة : وأنا أيضاً لا أضع بيضاً ومع ذلك أستطيع الحكم على البيض من طعمه .

بالحساب

● قالت الزوجة لزوجها وهما يحسبان دخلهما ومصروفهما :

ــ لو استمررنا في الادخار على أساس ما نفعل الآن ، فإننا عندما نصل إلى سن التقاعد ، ستكون مدينين بمليون جنيه !

إعلان

● في إعلان نشر أخيراً في إحدى الجرائد اليومية الأمريكية قال المعلن : إنه شاب لطيف يوشك أن يقدم على الزواج ، يرغب أشد الرغبة في مقابلة رجل مجرب يستطيع إقناعه بالعدول عن هذه الخطوة .

نصيحة

● قال أستاذ ينصح تلميذه : « تعلم قول (لا أدري) ، فإنك إن قلت لا أدري ، علموك حتى تدري وإن قلت أدري ، سألوك حتى لا تدري ! » .

فلسفة الحياة

● دخل أعرابي جاوز المائة على معاوية ذات يوم .. وأراد الخليفة أن يتعرف منه تجربته للحياة فقال :

ــ صف لي الدنيا ..

فأجابه الأعرابي :

ــ سنة رخاء ، وسنة بلاء ، يولد مولود ويهلك هالك ، فلولا المولود باد الخلق ، ولولا الهالك ضاقت الأرض !

ذكاء أثري

● سأل سائح نرويجي أحد الأدلاء وهويشير إلى تمثال أثري : « كم عمر هذا التمثال ؟ » فأجاب الدليل : « خمسة آلاف سنة وخمسة أشهر وأربعة أيام ! » .

فضحك السائح وقال : « ولكن لماذا أضفت هذه الأشهر وهذه الأيام ؟ ! »

فأجاب الدليل : « لأن عمر التمثال كان خمسة آلاف سنة حينما استلمت عملي هنا ، ولي الآن في هذا المكان خمسة أشهر وأربعة أيام بالضبط ! » .

سلسلة «العبقريات» .. فقد كان كاتبا صحفيا وسياسيا جريئا وشاعرا مطبوعا وناقدا لاذعاً .

وهو من مواليد أسوان .. ولم يتلق من التعليم فى صغره إلا القليل .. ولكنه دأب على القراءة والاطلاع حتى صار من أشهر كتاب العرب .. وكان اسمه يذكر دائما مسبوقا بلفظتى .. الكاتب الكبير ..

وإسمه مكون من ثلاثة مقاطع مجموع حروفها خمسة عشر حرفا :

٢ ، ١٤ ، ٤ ، ٧ ضاحك من غير صوت .
١ ، ١٣ ، ٩ بمعنى قلادة .
٥ ، ٩ ، ٦ بمعنى أثنى .
١٢ ، ١٣ ، ١٥ بمعنى رجع .
١٠ ، ٨ ، ١١ بمعنى فَسَّرَ .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٢٠

• الصورة الأولى :

انعقد المؤتمر الأول لقادة مجلس التعاون لدول الخليج العربية فى ٢٥ مايو سنة ١٩٨١ بمدينة أبو ظبى عاصمة دولة الامارات العربية المتحدة .

الفائز الأول : أحمد محمود حسين الزغبى ـ الأردن .

الفائزة الثانية : فردوس حسنى حسن ـ دولة الامارات العربية المتحدة .

• الصورة الثانية :

اسم صاحب الصورة الجنرال الانجليزى مونتجومرى ومنافسه القائد الألمانى روميل وجمعت بينهما معركة العلمين .

الفائز الأول : احسان عبد الجليل دياب ـ السودان .

الفائز الثانى : عبد الحق ماستر ـ باكستان .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ ناصر حامد حمودة .... المملكة العربية السعودية
٢ ـ عبد الله مواردى .... المغرب
٣ ـ عمر محمود حسين .... الأردن
٤ ـ قصى أحمد الحايك .... سوريا
٥ ـ عبد اللطيف بن صريتى .... ليبيا
٦ ـ حمود ناصر على الشرق .... الجمهورية العربية اليمنية
٧ ـ سمية محمد محفوظ .... اليمن الديمقراطية
٨ ـ مالك سيد أحمد .... الهند
٩ ـ عامر جاسم محمد .... العراق
١٠ ـ سعيد البشرى .... تونس

حل استراحة الدوحة للعدد ١٢٠

(١) أصل وصورة : الجبهة ـ الحاجبان ـ الأنف ـ الشارب ـ الذقن ـ العينان ـ الأذن .

(٢) لوحة لم تتم : الفنان سيد بدير
(٣) لأقوياء الملاحظة :
قط ـ حقيبة ـ كمثرى ـ طماطم ـ عصفور ـ دجاجة

(٤) يخلق من الشبه أربعين : رقم ٤
(٥) لعبة الظلال : رقم ٣ .
(٦) هات أجمل تعليق : الأسد ده مكشرى زى ما بابا بيكشر وهو داخل البيت .
(٧) المثل بيقول :
• رتم المتعوس على خايب الرجا .
• عند الامتحان يكرم المرء أو يهان .

أسماء الفائزين في استراحة الدوحة للعدد ١٢٠

١ ـ شيراز حنا .... سوريا
٢ ـ هالة ابراهيم شحاته .... البحرين
٣ ـ السيد أحمد سرور .... مصر
٤ ـ بن لمبارك نبيل .... الجزائر
٥ ـ علاء جابر على حسن .... مصر
٦ ـ تماضر على محاسنه .... السعودية
٧ ـ أبو بكر زعبيه .... ليبيا
٨ ـ خالد الخضرى ..... المغرب (اشتراك)
٩ ـ أحمد محمد على ابراهيم .... مصر
١٠ ـ ثريا عثمان محمد .... السودان
١١ ـ محمد يوسف ناصر .... قطر
١٢ ـ مسعد بدوى رضوان .... مصر
١٣ ـ شريف عبد السميع محمد .... قطر
١٤ ـ نهاد حسين نصر .... السودان

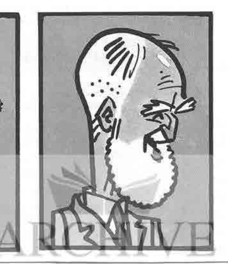
نورس قديم

شعر : محمود صفر

أراكِ حباً مورقاً يجرح الحقيقة
أراكِ دمعة ظليلة ،
غابةً من الزهور
جزيرةً نائية جميلة
يلفها شعورى الموقوتُ بالأكيد
بالنوارس القديمة .
أراكِ رحلةً ملغيةَ الإياب
لاتكترى قواربَ الأفول
أراكِ شمعداناً يراقصُ الشموعَ
كل ليلة ، يأكل فيها الحوتُ
أطرافَ القمر .
أراكِ يابحرَ احتمالي
واحةً من الغُدران .
أذيماً ينتشي بنوايانا البسيطة
أو مايرى الهائمُ من رؤىً
مرعبةٍ رقيقة ،
أو كما تنبضُ في القلبِ ثقوبٌ
تفرزُ الحياةَ في الجروح
والجروح في الحياة
أراكِ إذ أراكِ ساحراً
يحيل عمرَنا الرتيبَ
موسيقى صاخبةً
وجرحَنا العميقَ زفةً ،
وفتحَ هامتي البطيءَ سهرةً
ويجعل الأنينَ ماء
والهوى فناءً .

استراحة الدوحة

أصل وصورة



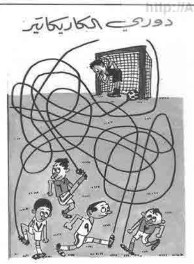
بين أصل وصورة الكاتب المسرحي البريطاني جورج برنارد شو (١٨٥٦ - ١٩٥٠) هناك سبعة اختلافات طفيفة ، إذا استطعت التعرف عليها فلك جائزة

لوحة لم تتم



● هذه اللوحة التي لم تتم لمطربة عربية اشتهرت بصفاء الصوت والأداء المتميز في الأغنية .. حاول أن تكمل اللوحة وتتعرف على شخصية المطربة لتحصل على جائزة .

دوري الكاريكاتير



● اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا في مرمى الخصم .. حاول أن تحدد صاحب هذا الهدف ورقم فانلته لتحصل على جائزة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة : رؤوف

لعبة الظلال

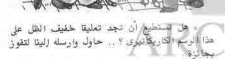


• حاول أن تساعد هذا اللاعب في العثور على ظله الحقيقي حتى يمكنك الحصول على جائزة.

هات أجمل تعليق



هل تستطيع أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري ؟ .. حاول وارسله إلينا لتفوز بجائزة.

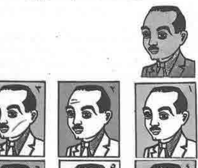


المثل يقول



• هذا الرسم الكاريكاتيري يعبر عن مثل شعبي عربي معروف .. أرسل لنا هذا المثل الشعبي في انتظارك جائزة.

يخلق من الشبه أربعين





الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية عبد القادر المازني ، ومن أشهر أعماله «ابراهيم الكاتب» .. ومن بين اللوحات واحدة تشبهه ، هل يمكنك التعرف على اللوحة ؟

صوت

بقلم: مريم آل سعد

لماذا لا يقرأون؟!

الكثير من الناس يحفظون أسماء الشعراء والكتاب وربما يعرفون شيئاً من أسرار حياتهم الشخصية . ولكنهم لا يستطيعون البرهنة على أنهم قد قرأوا شيئاً من إنتاجهم أو آثارهم
فالشهادة المدرسية أو الجامعية لا تبرز نسبة الثقافة التي يتمتع بها الشخص . والقسم التخصصي لا يمكن أن يكشف عن مدى استيعاب الشخص للمراجع التي احتاج لمطالعتها أثناء إعداد بحوثه الدراسية ، إذن .. كيف يمكن خلق عادة القراءة المترسبة تحت جلود الناس وتبيان أهميتها لقيمتها ومردودها في توازن شخصياتهم . وليس رضوخاً تحت ضغوط الدرس أو العمل ..؟

هل هي مهمة النقاد .. ؟ وهل هي دعوة لصحوة نقدية عليها أن تحمل هم التأسيس ، وإلهاب وعي الناس . وتملك توجيههم نحو مطالعة الأعمال المؤثرة بتشويق يجذب القارئ في نفس الوقت الذي لا يغرقه برموز وطلاسم يعجز الفرد العادي عن متابعتها .. ؟ أم أن هذه المهمة تعتبر الأولى من واجبات وسائل الإعلام وخصوصاً ـ المطبوعات منها ـ التي توقفت معظمها عند مرحلة عقد اللقاءات وإجراء الحوارات مع أو عن هؤلاء المبدعين دون إكمال الرسالة ونشر إبداعهم وتعميمه وإيصاله إلى الجمهور . ودون السعي إلى تخصيص بعض الصفحات الجادة التي تعود القارئ على متابعة الكتابات الملتزمة ، وتشركه في النقاش الفكري المطروح أو القضية المثارة .

إن انفلات المطبوعات من الدخول إلى أجواء الطرح المسئول ، وتحولها إلى مساحات ملونة تتبع التسلية أدى إلى فرز فئة من القراء لا تتواصل إلا مع كل طريف ومباشر ومسطح لدرجة أنها أصبحت لا تقوى على مواصلة قراءة مقال جاد في الصحف اليومية وتعتبره معقداً غير قابل للاستيعاب .. !
هل تغيرت قيم هذا العصر ، وأدى الانكسار الخطير الذي أصاب معنى ومضمون الثقافة بالاضافة إلى ضغوط الحياة اليومية وما ورثته من ثقافة استهلاكية . إلى عدم إيمان الناس بجدوى تأسيس واقع ثقافي جديد يرتقي بالروح وبالناس وبالمجتمعات وبالأمم .. ومن هنا تم اختيار الوجه المرادف لهذه المرحلة فراجت تجارة الفيديو للأفلام المحنطة ، وتعددت المجلات الرخيصة المحتوى ، وكان الانتشار للكتابات السطحية . وتأزمت بذلك ظاهرة (أمية المتعلمين) وأصبحت هناك مساحة شاسعة بين الكتاب كقيمة واتجاه وتيار وبين كتب الحظ والتنجيم وكيف تتسلى في أوقات فراغك .. !

ومهما تكن الأدوار المسئولة التي تقف وراء تأكيد هذا (القصور الثقافي) لدى الناس إلا أنها تكاد تتلاشى عندما تكون بذرة القراءة منقوشة في نفس الانسان ، وتمثل له هاجساً ملحاً يخزه بدبابيسه اللحوح إذا ما شغله أمر أبعده عنها ، ولا يفتأ يحس بنقص يملأ جوانحه حتى يتراجع عن جحوده ويلبي النداء . إن تكوين هذا الباعث الداخلي المنسوج بنسغ النفس قد لا يكون ناتجاً مباشراً للمؤسسات التي تخدم هذا الهدف بقدر ما هو تعويد الفطرة على هذا المبدأ .. فمن الغريزي أن يطلب الطفل المعرفة ، ولو نمت وترعرعت هذه الخاصية ، وتعهدها الجو التربوي ـ في البيت والمدرسة ـ الذي يحترم القراءة وينحني للاكتشاف والبحث لكان هناك الفرد الذي لا يفرق بين كونه إنساناً وبين كونه قارئاً .

إن مهمة خلق ثقافة جديدة يجب أن تنطلق من إدراك كل انسان لقيمة القراءة وضرورتها في تكوين شخصيته وأسلوب تفكيره ومن اعتقاده الجازم بجدواها كعنصر بديهي لا مجال للاختيار بين وجوده من عدمه . ثم يأتي بعد ذلك دور المؤسسات والهيئات المسئولة لتعميق هذا الايمان وترشيده وتقنينه حتى يتحرر الإنسان العربي من موروثاته التي تكبل أقدامه وتؤخر تطوره .